

سلسلة شُرُوحَاتٍ وَمَوْاقِفَاتٍ مَعَالِي الشَّيْخِ صِلَاحِ الْفُوزَانِ (٩٩)

شَرْحُ

الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ

تَأليفُ

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحكيم بن عبد السلام ابن تيمية

(٦٦١ - ٧٢٨ هـ)

الشَّيْخُ

لفضيلة الشيخ العلامة

الدكتور صلاح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

بِعَفْرِ اللَّهِ لَهُ وَلَوْ أَنَّكَ وَلِطَمْتَ السَّيِّئَاتِ

اعْتَقَنِي بِهِ وَأَمَرَنِي بِطَعْنِهِ

د. سلمان جابر عثمان المجاهد السُّوْلَمِيّ

بِعَفْرِ اللَّهِ لَهُ وَلَوْ أَنَّكَ وَلَا جِلَّ يَدُهُ وَلَا شَيْعِهِ

مَكْتَبَةُ الْأَعْمَالِ الدِّهْيِيَّةِ

المطبعة

الْبَيْتُ الدِّهْيِيُّ

الرياض

الْعَقِيدَةُ الْوَاسِطِيَّةُ

شَج
العَقِيدَةُ الْوَلَسُطِيَّةُ

٢ سلمان جابر عثمان المجلهم، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبه الملك ههد الوطنيه أثناء النشر

المجلهه، سلمان جابر بن عثمان

شرح العقيدة الواسطية، / سلمان بن جابر عثمان المجلهه، -

الرياض، ١٤٤١هـ

٣٤١ ص، ١٧/٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٣٥٨-٠-٧

١- العقيدة الاسلاميه ٢- التوحيد أ. العنوان

١٤٤١/١٨٦٣

ديوي ٢٤٠

رقم الايداع، ١٤٤٠/١٨٦٣

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٣٥٨-٠-٧

حقوق الطبع محفوظة الطبعة الثالثة (١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)



مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الفرع الرئيسي: حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - ت، ٢٢٦٥٧٨٠٦

فرع المصاحف: ت ٢٢٦١٥٠٤٦ - فرع الجبراء: الناصرمول، تلفون: ٩٥٥٥٨٦٠٨

فرع الفحيحيل: البرج الأخضر - شارع الديوس - تلفون: ٢٥٤٥٦٠٦٩ - ٩٥٥٥٨٦٠٧

فرع الرياض: المملكة العربية السعودية التراث الذهبي - جوال ٠٠٩٦٦٥٥٧٧٦٥١٣٨

الخط الساخن: جوال ٠٠٩٦٥٩٤٤٠٥٥٥٩



z.zahby74@yahoo.com



imamzahby

شَرْحُ

الْعَقِيدَةُ الْوَلَّاسُطِيَّةُ

تَأْلِيفُ

شَيْخِ الْإِسْلَامِ تَقِيَّ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْحَكِيمِ بْنِ عَبْدِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ

(٦٦١ - ٧٢٨ هـ)

الشَّيْخُ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ

الدَّكْتُورِ صَالِحِ بْنِ فُوزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفُوزَانِ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَطَبِيعِ السَّامِعِينَ

اعْتَنَى بِهِ وَأَشْرَفَ عَلَيْهِ طَبْعُهُ

د. سَلْمَانُ جَابِرُ عُثْمَانَ الْمُجَلِّهِيُّ السُّوْنِيُّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلِأَنْجُوهِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله، وصحبه، وبعد:
فقد أذنت لابننا وتلميذنا فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم،
بطباعة: شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.
رجاء أن ينفع الله به، ويكتب لي وله الأجر.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه: د. صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة

صلى
١٤٤١/١٢/١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

فهذا شرح شيخنا العلامة صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، رفع الله مقامه في الدارين، وأثابه الله سبحانه وتعالى ثواباً عظيماً على شرحه النافع الجامع على متن العقيدة الواسطية للإمام أحمد ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، التي بين فيها اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة -أهل السنة والجماعة-، وهم الذين على طريقة نبيهم ورسولهم وقدوتهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقواله وأفعاله وتقريراته، والذين اجتمعوا على الحق الثابت بالكتاب والسنة، متتهجين فهم صحابته -رضي الله عنهم وأرضاهم-، مما فهموه وعقلوه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونقلوه لأمة الاسلام المرحومة.

ومما ذكره أهل العلم عن هذه العقيدة ما قاله الشيخ زيد بن عبد العزيز ابن فياض رَحِمَهُ اللهُ: (فإن رسالة العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كانت -على صغر حجمها وإيجازها- عظمة النفع جليلة الفائدة؛

فقد ذكر فيها مذهب السلف الصالح في العقيدة سليمة من شوائب البدع وآراء أهل الكلام المضلة).

ويقول الشيخ محمد خليل هراس رَحِمَهُ اللهُ: (العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ من أجمع ما كتب في عقيدة أهل السنة والجماعة مع اختصار في اللفظة ودقة في العبارة).

وقال الإمام عبد الرحمن بن رجب رَحِمَهُ اللهُ عن العقيدة الواسطية: (ووقع الاتفاق على أن هذه عقيدة سنية سلفية).

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ عنها -لما ذكر مناظرة الواسطية-: (ووقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفي جيد).

وقال عنها الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (جمعت على اختصارها ووضوحها جميع ما يجب اعتقاده في أصول الإيمان وعقائده الصحيحة).

وقد سميت بالعقيدة الواسطية نسبة إلى سؤال وطلب من رجل من أهل العلم والخير والدين هو القاضي رضي الدين الواسطي الشافعي من نواحي واسط، وهو بلد معروف في العراق؛ حيث طلب من الإمام أحمد بن تيمية بيان العقيدة الصحيحة له ولأهل بيته، وقد شكوا ما الناس فيه من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم، فأجابه الإمام ابن تيمية بكتابة هذه العقيدة الطيبة المباركة.

وقد تحرى الإمام ابن تيمية في بيان العقيدة الواسطية الدقة في الألفاظ، واستعمال الألفاظ الواردة في نصوص الكتاب والسنة، فيقول -غفر الله

له - في مجموع الفتاوى: (أنا تحررت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة) (٣/١٦٥).

وقال أيضًا: (وكل لفظ ذكر، فأنا أذكر به آية، أو حديثًا، أو إجماعًا سلفيًا) (٣/١٨٩).

وقال أيضًا: (ما جمعت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم) (٣/١٦٩).

وقد ختم الإمام المصنف ابن تيمية العقيدة الواسطية بالإشارة إلى موضوعات في غاية الأهمية تعد من قضايا السلوك والأخلاق؛ تنبيهًا على أن مذهب أهل السنة والجماعة مذهب عقائدي وعملي وأخلاقي وسلوكي وتربوي، وهو منهج عظيم متكامل لم يغفل شيئًا، وهو نهج واضح يتبعه العبد، ويتعبد به لربه وإلهه الحق - جل جلاله، وتقدست أسماؤه، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

نسأل الله الكريم أن يجزي المؤلف الإمام ابن تيمية خير الجزاء، وكل من شرح هذه العقيدة السلفية، ونشرها بين الناس، وأن يجزي الشارح شيخنا ووالدنا سماحة الشيخ العلامة الدكتور صالح الفوزان خيرًا كثيرًا، وأجرًا كبيرًا، وفضلًا عظيمًا، وأن يجمعنا وإياه في الفردوس الأعلى، اللهم آمين!

وقد طبع الكتاب على نفقة الشيخ أبي عبد الرحمن: مساعد بن علي الشايحي، والشيخ أبي وائل: محمد بن أحمد الفرحان وزوجته الكريمة، غفر الله لهم، وتقبل منهم، وجزاهم خير الجزاء في الدنيا والآخرة!

ومما يشار إليه أن طباعة هذا الكتاب، وريعه، والعائد من بيعه، وكل ما بذل فيه هو وقف لله تعالى، وهو مشروع وقف من أموال وقفية، تقبل الله من الجميع!

والله أعلم وأعظم وأحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. سَلْمَانُ جَابِرُ عَثْمَانَ الْمُجَاهِدُ السُّوَلِيُّ

عَمْرَ اللَّهِ وَلَوْلَا دَرِيَّةٌ وَلَا أَهْلٌ بَيْتُهُ وَلَا شَاخِوهُ

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين:

وبعدُ:

فهذا شرح مختصر على العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمعته من المصادر التالية:

١- «الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية» للشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض.

٢- «التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية» للشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد.

٣- «التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيعة» للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

٤- نقلت من فوائد علّقْتُها على نسختي وقت الطلب.

٥- وفيما يتعلق بتفسير الآيات نقلت من كتب التفسير؛ كـ «فتح القدير» للإمام محمد بن علي الشوكاني، و«تفسير القرآن العظيم» للشيخ إسماعيل ابن كثير.

وكانت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قد طبعت عدة مرات، ووزعته على طلبة المرحلة الثانوية؛ فشكر الله للقائمين عليها، وزادهم من الخير والتوفيق لما فيه صلاح المسلمين.

كما أنّي أسأل الله أن ينفع به، ويجعله مؤدياً للمطلوب من توضيح هذه العقيدة العظيمة، وأن يغفر لي ما وقع مني من خطأ، ويثبني على ما فيه من صواب؛ إنه سميع مجيب.

وصلّى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ، الْعَلَمُ الرَّبَّانِيُّ، تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشرح

ابتدأ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه بالبسملة؛ اقتداء بالكتاب العزيز، حيث جاءت البسملة في ابتداء كل سورة ما عدا سورة براءة^(١)، واقتداءً بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث كان يبدأ بها في مكاتباته^(٢).

وقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الباء للاستعانة.

والاسم في اللغة: ما دل على مسمى^(٣).

(١) انظر هذه المسألة في: تفسير الطبري (١/١١٢)، وتفسير السمعاني (١/٣٢)، وتفسير البغوي (١/٥١)، وزاد المسير (١/١٤)، وابن كثير (١/١١٦-١١٧)، والتحرير والتنوير (١/١٣٨)، والقرطبي (١/٩٢-٩٣)، وأحكام القرآن للجصاص (١/١١)، ومجموع الفتاوى (٢٢/٢٧٦، وما بعدها، ٤٣٨، ٤٤٠).

(٢) كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقتصر عليها في مراسلاته؛ كما في كتابه هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ». وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكتب أول ما يكتب «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»، فلما نزلت: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] كتب: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/٨١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/٢٦١)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/٢٦٤) عن الشعبي، وأخرجه أبو داود في مراسيله (ص ٩٠) عن أبي مالك. وانظر: الدر المنثور (٦/٣٥٤).

(٣) انظر: العين (٧/٣١٨)، وتهذيب اللغة (١٣/٧٨)، ولسان العرب (١٤/٣٩٧).

وعند النحويين: ما دل على معنى في نفسه ولم يقترن بزمان.

والجار والمجرور متعلق بمحذوف، ينبغي أن يقدر متأخرًا؛ ليفيد الحصر^(١).

و(الله): علم على الذات المقدسة، ومعناه: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين^(٢). مشتق من أله يأله ألوهة، بمعنى عبد يعبد عبادة^(٣)، فالله إله بمعنى مألوه، أي: معبود^(٤).

و﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: اسمان كريمان من أسمائه الحسنی، دالّان على اتصافه تعالى بالرحمة على ما يليق بجلاله.

فالرحمن: ذو الرحمة العامة لجميع المخلوقات.

والرحيم: ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣] ^(٥).

(١) انظر: مدارج السالكين (١-٨٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ١٢١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «اللَّهُ ذُو الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعِبُودِيَّةِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ».

(٣) انظر: العين (٤/ ٣٢)، واشتقاق أسماء الله (١/ ٢٤)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٢٧)، ولسان العرب (١٣/ ٤٦٧)، ومختار الصحاح (ص ٩)، والمصباح المنير (ص ١٩)، وتفسير الطبري (١/ ١٢١)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٢٣).

(٤) انظر: العين (٤/ ٣٢)، واشتقاق أسماء الله (١/ ٢٤)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٢٧)، وتفسير الطبري (١/ ١٢١)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٢٣).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٢٦)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٣)، والمححر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٦٣-٦٤)، وزاد المسير (١/ ١٦)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٢٤).

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

الشرح

افتتح هذه الرسالة الجليلة بهذه الخطبة المشتملة على حمد الله والشهادتين والصلاة على رسوله؛ تأسيًا بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديثه وخطبه، وعملاً بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ، فَهُوَ أَقْطَعُ» رواه أبو داود وغيره^(١)، ويروى: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، ومعنى «أقطع» أي: معدوم البركة. ويجمع بين الروایتين؛ لأن الابتداء بسم الله حقيقي، وبالحمد لله نسبي إضافي.

قوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) الألف واللام للاستغراق، أي: جميع المحامد لله ملكاً واستحقاقاً^(٢).

والحمد لغة: الثناء بالصفات الجميلة والأفعال الحسنة.

(١) ورد هذا الحديث بألفاظ متقاربة، منها المرفوع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها المرسل، وقد أخرجه أبو داود (٤٨٤٠)، والنسائي في الكبرى (١٠٢٥٥)، وابن ماجه (١٨٩٤)، وأحمد في المسند (٣٢٩/١٤)، وابن حبان في صحيحه (١٧٣/١)، وابن أبي شبة في مصنفه (٣٣٩/٥)، والدارقطني (٢٢٩/١)، والبيهقي في الكبرى (٢٠٨/٣)، وفي شعب الإيمان (٩٠/٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٣٨/١)، والدر المصون (٣٧/١)، وتفسير ابن كثير (١٣١/١).

وَعُرْفًا: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا، وهو ضد الذم^(١).

(لله) تقدم الكلام على لفظ الجلالة.

(الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ) الله سبحانه يُحْمَدُ على نعمه التي لا تحصى، ومن أجل هذه النعم أن (أَرْسَلَ) أي: بعث (رَسُولَهُ) محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والرسول لغة: من بُعث برسالة^(٢).

وشرعًا: هو إنسان ذكر أُوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

(بِالْهُدَى) أي: العلم النافع، وهو كل ما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ من الإخبارات الصادقة، والأوامر والنواهي، وسائر الشرائع النافعة.

والهدى نوعان^(٣):

النوع الأول: هدى بمعنى الدلالة والبيان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]. وهذا يقوم به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

(١) انظر: مادة (حمد) في: العين (١٨٨/٣)، وتهذيب اللغة (٢٥١/٤)، ومقاييس اللغة (١٠٠/٢)، ولسان العرب (١٥٥/٣). وانظر الكلام على الحمد في: تفسير ابن جرير (١٣٥/١)، وزاد المسير (١٧/١)، والمفردات للراغب (ص ٢٥٦)، وتفسير ابن كثير (١٠١/١)، وبدائع الفوائد (٩٢-٩٦).

(٢) انظر: التعاريف للمناوي (ص ٣٦٣)، والقاموس المحيط (٣٨٥/٤) مادة (رسل)، ولسان العرب (٢٨٤/١١).

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص ٥٣٨)، وبدائع الفوائد (٢/٣٥-٣٧)، ومدارج السالكين (١/٣٢، ٣٣)، وتفسير الطبري (١/١٦٧-١٦٩)، وتفسير ابن كثير (١/١٣٧).

النوع الثاني: هدى بمعنى التوفيق والإلهام، وهذا هو المنفي عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يقدر عليه إلا الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

قوله: (وَدِينِ الْحَقِّ) هو العمل الصالح.

والدين يطلق ويراد به الجزاء؛ كقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، ويطلق ويراد به الخضوع والانقياد^(١)، وإضافة الدين إلى الحق من إضافة الموصوف إلى صفته؛ أي: الدين الحق. والحق مصدر: حق يحق، بمعنى: ثبت ووجب، وضده الباطل.

قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي: ليعليه على جميع الأديان، بالحجة والبيان والجهاد، حتى يظهر على مخالفه من أهل الأرض من عرب

(١) في لسان العرب (١٣/ ١٥٣): «الدِّين: العادة، تقول: ما زال ذلك دَيْدَنَهُ ودَيْدَانَهُ ودَيْنَهُ ودَأْبَهُ وعَادَتَهُ». وفي المصباح المنير (ص ١٠٨): «(دَانَ) بالإسلام «دِينًا» بالكسر: تَعَبَّدَ به و«تَدَيَّنَ بِهِ» كذلك، فهو «دَيِّنٌ»، مثل: ساد فهو «سَيِّدٌ»، و«دَيَّنْتُهُ» بالثقل: وكلته إلى دينه، و«تَرَكُّنْتُ وَمَا يَدِينُ» لم أعترض عليه فيما يراه سائغاً في اعتقاده، و«دَنَنْتُهُ» «أَدِينْتُهُ»: جازيته.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (والدين هو الطاعة والعبادة والخلق، فهو الطاعة الدائمة اللازمة التي قد صارت عادة وخلقاً، بخلاف الطاعة مرة واحدة؛ ولهذا فُسِّرَ الدين بالعادة والخلق، ويُفسر الخلق بالدين أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. قال ابن عباس: على دين عظيم. وذكره عنه سفيان بن عُيَيْنَةَ، وأخذه الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة وبذلك فسراه.

وكذلك يفسر بالعادة كما قال الشاعر: (أهذا دينه أبداً وديني)، ومنه الديدن، يقال: هذا ديدنه؛ أي: عادته اللازمة؛ فإن ديدن من دان بمنزلة صلصل من صل، وكبكب من كب؛ هو تضعيف له والمضعف قد يكون مشدداً وقد يكون حرف لين، وهم يعاقبون في كلامهم). انظر: قاعدة في المحبة (ص ٣٢-٣٤).

وعجم، ملّينَ ومشركين، وقد وقع ذلك؛ فإن المسلمين جاهدوا في الله حق جهاده، حتى اتسعت رقعة البلاد الإسلامية، وانتشر هذا الدين في المشارق والمغارب.

قوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: شاهداً أنه رسوله، ومطلع على جميع أفعاله، وناصره على أعدائه، وفي ذلك دلالة قاطعة على صدق هذا الرسول؛ إذ لو كان مفترياً لعاجله الله بالعقوبة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿[الحاقة: ٤٤-٤٦].

قوله: (وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أي: أقرُّ وأعترف أن لا معبود بحق إلا الله (وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ) في هاتين الكلمتين تأكيد لما تضمنته شهادة أن لا إله إلا الله من النفي والإثبات: نفي الإلهية عما سوى الله، وإثباته لله؛ فقوله: (وَحْدَهُ) تأكيد للإثبات، وقوله: (لَا شَرِيكَ لَهُ) تأكيد للنفي^(١).

وقوله: (إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا) مصدران مؤكدان لمعنى الجملة السابقة. (وأشهد أن لا إله إلا الله) إلخ، أي: إقراراً باللسان وتوحيداً؛ أي: إخلاصاً في كل عبادة قولية أو فعلية أو اعتقادية.

وقوله: (وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) أي: أقر بلساني وأعتقد بقلبي أن الله أرسل عبده محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس كافة؛ لأن الشهادة لهذا الرسول بالرسالة مقرونة بالشهادة لله بالتوحيد، لا تكفي إحداها عن الأخرى.

(١) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا تأكيد بعد تأكيد لبيان عظم مقام التوحيد). انظر: فتح الباري (٣٤٥/١٣).

وفي قوله: (عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) رُدُّ عَلَى أَهْلِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ فِي حَقِّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَأَهْلُ الْإِفْرَاطِ غَلَوْا فِي حَقِّهِ وَرَفَعُوهُ فَوْقَ مَنْزِلَةِ الْعِبَادَةِ، وَأَهْلُ التَّفْرِيطِ قَدْ نَبَذُوا مَا جَاءَ بِهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُ غَيْرُ رَسُولٍ؛ فَشَهَادَةُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ تَنْفِي الْغُلُوِّ فِيهِ وَرَفْعُهُ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ، وَشَهَادَةُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ تَقْتَضِي الْإِيمَانَ بِهِ وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابَ مَا نَهَى عَنْهُ، وَاتِّبَاعَهُ فِيمَا شَرَعَ.

وقوله: (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ) الصلاة لغة: الدعاء^(١).

وأصح ما قيل في معنى الصلاة من الله على الرسول: ما ذكره البخاري في صحيحه عن أبي العالية قال: صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه في الملاء الأعلى^(٢).

قوله: (وَعَلَى آلِهِ) آل الشخص مَنْ يَنْتَمُونَ إِلَيْهِ بِصِلَةٍ وَثِيقَةٍ مِنْ قَرَابَةٍ وَنَحْوِهَا. وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْمَرَادِ بِآلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُنَا أَنَّهُمْ أَتْبَاعُهُ عَلَى دِينِهِ.

قوله: (وَصَحْبِهِ) جمع صاحب. من عطف الخاص على العام. والصحابي: هو من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به، ومات على ذلك^(٣).

(١) انظر في معنى الصلاة: تهذيب اللغة (١٢/ ١٦٥)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٣٧٢)، ومختار الصحاح (١/ ١٥٤).

(٢) ذكره البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ معلقاً بصيغة الجزم عن أبي العالية، قال: «صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ». انظر: صحيح البخاري (٦/ ١٢٠). وانظر: كتاب (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام): (ص ٢٥٣ - ٢٧٦)، و(بدائع الفوائد): (١/ ٤٤ - ٤٧) لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) انظر في تعريف الصحابي: شرح التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي (٢/ ١٢٠)، والإصابة لابن حجر (١/ ٤، ٥، ١٥٨)، ونخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (٤/ ٧٢٤)، =

قوله: (وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا) السلام بمعنى التحية، أو السلامة من النقائص والردائل^(١).

وقوله: (مَزِيدًا) اسم مفعول من الزيادة، وهي النمو.

وجمع بين الصلاة والسلام امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].



=وتدريب الراوي للسيوطي (ص ٢٨٨، ٢٨٩)، وفتح المغيث للعراقي (ص ٣٤٢)، وفتح المغيث للسخاوي (٣/ ٧٨، ٧٩).

(١) انظر في معنى السلام: العين (٧/ ٢٦٥)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٦٥)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٣٠٩)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٥١٢)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٩٢-٣٩٦).

أَمَّا بَعْدُ: فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ...

الشرح

قوله: (أَمَّا بَعْدُ) هذه الكلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر، ومعناها: مهما يكن من شيء، ويستحب الإتيان بها في الخطب والمكاتبات؛ اقتداء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث كان يفعل ذلك^(١).

قوله: (فَهَذَا) إشارة إلى ما تَضَمَّنَتْ هذه الرسالة واحتوت عليه من العقائد الإيمانية التي أوجملها بقوله: (وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ).

قوله: (اعْتِقَادُ) مصدر: اعتقد كذا؛ إذا اتخذ عقيدة، والعقيدة: هي ما يعقد عليه المرء قلبه، تقول: اعتقدت كذا؛ أي: عقدت عليه القلب والضمير. وأصله مأخوذ من عقد الحبل؛ إذا ربطه، ثم استعمل في عقيدة القلب وتصميمه الجازم^(٢).

قوله: (الْفِرْقَةُ) أي: الطائفة والجماعة.

(١) هي المذكورة ضمن خطبة الحاجة التي كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكرها بين يدي خطبه أو حاجته، وقد أخرجها مسلم مختصرة من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٨٦٧، ٨٦٨).
وأخرج ابن أبي عاصم في الأوائل (١/ ١١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٣٧/ ١٠)، عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ» دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ فَصْلُ الْخُطَابِ»، ورواه الطبراني في الأوائل (ص ٦٨) مرفوعاً إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وانظر تفسير ابن كثير (٧/ ٥٩)، والدر المنثور (٥/ ٥٦٤).

(٢) انظر: مادة (عقد) في: لسان العرب (٣/ ٢٩٦)، ومختار الصحاح (ص ١٨٦)، والقاموس المحيط (٣٨٣).

قوله: (النَّاجِيَةُ) أي: التي سلمت من الهلاك والشرور في الدنيا والآخرة، وحصلت على السعادة. وهذا الوصف مأخوذ من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ». رواه البخاري ومسلم^(١).

قوله: (الْمَنْصُورَةُ) أي: المؤيَّدة على مَنْ خالفها (إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ) أي: مجيء ساعة موتهم، بمجيء الريح التي تقبض رُوح كل مؤمن، فهذه هي الساعة في حق المؤمنين، وأما الساعة التي يكون بها انتهاء الدنيا فهي لا تقوم إلا على شرار الناس؛ لما في صحيح مسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ، اللَّهُ»^(٢)، وروى الإمام الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه: «... ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا رِيحُهَا رِيحُ الْمِسْكِ، وَمَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٠) من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد أخرجاه من حديث جابر وثوبان والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم بِالْفَافِظِ مُتَقَارِبَةً.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤) (١٤٨) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الحاكم (٥٠٣/٤)، وابن حبان (٢٥٠/١٥). وأخرجه مسلم (١٧٦) (١٩٢٤) عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ الْمُهَرِّيِّ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ. فَيَبْنِي هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةً بَنِي عَامِرٍ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ، اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَجَلٌ، «ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ، مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

الشَّرْحُ

قوله: (أَهْلُ السُّنَّةِ) (أَهْلٌ) بالكسر على أنه بدل من الفرقة، ويجوز الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هم).

والسُّنَّةُ: هي الطريقة التي كان عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ من أقواله، وأفعاله، وتقريراته^(١).

وَسُمُّوا أَهْلَ السُّنَّةِ؛ لانتسابهم لِسُنَّةِ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون غيرها من المقالات والمذاهب، بخلاف أهل البدع؛ فإنهم يُنسبون إلى بدعهم وضلالاتهم؛ كالقدرية^(٢)، والمرجئة^(٣)، وتارة يُنسبون إلى إمامهم؛ كالجهمية^(٤)، وتارة

(١) انظر: أصول السرخسي (١/١١٣)، وإرشاد الفحول (ص ٦٧)، وفتح المغيث للسخاوي (١/٢٥)، وتدريب الراوي للسيوطي (١/٤١).

(٢) القدرية هم نفاة القدر القائلون بأن العبد يخلق فعل نفسه، وليس لله فيه إرادة ولا خلق ولا مشيئة، فأنكروا عموم المشيئة والخلق. قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٤٩٣): (والقدرية نفاة القدر، جعلوا خالقين مع الله تعالى؛ ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس...) اهـ. ويُطلق اسم القدرية على الغلاة في القدر. انظر: الفرق بين الفرق (ص ١١٢، ٢٤١)، ومجموع الفتاوى (٨/٧-٥٨)، والصفدية (١/٥٠)، ودرء التعارض (١/٣٧١-٣٧٤).

(٣) المرجئة: قيل: من الإرجاء، أي: من التأخير؛ لأنهم أخرّوا العمل عن مسمى الإيمان. وقيل: من الرجاء؛ لأنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فِرْقٌ شَتَّى. انظر: (مقالات الإسلاميين) (ص ١٣٢)، و(الفرق بين الفرق) (ص ١٩٠).

(٤) هم أتباع الجهم بن صفوان أبي محرز الراسبي، مولا هم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًّا عظيمًا، وهو رأس في التعطيل، =

يُنْسَبُونَ إِلَى أَفْعَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ؛ كَالرَّافِضَةِ^(١)، وَالْخَوَارِجِ^(٢).

قوله: (وَالْجَمَاعَةُ) لغة: الفرقة المجتمعة من الناس^(٣).

والمراد بهم هنا: الذين اجتمعوا على الحق الثابت بالكتاب والسنة،

وهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعون لهم بإحسان ولو كانوا قلة، كما قال

= قُتِلَ سَنَةَ ١٢٨ هـ، قَتَلَهُ سَلْمُ بْنُ أَحْوَزٍ. انظر: المِلَلُ والنَّحْلُ للشَّهْرِسْتَانِي (١/٨٦)،
والفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ (ص ١٩٩)، ومِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ لِلذَّهَبِيِّ (٢/١٥٩)، والتعريفات
لِلجُرْجَانِي (ص ١٠٨)، وفتح الباري (١٣/٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز
(٥٣٩).

(١) هي فرقة من فرق الشيعة الضالة، سُمُوا (رافضة)؛ لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،
ويقال: سموا بالروافض؛ لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خرج
على هشام بن عبد الملك، فطعن عسكره على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمنعهم من ذلك، فرفضوه،
فقال لهم زيد بن علي: رفضتموني؟! قالوا: نعم؛ فبقي عليهم هذا الاسم. وهم يُدْعَوْنَ
الإمامية؛ لقولهم بالنص على إمامة علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: مقالات الإسلاميين
(ص ١٦ وما بعدها)، والفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ (ص ١٥)، واعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين
(ص ٥٢).

(٢) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا
بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ
صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». أخرجه
البخاري (٢٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكل من
خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً؛ سواء كان الخروج في
أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل
زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ٥٤)، والمِلَلُ
وَالنَّحْلُ (١/١١٤).

(٣) انظر: الصحاح (٣/١١٩٨)، ومقاييس اللغة (١/٤٧٩).

ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وَحْدَكَ، فإنك أنت الجماعة حَيْثُ»^(١).



(١) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/١٢١، برقم ١٦٠)، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/٤٠٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٦/٤٠٩).

وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ،
وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ.

الشرح

(وَهُوَ) أي: اعتقاد الفرقة الناجية (الْإِيمَانُ) الإيمان معناه لغة: التصديق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي: مُصَدِّق^(١).

وتعريفه شرعاً: أنه قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح^(٢).

وقوله: (بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ) هذه هي أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بها جميعاً على الوجه الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة، وهذه الأركان هي:

١- الْإِيمَانُ بِاللَّهِ: وهو الاعتقاد الجازم بأنه رب كل شيء ومليكه، وأنه مُتَّصِفٌ بصفات الكمال، مُنَزَّهٌ عن كل عيب ونقص، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له. والقيام بذلك علماً وعملاً.

(١) انظر: لسان العرب (٢١/١٣)، ومقاييس اللغة (١٣٣/١)، وختار الصحاح (ص ١١)، والنهاية في غريب الحديث (٦٩/١). وانظر مبحثاً في معنى الإيمان في اللغة في: كتاب الإيمان الأوسط (ص ٧٧) لشيوخ الإسلام ابن تيمية، والإيمان الكبير (ص ٢٧٥ وما بعدها).

(٢) انظر: لمعة الاعتقاد (ص ٢٣)، ومجموع الفتاوى (٥٠٥/٧)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٨٤).

٢- **الإيمان بالملائكة:** أي التصديق بوجودهم، وأنهم كما وصفهم الله في كتابه كما في الآيتين (٢٦، ٢٧) من سورة الأنبياء: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾. وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأوصافهم، وأنهم موكلون بأعمال يؤدونها كما أمرهم الله، فيجب الإيمان بذلك كله.

٣- **الإيمان بالكتب:** أي: التصديق بالكتب التي أنزلها الله على رسله، وأنها كلامه، وأنها حق ونور وهدى، فيجب الإيمان بها سمي الله منها؛ كالطوراة والإنجيل والزبور والقرآن، والإيمان بها لم يُسمَّ الله منها.

٤- **الإيمان بالرسل الذين أرسلهم الله إلى خلقه:** أي: التصديق بهم جميعاً، وأنهم صادقون فيما أخبروا به، وأنهم بلغوا رسالات ربهم، لا نفرق بين أحد منهم، بل نؤمن بهم جميعاً؛ مَنْ سَمَّى الله منهم في كتابه وَمَنْ لم يُسمَّ منهم، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]. وأفضلهم أولو العزم، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد -عليهم الصلاة والسلام-، ثم بقية الرسل، ثم الأنبياء، وأفضل الجميع خاتم الرسل نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأصح ما قيل في الفرق بين النبي والرسول: أن النبي: مَنْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ بشرع ولم يُؤْمَرْ بتبليغه. والرسول: مَنْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ بشرع وأمر بتبليغه^(١).

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «النبوات» (ص ٢٨١): (فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبيء بها أنبأ الله به، فَإِنْ أُرْسِلَ مع ذلك إِلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ لِيُبَلِّغَهُ رِسَالَةَ اللَّهِ إِلَيْهِ فهو رسول، وأما إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَعْمَلُ بِالشَّرِيعَةِ قَبْلَهُ وَلَمْ يُرْسَلْ هُوَ إِلَى أَحَدٍ يَبْلُغُهُ عَنِ اللَّهِ =

٥- **الإيمان بالبعث:** وهو التصديق بإخراج الموتى من قبورهم أحياء يوم القيامة لفصل القضاء بينهم، ومجازاتهم بأعمالهم، على الصفة التي بينها الله في كتابه، وبينها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته.

٦- **الإيمان بالقدر خيره وشره:** وهو التصديق بأن الله سبحانه علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل وجودها، ثم كتبها في اللوح المحفوظ، ثم أوجدتها بقدرته ومشيئته في مواعيدها المقدرة. فكل مُحَدَّثٍ من خير أو شر فهو صادر عن علمه وتقديره ومشيئته وإرادته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

هذا شرح مجمل لأصول الإيمان، وسيأتي إن شاء الله شرحها مفصلاً.



وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ: الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ.

الشَّرْحُ

بعد ما ذكر المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ الأصول التي يجب الإيمان بها مجملة، شرع يذكرها على سبيل التفصيل، وبدأ بالأصل الأول وهو الإيمان بالله تعالى، فذكر أنه يدخل فيه الإيمانُ بصفاتهِ التي وصف نفسه بها في كتابه، أو وصفه بها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سُنَّتِهِ، وذلك بأن ثبتها له كما جاءت في الكتاب والسنة بألفاظها ومعانيها، من غير تحريف لألفاظها، ولا تعطيلٍ لمعانيها، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين، وأن نعتمد في إثباتها على الكتاب والسنة فقط، لا نتجاوز القرآن والحديث؛ لأنها توقيفية.

والتحريف: هو التغير وإمالة الشيء عن وجهه.. يقال: انحرف عن كذا؛ إذا مال^(١). وهو نوعان^(٢):

النوع الأول: تحريف اللفظ، وهو العدول به عن جهته إلى غيرها؛ إما بزيادة كلمة أو حرف، أو نقصانه، أو تغيير حركة؛ كقول أهل الضلال في

(١) انظر: العين (٣/٢١١)، ومقاييس اللغة (٢/٤٢)، ولسان العرب (٩/٤٣)، ومختار الصحاح (ص ٥٥).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الصواعق المرسلّة (١/٣٥٨): (والتحريف نوعان: تحريف اللفظ: وهو تبديله، وتحريف المعنى: وهو صرف اللفظ عنه إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ) اهـ.

قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] أي: استولى، فزادوا في الآية حرفاً^(١)! وكقولهم في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أي: أمر ربك، فزادوا كلمة! وكقولهم في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] بنصب لفظ الجلالة، فغيروا الحركة الإعرابية من الرفع إلى النصب!

النوع الثاني: تحريف المعنى، وهو العدول به عن وجهه وحقيقته، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر؛ كقول المبتدعة: إن معنى الرحمة: إرادة الإنعام، وإن معنى الغضب: إرادة الانتقام!

والتعطيل لغة: الإخلاء، يقال: عطله، أي: أخلاه^(٢)، والمراد به هنا: نفي الصفات عن الله سبحانه وتعالى.

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٠٣/١، ٣٠٤)، وتفسير ابن كثير (١/١٠٠)، وفتح الباري (٨/٣٠٤)، والدر المشور (١/١٧٣). وانظر أيضاً: مجموع الفتاوى (٥/١٤٤). هذا،

وقد قال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

أَمْرَ الْيَهُودِ بِأَنْ يَقُولُوا حِطَّةً	فَأَبَوْا وَقَالُوا حِنْطَةٌ لِهَوَانٍ
وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ قِيلَ لَهُ: اسْتَوَى	فَأَبَى وَزَادَ الْحَرْفَ لِلنَّقْصَانِ
قَالَ: اسْتَوَى اسْتَوَى، وَذَا مِنْ جَهْلِهِ	لُغَةً وَعَقْلًا مَا هُمَا سَيِّئَانِ
عَشْرُونَ وَجْهًا تُبْطِلُ التَّأْوِيلَ بِأَسْ	تَوَلَّى فَلَا تَخْرُجُ عَنِ الْقُرْآنِ
قَدْ أَفْرَدَتْ بِمُصَنَّفٍ هُوَ عِنْدَنَا	تَصْنِيفُ حَبِيزٍ عَالِمٍ زَيَّانِي
وَلَقَدْ ذَكَرْنَا أَزْوَاجِينَ طَرِيقَةً	قَدْ أَبْطَلْتَ هَذَا بِحُسْنِ بَيَانٍ
هِيَ فِي الصَّوْاعِقِ إِنْ تُرِيدَ تَحْقِيقُهَا	لَا تَخْتَفِي إِلَّا عَلَى الْعُمَيَّانِ
نُؤْنُ الْيَهُودَ وَلَا مَجْهَمِي هُمَا	فِي وَحْيِ رَبِّ الْعَرْشِ زَائِدَتَانِ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/٢٦).

(٢) انظر: العين (٩/٢)، وتهذيب اللغة (٩٨/٢)، ومقاييس اللغة (٤/٣٥١)، والنهاية في غريب الأثر (٣/٢٥٧)، ولسان العرب (١١/٤٥٤).

والفرق بين التحريف والتعطيل: أن التحريف هو نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص، واستبداله بمعنى آخر غير صحيح. والتعطيل: هو نفي المعنى الصحيح من غير استبدال له بمعنى آخر، كفعل المفوضة؛ فكل محرّف معطل، وليس كل معطلٍ محرّفًا.

والتكييف: هو تعيين كيفية الصفة، يقال: كَيْفَ الشيء؛ إذا جعل له كيفية معلومة^(١)، فتكييف صفات الله هو تعيين كيفيتها وهيئة التي تكون عليها، وهذا لا يمكن للبشر؛ لأنها مما استأثر الله تعالى بعلمه، فلا سبيل إلى الوصول إليه؛ لأن الصفة تابعة للذات، فكما أن ذات الله لا يمكن للبشر معرفة كيفيتها، فكذلك صفته سبحانه لا تعلم كيفيتها؛ ولهذا لما سُئِلَ الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ فَقِيلَ لَهُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَقَالَ: «الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»^(٢)، وهذا يقال في سائر الصفات.

والتمثيل: هو التشبيه بأن يقال: إن صفات الله مثل صفات المخلوقين^(٣)! كأن يقال: يد الله كأيدينا، وسمعُه كسمعنا! تعالى الله عن ذلك، قال تعالى:

(١) قال شيخ الإسلام في درء التعارض (٥/٢٣٥): (وأما الكيف فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، وهو المجهول لنا) اهـ.

(٢) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٠٤، ٣٠٥)، وفي الاعتقاد (ص ١١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٥)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/١٠٠)، وفي العلو (ص ١٣٩).

(٣) انظر: النهاية في الغريب والأثر (٤/٢٩٥)، ولسان العرب (١١/٦١٤)، ومختار الصحاح (ص ٢٥٦).

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فلا يقال في صفاته: إنها مثل صفاتنا، أو شبه صفاتنا، أو كصفاتنا، كما لا يقال: إن ذات الله مثل أو شبه ذواتنا، فالمؤمن الموحد يثبت الصفات كلها على الوجه اللائق بعظمة الله وكبريائه، والمعطل ينفىها أو ينفي بعضها، والمشبّه الممثل يثبتها على وجه لا يليق بالله، وإنما يليق بالمخلوق.



بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ
عَنْ مَوَاضِعِهِ.

الشرح

لما ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الواجب هو الإيمان بصفات الله الثابتة في
الكتاب والسنة، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ بَيَّنَّ
موقف أهل السنة والجماعة من ذلك، وهو أنهم يؤمنون بتلك الصفات على
هذا المنهج المستقيم، فيثبتونها على حقيقتها، نَافِينَ عَنْهَا التمثيل، فلا يعطلون
ولا يمثلون، على وَفْقٍ ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
رَدٌّ عَلَى المِثْلَةِ، وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رَدٌّ عَلَى المعطلة^(١)؛ لَأَنَّ
فيه إثباتَ السمع والبصر، فالآية الكريمة دستور واضح في باب الأسماء
والصفات؛ لأنها جمعت بين إثبات الصفات لله ونفي التمثيل عنها، وسيأتي
تفسيرها إن شاء الله.

وقوله: (فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ) أي: لا يحمل أهل السنة
والجماعة إيمانهم بأن الله ليس كمثله شيء على أن ينفوا عنه ما وصف به نفسه،

(١) المعطلة هم الذين عطلوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ صفاته، ونفوها عنه، ويُسمون أيضًا بالنفاة،
وهم كثير، فمنهم الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية. انظر: قانون التأويل
(١/ ٣٥٤)، وتبيين كذب المفتري (ص ١٤٩)، والفتاوى الكبرى (٦/ ٣٣٧)، ومجموع
الفتاوى (١٢/ ٥٩٨، ١٦/ ٢٤١).

كما يفعل ذلك الذين غلوا في التنزيه حتى عطلوه من صفاته بحجة الفرار من التمثيل بصفات المخلوقين!

فأهل السنة يقولون: لله سبحانه صفاتٌ تخصه وتليق به، وللمخلوقين صفاتٌ تخصهم وتليق بهم، ولا تشابه بين صفات الخالق وصفات المخلوق؛ فلا يلزم هذا المحذور الذي ذكرتم أيها المعطلة.

وقوله: (وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) تقدم بيان معنى التحريف. أي: لا يغيرون كلام الله فيبدلون ألفاظه، أو يغيرون معانيه فيفسرونه بغير تفسيره كما يفعل المعطلة الذين يقولون في: ﴿أَسْتَوَى﴾: استولى، وفي: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾: جاء أمر ربك! ويفسرون رحمة الله بإرادة الإنعام... ونحو ذلك!



وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، وَلَا يُكَيِّفُونَ، وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ
بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛

الشرح

قوله: (وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ) الإلحاد لغة: الميل والعدول عن الشيء، ومنه اللحد في القبر، سُمِّيَ بذلك؛ لميله وانحرافه عن سمت الحفر إلى جهة القبلة^(١). والإلحاد في أسماء الله وآياته هو العدول والميل بها عن حقائقها ومعانيها الصحيحة إلى الباطل.

والإلحاد في أسماء الله وصفاته أنواع:

النوع الأول: أن تسمى الأصنام بها؛ كتسمية اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان^(٢)!

النوع الثاني: تسميته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَا لا يليق به؛ كتسمية النصراني له أبا، وتسمية الفلاسفة له موجباً أو علة فاعلة!

النوع الثالث: وصفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَا يَنْزَعُهُ عَنْهُ مِنَ النِّقَاطِصِ؛ كقول اليهود الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأنه استراح يوم السبت! تعالى الله عما يقولون.

(١) انظر: النهاية في غريب الأثر (٢٣٦/٤)، ولسان العرب (٢٨٩/٣)، ومختار الصحاح (ص ٢٤٧).

(٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «سَمَوُ اللَّاتِ مِنَ الْإِلَهِ، وَالْعَزَى مِنَ الْعَزِيزِ». أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٣/٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢٣/٥).

النوع الرابع: جحد معانيها وحقائقها؛ كقول الجهمية: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفاتٍ ولا معاني، فالسميع لا يدل على سميع، والبصير لا يدل على بصر، والحي لا يدل على حياة... ونحو ذلك!

النوع الخامس: تشبيه صفاته بصفات خلقه؛ كقول الممثل: يده كيدي... إلى غير ذلك! - تعالى الله -. وقد توعّد الله الملحدّين في أسمائه وآياته بأشدّ الوعيد، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠].

قوله: (وَلَا يُكَيِّفُونَ، وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ) تقدم بيان معنى التكييف والتمثيل^(١).



لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفَّ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ؛ فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلاً، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

الشرح

قوله: (لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ) هذا تعليل لما سبق من قوله عن أهل السنة: (وَلَا يُكَيِّفُونَ، وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ).

و(سُبْحَانَهُ) سبحان: مصدر مثل غفران، من التسبيح، وهو التنزيه.

قوله: (لَا سَمِيَّ لَهُ) أي: لا نظير له يستحق مثل اسمه، كقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]؟ استفهام معناه النفي، أي: لا أحد يساميه أو يماثله^(١).

قوله: (وَلَا كُفَّ لَهُ) الكفاء هو المكافئ المماثل، أي: لا مثل له، كقوله تعالى في سورة الإخلاص: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

(وَلَا نِدَّ لَهُ) الند: هو الشبيه والنظير^(٢)، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢].

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/١٠٦)، وشُعَبُ الْإِيمَانُ لِلْبَيْهَقِيِّ (١/١٤٣)، وتفسير ابن كثير (٣/١١٣)، وفتح الباري (٦/٤٦٨)، والدر المنثور (٥/٥٣١). وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٥/٢٥١): (في قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: مثلاً وشبهاً. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبّير، ومجاهد، وقتادة. والثاني: هل تعلم أحداً يُسَمَّى الله غيره؟ رواه عطاء عن ابن عباس.

والثالث: هل تعلم أحداً يستحق أن يقال له خالق وقادر إلا هو؟ قاله الزّجاج اهـ.

(٢) انظر: العين (٨/١٠)، والصّحاح (٢/٥٤٣)، وتهذيب اللغة (٤/٥١)، ولسان العرب (٣/٤٢٠).

قوله: (وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ) القياس في اللغة: التمثيل^(١)، أي: لا يشبه ولا يمثل بهم، قال سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، فلا يقاس سبحانه بخلقه؛ لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، وكيف يقاس الخالق الكامل بال مخلوق الناقص؟! تعالى الله عن ذلك.

(فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ)، وهذا تعليل لما سبق من وجوب إثبات ما أثبتته لنفسه من الصفات، ومنع قياسه بخلقه؛ فإنه إذا كان أعلم بنفسه وبغيره وجب أن يثبت له من الصفات ما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والخلق لا يحيطون به علمًا، فهو الموصوف بصفات الكمال التي لا تبلغها عقول المخلوقين، فيجب علينا أن نرضى بما رضىه لنفسه؛ فهو أعلم بما يليق به، ونحن لا نعلم ذلك. وهو سبحانه: (أَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ)، فما أخبر به فهو صدق وحق، يجب علينا أن نصدقه ولا نعارضه، وألفاظه أحسن الألفاظ وأفصحها وأوضحها، وقد بين ما يليق به من الأسماء والصفات أتم بيان؛ فيجب قبول ذلك والتسليم له.

(١) انظر: الصحاح (٣/ ٩٦٨)، ومقاييس اللغة (٥/ ٤٠).

ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدِّقُونَ، بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ.

الشَّحْ

قوله: (ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدِّقُونَ) هذا عطف على قوله: (فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْلَمَ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ) الصدق: مطابقة الخبر للواقع؛ أي: صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى، (مُصَدِّقُونَ) أي: فيما يأتيهم من الوحي بواسطة الملائكة؛ لأنه من عند الله، فهم لا ينطقون عن الهوى. وهذا توثيق لسند الرسل عليهم الصلاة والسلام، فقد قيل لهم الحق، وبلغوه للخلق؛ فيجب قبول ما وصفوا الله به، فهم (بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ) أي: بخلاف الذين يقولون على الله بلا علم في شرعه ودينه، وفي أسمائه وصفاته، بل بمجرد ظنونهم وتخيلاتهم، أو بما يتلقونه عن الشياطين؛ كالمُتَنَبِّئِينَ الكَذَبَةِ، والمبتدعة والزنادقة، والسحرة والكهان والمنجمين، وعلماء السوء، كما قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۖ ﴿٣٣﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۖ ﴿٣٤﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣]، وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِن عِندِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٩] الآية.

فإذا كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمَ بنفسه وبغيره، وكان أصدق قولاً وأحسن حديثاً من خلقه، وكان رسله - عليهم الصلاة والسلام - صادقين في كل ما يخبرون به عنه، والواسطة بينهم وبين الله التي تأتيهم بالوحي من عنده واسطة صادقة من ملائكته الكرام؛ وجب التعويل إذن على ما قاله

الله ورسله، لا سيما في باب الأسماء والصفات نفياً وإثباتاً، ورفض ما قاله
المبتدعة والضَّالُّ ممن يدعي المجاز في الأسماء والصفات، وينفيها بشتى
وسائل النفي، معرضين عما جاءت به الرسل، معتمدين على أهوائهم، أو
مقلدين لمن لا يصلح للقدوة من الضلال.



وَلِهَذَا قَالَ: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) وَسَلَّمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الصفات: ١٨٠-١٨٢]، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

الشَّرْحُ

المضردات:

وَلِهَذَا: تعليل لما سبق من كون كلام الله وكلام رسوله أصدق وأحسن. سُبْحَانَ: اسم مصدر من التسييح، وهو التنزيه. رَبِّكَ: الرب هو المالك السيد المربي لخلقه بِنِعَمِهِ. الْعِزَّةُ: القوَّة والغلبة والمنعة. وإضافة الرب إلى العزة من إضافة الموصوف إلى الصفة. يَصِفُونَ: أي: يصفه به المخالفون للرسول مما لا يليق بجلاله. وَسَلَامٌ: قيل: هو من السلام، بمعنى التحية. وقيل: من السلامة من المكاره. عَلَى الْمُرْسَلِينَ: الذين أرسلهم الله إلى خلقه، وبلغوا رسالات ربهم، جمع مرسل، وتقدم تعريفه. رَبِّ الْعَالَمِينَ: جمع عالم، وهم كل من سوى الله (١).

(١) قال القرطبي رحمه الله: (اختلف أهل التأويل في ﴿الْعَالَمِينَ﴾ اختلافاً كثيراً؛ فقال قتادة: العالمون جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله تعالى، ولا واحد له من لفظه، مثل رهط =

ما يستفاد من الآيات:

- ١- تنزيه الله سبحانه عما يصفه به الضلال والجهال مما لا يليق بجلاله.
- ٢- صدق الرسل، ووجوب قبول ما جاؤوا به، وما أخبروا به عن الله.
- ٣- مشروعية السلام على الرسل -عليهم الصلاة والسلام- واحترامهم.
- ٤- رد كل ما يخالف ما جاءت به الرسل، لا سيما ما يتعلق بأسماء الله وصفاته.
- ٥- مشروعية الثناء على الله وشكره على نعمه، التي من أجلها نعمة التوحيد.



= وَقَوْمٌ. وَقِيلَ: أَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ عَالَمٌ، قَالَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥] أَيُّ: مِنَ النَّاسِ... وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْعَالَمُونَ: الْجِنُّ وَالْإِنْسُ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، وَلَمْ يَكُنْ نَذِيرًا لِلْبَهَائِمِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: الْعَالَمُ عِبَارَةٌ عَمَّنْ يَعْقِلُ، وَهُمْ أَرْبَعَةُ أُمَمٍ: الْإِنْسُ، وَالْجِنُّ، وَالْمَلَائِكَةُ، وَالشَّيَاطِينُ. وَلَا يُقَالُ لِلْبَهَائِمِ: عَالَمٌ، لِأَنَّ هَذَا الْجَمْعَ إِنَّمَا هُوَ جَمْعُ مَنْ يَعْقِلُ خَاصَّةً... قُلْتُ: وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَصَحُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ؛ لِأَنَّهُ شَامِلٌ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ وَمَوْجُودٍ. انظر: تفسير القرطبي (١/١٣٨-١٣٩)، وتفسير ابن كثير (١/١٣١-١٣٣).

وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - قَدْ جَمَعَ فِيْمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ،
فَلَا عُذُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ،

الشرح

قوله: (وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - قَدْ جَمَعَ فِيْمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ) هذا بيان
للمنهج الذي رسمه الله في كتابه لإثبات أسمائه وصفاته، وهو المنهج الذي
يجب أن يسير عليه المؤمنون في هذا الباب المهم؛ فإنه سبحانه: (قَدْ جَمَعَ فِيْمَا
وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ) أي: في جميع أسمائه وصفاته (بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ)
وهو نفى ما يُضَادُّ الكمال من أنواع العيوب والنقائص؛ كنفي النَّدِّ، والشريك،
والسُّنَّةِ، والنوم، والموت، واللُّغُوبِ.

وأما الإثبات فهو إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال لله، كقوله
تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ
الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٣-٢٤]، وغير ذلك مما سيذكر
له المؤلف نماذج فيما يأتي.

وقوله: (فَلَا عُذُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ) أي:
لا ميل لهم ولا انحراف عن ذلك، بل هم مُقْتَفُونَ آثارَهُمْ، مستضيئون بأنوارهم.
ومن ذلك إثبات صفات الكمال لله، وتنزيهه عما لا يليق به؛ فإن الرسل قد قرروا
ذلك الأصل العظيم، وأما أعداء الرسل فإنهم قد عدلوا عن ذلك.

وقوله: (فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ) تعليل لقوله: (فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) أي: لأن ما جاء به المرسلون هو الصراط المستقيم.

والصراط المستقيم هو الطريق المعتدل الذي لا تعدد فيه ولا انقسام^(١)، وهو المذكور في قوله تعالى من سورة الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وهو الذي ندعو الله في كل ركعة من صلواتنا أن يهدينا إليه.



(١) انظر: تهذيب اللغة (٢٣٢/١٢)، ولسان العرب (٣١٤/٧).

صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ،
وَالصَّالِحِينَ.

الشرح

أي: أن الصراط المستقيم الذي جاء به المرسلون في الاعتقاد وغيره
وسلكه أهل السنة والجماعة هو (صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) أي: أنعم
الله عليهم الإنعام المطلق التام المتصل بسعادة الأبد، وهم الذين أمرنا الله
أن ندعوه أن يهدينا طريقهم، فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة
المطلقة، وهم:

١- النبيون: جمع نبي، وهم الذين اختصهم الله بنبوته ورسالته، وتقدم
تعريفهم.

٢- الصِّدِّيقون: جمع صِدِّيق، وهو المبالغ في الصدق والتصديق، أي: المبالغ
في الانقياد للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع كمال الإخلاص لله.

٣- الشهداء: جمع شهيد، وهو المقتول في سبيل الله. سُمِّيَ بذلك؛ لأنه
مشهود له بالجنة، ولأن ملائكة الرحمة تشهده.

٤- الصالحون: جمع صالح، وهو القائم بحقوق الله وحقوق عباده.

والصراط تارةً يضاف إلى الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي
مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ لأنه هو الذي شرعه ونصبه، وتارةً يضاف
إلى العباد، كما في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؛ لكونهم سلكوه.

وفي قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ تنبيهٌ على الرفيق في هذا الطريق، وأنهم هم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ ليزول عن سالك هذا الطريق وحشةُ التفرد عن أهل زمانه، إذا استشعر أن رفقته على هذا الصراط الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون.

ثم أورد الشيخ رحمه الله فيما يلي نماذج من الكتاب والسنة تشتمل على إثبات أسماء الله وصفاته، وفيما يلي إيراد ذلك.



الاستدلال على إثبات أسماء الله وصفاته من القرآن الكريم

١- الجمع بين النفي والإثبات في وصفه تعالى

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ: مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ الَّتِي
تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ^(١)، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ
۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [سورة
الإخلاص].

الشرح

قوله: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ) أي: التي تقدّمت، وهي قوله: (وَهُوَ
-سُبْحَانَهُ- قَدْ جَمَعَ فِيهَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ)، فأراد
هنا أن يورد ما يدل على ذلك من الكتاب والسنة، وبدأ بسورة الإخلاص؛
لفضلها، وسُمِّيَتْ بذلك؛ لأنها أخلصت في صفات الله، ولأنها تخلص قارئها
من الشرك.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه (٨١١) بسنده عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». قَالُوا: وَكَيْفَ
يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». وورد بنحوه من
حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٥٠١٣، ٥٠١٥)، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
عند مسلم (٨١٢).

قوله: (الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ) أي: تساويه؛ وذلك لأن معاني القرآن ثلاثة أنواع: توحيد، وقصص، وأحكام، وهذه السورة فيها صفة الرحمن؛ فهي في التوحيد وحده؛ فصارت تعدل ثُلُثَ القرآن. والدليل على أن هذه السورة تعدل ثُلث القرآن ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالَّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»^(١).

قال الإمام ابن القيم: والأحاديث بكونها تعدل ثُلث القرآن تكاد تبلغ مبلغ التواتر^(٢).

قوله: (حَيْثُ يَقُولُ) الله جل شأنه: ﴿قُلْ﴾ أي: يا محمد، وفي هذا دليل على أن القرآن كلام الله؛ إذ لو كان كلام محمد أو غيره لم يقل: ﴿قُلْ﴾. ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: واحد لا نظير له، ولا وزير، ولا مثل، ولا شريك له. ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: السيد الذي كمل في سؤدده وشرفه وعظمته، وفيه جميع صفات الكمال، والذي تصمد إليه الخلائق وتقصده في جميع حاجاتها ومهماتهما.

﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: ليس له ولد، ولا والد. وفيه الردُّ على النصارى ومشركي العرب الذين نسبوا لله الولد.

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٣، ٦٦٤٣، ٧٣٧٤).

(٢) انظر: زاد المعاد (١/٣٠٦).

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: ليس له مكافئ، ولا مماثل،

ولا نظير.

والشاهد من هذه السورة: أنها تضمنت وجمعت بين النفي والإثبات؛

فقوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) اللَّهُ الصَّكَمُ ﴿إِثْبَات، وقوله: ﴿لَمْ يَكِلِدْ

وَلَمْ يُؤَلَدْ﴾ (٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ ﴿نفي.



وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ﴾^(١) أَي: لَا يُكَرِّهُهُ وَلَا يُثْقَلُهُ ﴿حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ وَهَذَا كَانَ مِنْ قَرَأِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ^(٢).

الشرح

قوله: (وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ) أَي: ودخل في الجملة السابقة ما وصف الله به نفسه الكريمة (فِي أَعْظَمِ آيَةٍ) والآية في اللغة: العلامة^(٢)، والمراد بها هنا: طائفة من كلمات القرآن متميزة عن غيرها بفاصلة^(٣)، وتسمى هذه الآية التي أوردها هنا: آية الكرسي؛ لذكر الكرسي فيها.

والدليل على أنها أعظم آية في القرآن ما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أَبِي بِن كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ

(١) كما ثبت ذلك في الحديث الذي رواه البخاري (٢٣١١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: العين (٨/ ٤٤١)، والصحاح (٦/ ٢٢٧٥-٢٢٧٦)، ومقاييس اللغة (١/ ١٦٧-١٦٩)، وتاج العروس (٣٧/ ١٢٧).

(٣) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم (١/ ٣٠٩).

أَعْلَمُ. قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ^(١).

وسبب كونها أعظم آية لما اشتملت عليه من إثبات أسماء الله وصفاته، وتنزيهه عما لا يليق به.

فقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق إلا هو، وما سواه فعبادته من أبطل الباطل.

﴿الْحَيُّ﴾ أي: الدائم الباقي، الذي له كمال الحياة، والذي لا سبيل للفناء إليه.

﴿الْقَيُّومُ﴾ أي: القائم بنفسه، المقيم لغيره؛ فهو غني عن خلقه، وخلقته محتاجون إليه.

وقد ورد أن ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ هو الاسم الأعظم، الذي إذا دُعيَ الله به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى؛ لدلالة ﴿الْحَيُّ﴾ على الصفات الذاتية، ودلالة ﴿الْقَيُّومُ﴾ على الصفات الفعلية^(٢)، فالصفات كلها ترجع إلى هذين

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨) (٨١٠).

(٢) كما في رواية ابن حبان في صحيحه (٣/ ١٧٥، ١٧٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا فِي الْحَلْقَةِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ سَجَدَ وَتَشَهَّدَ، دَعَا، فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ، بِدِيْعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيَّامُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ... فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَدْرُونَ بِمَ دَعَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ».

الاسمين الكريمين العظيمين، ولكمال قِيُومِيَّتِهِ^(١).

﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ السَّنة: النَّعاس، وهو نوم خفيف، ويكون في العين فقط، والنوم أقوى من السَّنة، وهو أخو الموت، ويكون في القلب.

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وِعِيدًا، فهو يملك العالم العلوي والسفلي.

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي ﴾ أي: لا أحد.

﴿ يَشْفَعُ عِنْدَهُ ﴾ الشفاعة: مشتقة من الشفع، وهو ضد الوتر، فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال غيره؛ فصيره شفعا بعد أن كان وترًا. والشفاعة: سؤال الخير للغير^(٢)، بمعنى: أن يسأل المؤمن ربه أن يغفر ذنوب وجرائم بعض المؤمنين. لكنها ملك لله سبحانه، فلا تكون ﴿ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ أي: بأمره؛ وذلك لكبريائه وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يستطيع أحد أن يتقدم إليه بالشفاعة عنده لأحد إلا بعد أن يأذن.

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته:

هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ الْقَيُومُ وَالْإِخْدَاهُمَا الْقَيُومُ قَامَ بِنَفْسِهِ	قَيُومٌ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ
فَالأَوَّلُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنْ غَيْرِهِ	وَالثَّوْنُ قَامَ بِهِ هُمَا الْأَمْرَانِ
وَالثَّوْنُ بِالْقَيُومِ ذُو شَانٍ عَظِيمٍ	وَالْفَقْرُ مِنْ كُلِّ إِلَيْهِ الثَّانِي
وَالْحَيُّ يَتَلَوُّهُ فَأَوْصَافُ الْكَمَا	كَذَا مَوْصُوفُهُ أَيْضًا عَظِيمُ الشَّانِ
فَالْحَيُّ وَالْقَيُومُ لَنْ تَتَخَلَّفَا إِنْ	لِ هُمَا لِأَفْقٍ سَمَائِهَا قُطْبَانِ
	أَوْصَافٌ أَضْلًا عَنْهُمَا بَيَّانِ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/٢٣٦).

(٢) انظر مادة (شفع) في: العين (١/٢٦٠)، وتهذيب اللغة (١/٢٧٧)، والصحاح (٣/١٢٣٨)، ومقاييس اللغة (٣/٢٠١)، ولسان العرب (٨/١٨٣).

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: عِلْمُهُ واطِّلاَعُهُ محيط بالأُمُور الماضية والمستقبلية؛ فلا يخفى عليه منها شيءٌ.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أي: العباد لا يعلمون شيئاً من عِلْمِ الله إلا ما علمهم الله إياه على ألسنة رسله، وبطرق وأسباب متنوعة.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ كرسيه سبحانه قيل: إنه العرش، وقيل: إنه غيره، فقد ورد أنه «مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ»^(١)، وهو كرسي بلغ من عظمتِه وسَعَتِهِ أنه وسِعَ السموات والأرض^(٢).

﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ أي: لا يُكْرَهُهُ^(٣) ولا يشق عليه ولا يثقله حفظ العالم العلوي والسفلي؛ لكمال قدرته وقوته.

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥١/٣)، وابن أبي شيبة في العرش (ص ٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٩١/٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٥٨٢/٢)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص ٢١)، والحاكم في المستدرک (٣١٠/٢) وصحَّحه، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٤٨/٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢٥١/٩)، والهروي في الأربعين (ص ٥٧) موقوفاً على ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

كما أخرجه ابن أبي شيبة في العرش (ص ٧٨)، والطبري في تفسيره (٩/٣)، وأبو الشيخ في العظمة (٥٨٤/٢)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص ٢١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٤٨/٢) موقوفاً على أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وكلا الإسنادين صحيح عنهما. انظر: مختصر العلو للألباني (ص ١٢٣، ١٢٤).

(٢) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةِ أَلْفَيْتٍ فِي تُرْسٍ». أخرجه الطبري في تفسيره (٥٣٩/٤)، وكذا أبو الشيخ في العظمة (٥٨٧/٢)، والذهبي في العلو (ص ١١٧).

(٣) كَرِهَهُ الشَّيْءُ وَاكْرَهُهُ: اشتد عليه وبلغ منه المشقة. ينظر: الصحاح (١/ ٢٩٠)، وتاج العروس (٥/ ٣٣٢، ٣٣٣).

﴿وَهُوَ أَعْلَى﴾ أي: له العلو المطلق:

- علو الذات؛ بكونه فوق جميع المخلوقات ﴿عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾.
- وعلو القدر؛ فله كل صفات الكمال ونعوت الجلال.
- وعلو القهر؛ فهو القادر على كل شيء، المتصرف في كل شيء، لا يمتنع عليه شيء.

﴿الْعَظِيمُ﴾ الذي له جميع صفات العظمة، له التعظيم الكامل في قلوب أنبيائه وملائكته وعباده المؤمنين، فحقيق بآية تحتوي على هذه المعاني أن تكون أعظم آية في القرآن، وأن تحفظ قارئها من الشرور والشياطين.

والشاهد منها: أن الله جمع فيها فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات؛ فقد تضمنت إثبات صفات الكمال، ونفي النقص عن الله؛ ففي قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ نفي الإلهية عما سواه، وإثباتها له.

وفي قوله: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إثبات الحياة والقيومية له.

وفي قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ نفي السَّنة والنوم عنه، وفي قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إثبات ملكيته الكاملة للعالمين العلوي والسفلي.

وفي قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ نفي الشفاعة عنده بغير إذنه؛ لكمال عظمته، وغناه عن خلقه.

وفي قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ إثبات كمال علمه بكل شيء، ماضياً أو مستقبلاً.

وفي قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ بيان حاجة الخلق إليه، وإثبات غناه عنهم.

وفي قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ إثبات كبريائه، وإثبات كمال عظمته وجلالته، وصغر المخلوقات بالنسبة إليه.

وفي قوله: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ نفي العجز والتعب عنه سبحانه.

وفي قوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ إثبات العلو والعظمة له سبحانه.

وقول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ) يشير إلى ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «... إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ» الحديث^(١).

والشيطان: يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَتَمَرِّدٍ عَاتٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، مِنْ (شَطَنَ): إِذَا بَعُدَ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ لُبُعِدِهِ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، أَوْ مِنْ شَاطَ يَشِيْطُ؛ إِذَا اشْتَدَّ^(٢).



(١) سبق تخريجه (ص ٤٨).

(٢) انظر: العين (٢٣٧/٦)، وتهذيب اللغة (٢١٤/١١)، والصحاح (٢١٤٤/٥)، ومقاييس

اللغة (١٨٤/٣).

٢ - الجمع بين علوه وقربه وأزليته وأبديته

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ﴾ [سورة الحديد: ٣].

الشرح

قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ الآية. هذه الآية الكريمة قد فسرّها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي رواه مسلم، أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»^(١)، فقد فسرّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الأسماء الأربعة بهذا التفسير المختصر الواضح، وفي هذه الأسماء المباركة إحاطته سبحانه من كل وجه: ففي اسمه الأول والآخر إحاطته الزمانية، وفي اسمه الظاهر والباطن إحاطته المكانية.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (فهذه الأسماء الأربعة متقابلة: اسمان لأزليته وأبديته سبحانه، واسمان لعلوه وقربه، فأوليته سبحانه سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته سبحانه ثابتة بعد آخرية كل ما سواه. فأوليته: سبقه لكل شيء، وآخريته: بقاءه بعد كل شيء، وظاهريته: فوقيته وعلوه على كل شيء. ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء ما علا منه. وبطونه

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سبحانه: إحاطته بكل شيء، بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب الإحاطة العامة^(١) اهـ.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: قد أحاط علمه بكل شيء من الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلية، ومن العالم العلوي والسفلي، ومن الظواهر والبواطن، لا يعزبُ عن علمه مثقالُ ذرة في الأرض ولا في السماء. والشاهد من الآية الكريمة: إثباتُ هذه الأسماء الكريمة لله، المقتضية لإحاطته بكل شيء؛ زمانًا ومكانًا، وإطلاً وتقديرًا وتدبيرًا. تقدَّس وتعالى علوًّا كبيرًا.



(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، للموصلي (ص ٤٣٤).

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْهِجَى الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [سورة الفرقان: ٥٨]،
وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ﴾ [سورة سبأ: ١].

الشرح

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْهِجَى الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ أبداً، أي: فوَّضْ أمورك إليه، فالتوكل لغة: التفويض، يقال: وكلت أمري إلى فلان؛ أي: فوضته. ومعناه شرعاً: اعتماد القلب على الله، في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر. والتوكل على الله نوع من أنواع العبادة، وهو واجب، ولا ينافي الأخذ بالأسباب، بل يتفق معه تماماً. وخص صفة الحياة؛ إشارة إلى أن الحي هو الذي يوثق به في تحصيل المصالح. ولا حياة على الدوام إلا الله سبحانه، وأما الأحياء المنقطعة حياتهم فإنهم إذا ماتوا ضاع من يتوكل عليهم.

والشاهد من الآية الكريمة: أن فيها إثبات الحياة الكاملة لله سبحانه، ونفي الموت عنه؛ ففيها الجمع بين النفي والإثبات في صفات الله تعالى.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ له معنيان^(١):

أحدهما: أنه الحاكم بين خلقه بأمره الكوني وأمره الشرعي في الدنيا والآخرة.

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته:

وَهُوَ الْحَكِيمُ وَذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِهِ
حُكْمٌ وَإِحْكَامٌ فَكُلُّ مِنْهُمَا
وَالْحُكْمُ شَرْعِيٌّ وَكَوْنِيٌّ وَلَا
نَوْعَانِ أَيْضًا مَا هُمَا عَدَمَانِ
نَوْعَانِ أَيْضًا ثَابِتَا الْبَرْهَانِ
يَتَلَاوُزَانِ، وَمَا هُمَا سَيِّانِ

إلى أن قال:

هَذَا الْبَيَانُ يُزِيلُ لُبْسًا طَائِلًا
هَلَكْتَ عَلَيْهِ النَّاسُ كُلُّ زَمَانِ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/٢١٨).

والثاني: أنه المحكم المتقن للأشياء، مأخوذ من الحكمة، وهي وضع الأشياء في مواضعها، فهو - سبحانه - الحاكم بين عباده الذي له الحكمة في خلقه وأمره، لم يخلق شيئاً عبثاً، ولم يشرع إلا ما هو عين المصلحة^(١).

﴿الْخَيْرُ﴾ من الخبرة، وهي الإحاطة ببواطن الأشياء وظواهرها، يقال: خبرت الشيء؛ إذا عرفتَه على حقيقته. فهو سبحانه الخير، أي: الذي أحاط ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها.

والشاهد من الآية: أن فيها إثبات اسمين من أسمائه سبحانه: (الحكيم، الخير)، وهما يتضمنان صفتين من صفاته، وهما: الحكمة، والخبرة.



(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته:

وَالْحِكْمَةُ الْعُلْيَا عَلَى نَوْعَيْنِ أَيْ	ضَا خُصَّاصًا بِقَوَاطِعِ الْبِرِّ هَانِ
إِحْدَاهُمَا فِي خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ	نَوْعَانِ أَيْضًا لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
إِحْكَامُ هَذَا الْخَلْقِ إِذْ إِيْجَادُهُ	فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ
وَصُدُورُهُ مِنْ أَجْلِ غَايَاتٍ لَهُ	وَلَهُ عَلَيْهَا حَمْدُ كُلِّ لِسَانٍ
وَالْحِكْمَةُ الْأُخْرَى فَحِكْمَةُ شَرْعِهِ	أَيْضًا وَفِيهَا ذَانِكَ الْوُضْفَانِ
غَايَاتُهَا اللَّاتِي حَمْدُنَ وَكَوْنُهَا	فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْسَانِ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢٢٥، ٢٢٦).

٣- إحاطة علمه بجميع مخلوقاته

وَقَوْلُهُ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سورة سبأ: ٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سورة الأنعام: ٥٩].

الشَّرْحُ

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ما يدخل فيها؛ من القطر، والبذور، والكنوز، والموتى، وغير ذلك.

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ أي: من الأرض؛ من النبات، والمعادن، وغير ذلك.

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من المطر، والملائكة، وغير ذلك.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: يصعد في السماء؛ من ملائكة، وأعمال، وغير ذلك.

والشاهد من الآية الكريمة: أن فيها إثبات علم الله سبحانه المحيط

بكل شيء.

وقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ أي: عند الله وحده خزائن الغيب،

أو ما يتوصل به إلى علمه.

﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ فَمَنْ ادَّعى علم شيء منها فقد كفر. وقد

ورد تفسير مفاتيح الغيب في الحديث الذي رواه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كما في

الصحيحين عنه، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ، لَا يَعْلَمُهَا

إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي عَدِ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ
مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ
مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ»^(١).

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ﴾ أي: اليا بس المعمور والقفار؛ من السكان،
والنبات، والدواب، وغير ذلك.

﴿وَالْبَحْرِ﴾ أي: يعلم ما فيه من الحيوانات والجواهر ونحو ذلك.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ أي: من أشجار البر والبحر وغير ذلك.

﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ أي: يعلمها ويعلم زمان سقوطها ومكانه.

﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَتِ الْأَرْضِ﴾ أي: ولا تكون حبة في الأمكنة المظلمة

أو في بطن الأرض.

﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ﴾ من جميع الموجودات. عموم بعد خصوص.

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي: لا يحصل شيء من ذلك إلا وهو مكتوب في

اللوح المحفوظ.

وجه الشاهد من الآية: أن فيها إثبات أنه لا يعلم الغيب إلا الله، وأن

علمه محيط بكل شيء.

وفيها: إثبات القدر والكتابة في اللوح المحفوظ.



(١) أخرجه البخاري (١٠٣٩، ٤٦٢٧، ٤٦٩٧، ٤٧٧٨، ٧٣٧٩) من حديث ابن عمر

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وروى مسلم (٥) (٩)، (٧) (١٠) نحوه مطوَّلاً، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

وفيه قصة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله متى تقوم الساعة.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [سورة فاطر: ١١]،
 وَقَوْلُهُ: ﴿لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾
 [سورة الطلاق: ١٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [سورة
 الذاريات: ٥٨].

الشرح

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ أي: لا يكون حمل ولا وضع
 إلا والله عالم به، فلا يخرج شيء عن علمه وتديره، فيعلم -سبحانه- في أي
 يوم تحمل الأنثى، وفي أي يوم تضع، ونوع حملها هل هو ذكر أو أنثى.
 ﴿لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ اللام متعلقة بقوله تعالى: ﴿حَقَّقَ
 سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: فعل ذلك لتعلموا كمال قدرته.
 ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: ولتعلموا إحاطة علمه
 بالأشياء، فلا يخرج عن علمه شيء منها كائنًا ما كان.
 و﴿عِلْمًا﴾ منصوب على التمييز، أو على المصدرية؛ لأن أحاط بمعنى
 علم.

الشاهد من الآيتين: أن فيهما إثبات علم الله المحيط بكل شيء، وإثبات
 قدرته على كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ﴾ أي: لا رازق غيره، الذي يرزق
 مخلوقاته، ويقوم بما يصلحهم، فهو كثير الرزق واسعه، فلا تعبدوا غيره.

﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ أي: صاحب القوة التامة، الذي لا يعتريه ضعف.

﴿الْمَتِينُ﴾ أي: البالغ في القوة والقدرة نهايتهما، فلا يلحقه في أفعاله مشقة ولا كلفة ولا تعب. والمتانة معناها: الشدة والقوة.

الشاهد من الآية الكريمة: أن فيها إثبات اسم الرزاق، ووصفه بالقوة التامة التي لا يعترها ضعف ولا تعب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وفيهما الاستدلال على وجوب عبادته وحده لا شريك له.



٤- إثبات السمع والبصر لله سبحانه

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعْظَمُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ٥٨].

الشَّرْحُ

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أول الآية قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾.

قال الإمام ابن كثير في تفسيره: (أي ليس كخالق الأزواج كلها شيء؛ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له). اهـ^(١).

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ الذي يسمع جميع الأصوات.

﴿الْبَصِيرُ﴾ الذي يرى كل شيء، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

قال الإمام الشوكاني في تفسيره: (وَمَنْ فَهِمَ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ حَقَّ فَهَمَهَا، وَتَدَبَّرَهَا حَقَّ تَدَبَّرَهَا؛ مَشَى بِهَا عِنْدَ اخْتِلَافِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الصِّفَاتِ عَلَى طَرِيقَةِ بَيِّنَاءٍ وَاضِحَةٍ، وَيَزْدَادُ بَصِيرَةً إِذَا تَأَمَّلَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ فَإِنَّ هَذَا الْإِثْبَاتَ بَعْدَ ذَلِكَ النَّفْيِ لِلْمِثَالِ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٩٤).

بَرْدِ الْيَقِينِ، وَشِفَاءِ الصُّدُورِ، وَانْتِلَاجِ الْقُلُوبِ، فَاقْدُرْ يَا طَالِبَ الْحَقِّ قَدْرَ هَذِهِ
 الْحُجَّةِ النَّيِّرَةِ، وَالْبُرْهَانِ الْقَوِيِّ، فَإِنَّكَ تَحْطُمُ بِهَا كَثِيرًا مِنَ الْبِدْعِ، وَتَهْتَشُمُ بِهَا
 رُؤُوسًا مِنَ الضَّلَالَةِ، وَتُرْغَمُ بِهَا أَنْفَ طَوَائِفَ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ، وَلَا سِيَّما إِذَا
 ضَمَمْتَ إِلَيْهِ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾. اهـ^(١).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا﴾ قبله قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ
 إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾.

(نِعْمَ): من ألفاظ المدح و(ما) قيل: نكرة موصوفة، كأنه قيل: نعم شيئاً
 يعظكم به. وقيل: إن ما موصولة، أي نعم الشيء الذي يعظكم به. وقوله:
 ﴿يَعُظُّكُمْ﴾ أي: يأمركم به، من أداء الأمانات، والحكم بين الناس بالعدل.
 وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ أي: أنه سبحانه سميع لما تقولون،
 بصير بما تفعلون.

الشاهد من الآيتين الكريمتين: أن فيهما إثبات السمع والبصر لله،
 وفي الآية الأولى نفي مماثلة المخلوقات؛ ففي ذلك الجمع فيما وصف وسمى
 به نفسه: النفي والإثبات.



٥- إثبات المشيئة والإرادة لله سبحانه

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾
[سورة الكهف: ٣٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَمِ إِلَّا مَا يُتَلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [سورة المائدة: ١].

الشرح

قوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ أي: هَلَّا إِذْ دَخَلْتَ بستانك.
﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أي: إِنْ شَاءَ أَبْقَاهَا وَإِنْ شَاءَ أَفْنَاهَا؛
اعترافاً بالعجز، وأن القدرة لله سبحانه. قال بعض السلف: «من أعجزه شيء فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله».

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: لو
شاء سبحانه عدم اقتتلهم لم يقتتلوا؛ لأنه لا يجري في ملكه إلا ما يريد، لا راد
لحكمه، ولا مبدل لقضائه.

وقوله تعالى: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ﴾ أي: أُبِيحت، والخطاب للمؤمنين.
﴿بِهِمَةَ الْأَنْعَمِ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتَلَى عَلَيْكُمْ﴾ استثناء
من ﴿بِهِمَةَ الْأَنْعَمِ﴾، والمراد به المذكور في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِئَةُ﴾
[المائدة: ٣] الآية التي بعدها بقليل.

وقوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ استثناء آخر من بهيمة الأنعام.

والمعنى: أحلت لكم بهيمة الأنعام كلها إلا ما كان منها وحشيًا، فإنه صيد لا يحل لكم في حال الإحرام، فقلوه: ﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ في محل نصب على الحال، والمراد بالحرُم: من هو محرم بحج أو عمرة، أو بهما.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من التحليل والتحريم لا اعتراض عليه.

الشاهد من الآيات: أن فيها إثبات المشيئة والقوة والحكم والإرادة صفات لله تعالى على ما يليق بجلاله.



وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾
[الأنعام: ١٢٥].

الشَّرْحُ

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ أي: من شاء الله سبحانه أن يوفقه يجعل قلبه قابلاً للخير.

﴿وَمَنْ﴾: اسم شرط جازم، و﴿يُرِدْ﴾: مجزوم على أنه فعل الشرط، و﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ مجزوم بجواب الشرط.

والشرح: الشق، وأصله التوسعة، وشرحت الأمر: بيته ووضحته^(١).
والمعنى: يوسع الله صدره للحق الذي هو الإسلام، حتى يقبله بصدر منشراح.

﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ أي: ومن شاء سبحانه أن يصرفه عن قبول الحق، ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ أي: لا يتسع لقبول الحق.

﴿حَرَجًا﴾ أي: شديد الضيق، فلا يبقى فيه منفذ للخير، وهو تأكيد لمعنى ﴿ضَيِّقًا﴾.

﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ أصله: يتصعد، أي: كأنها تكلف ما لا يطيق مرة بعد مرة، كما يتكلف من يريد الصعود إلى السماء؛ شبه الكافر في ثقل الإيمان عليه بمن يتكلف ما لا يطيقه، كصعود السماء.

(١) انظر: الصحاح (٣٧٨/١)، ومقاييس اللغة (٢٦٩/٣)، ولسان العرب (٤٩٧/٢).

الشاهد من الآية الكريمة: أن فيها إثبات الإرادة لله سبحانه، وأنها شاملة للهداية والإضلال، أي: يريد الهداية ويريد الإضلال كونًا وقدرًا؛ لحكمة بالغة.

فالإرادة الربانية نوعان:

النوع الأول: إرادة كونية قدرية، وهذه مرادفة للمشئة، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

النوع الثاني: إرادة دينية شرعية، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

الفرق بين الإرادتين:

١- الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها، وقد لا يحبها ولا يرضاها، والإرادة الشرعية لابد أنه يحبها ويرضاها. فالله أراد المعصية كونًا، ولا يرضاها شرعًا.

٢- والإرادة الكونية مقصودة لغيرها، كخلق إبليس وسائر الشرور؛ لتحصل بسبب ذلك المجاهدة والتوبة والاستغفار وغير ذلك من المحاب. والإرادة الشرعية مقصودة لذاتها، فالله أراد الطاعة كونًا وشرعًا، وأحبها ورضيها.

٣- الإرادة الكونية لا بد من وقوعها، والإرادة الشرعية لا يلزم وقوعها؛ فقد تقع وقد لا تقع.

تنبيه: تجتمع الإرادتان الكونية والشرعية في حق المخلص المطيع، وتنفرد الإرادة الكونية في حق العاصي.

تنبيه آخر: من لم يُثبت الإرادتين ويفرق بينهما فقد ضل، كالجبرية والقدرية؛ فالجبرية أثبتوا الإرادة الكونية فقط، والقدرية أثبتوا الإرادة الشرعية فقط، وأهل السنة أثبتوا الإرادتين وفرّقوا بينهما.



٦- إثبات محبة الله ومودته لأوليائه على ما يليق بجلاله

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٥]، ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الحجرات: ٩]، ﴿فَمَا اسْتَقَمُّوْا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: ٣١]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [سورة المائدة: ٥٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ﴾ [سورة الصف: ٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [سورة البروج: ١٤].

الشَّرْحُ

لما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ الآيات التي تدل على إثبات المشيئة والإرادة، ذكر الآيات التي تدل على إثبات المحبة لله سبحانه، وفي ذلك الرد على مَنْ سوى بين المشيئة والمحبة وقال: إنها متلازمان، فكل ما شاء الله فقد أحبه. وقد قدمنا أن في ذلك تفصيلاً؛ فقد يشاء الله ما لا يحبه، ككفر الكافر وسائر المعاصي.. وقد يشاء ما يحب، كالإيمان وسائر الطاعات.

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ هذا أمر من الله تعالى بالإحسان، وهو: الإتيان بالعمل على أحسن أحواله وأكملها، والإحسان هو أعلى مقامات الطاعة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ هذا تعليل للأمر بالإحسان؛ فهو أمر به لأنه يحبه، ويجب أهله، فيكون ذلك حافزاً على امتثال الأمر به.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ أمر بالإقسط، وهو العدل في المعاملات والأحكام مع القريب والبعيد.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ تعليل للأمر بالإقسط؛ فهو أمر به لأنه ﴿يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي: العادلين، ومحبه سبحانه لهم تستلزم أن يجزيهم أحسن الجزاء.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَمُّوْا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ أي: ما استقام لكم المشركون على العهد فلم ينقضوه، فاستقيموا على الوفاء لهم، فلا تقتاتلوهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ تعليل للأمر بالاستقامة على العهد؛ فهو أمر بها لأنها من أعمال المتقين الذين يحبهم الله، وفيه إشارة إلى أن الوفاء بالعهد والاستقامة عليه من أعمال المتقين. والتقوى: هي التحرز بطاعة الله عن معصيته؛ رجاء ثوابه، وخوفاً من عقابه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ التوايين: جمع تَوَّاب، صيغة مبالغة من التوبة، وهي لغة: الرجوع. وشرعاً: الرجوع عن الذنب^(١). هذا تفسيرها في حق العبد، وأما في حق الله: فالتوَّاب من أسماء الله تعالى^(٢).

(١) انظر مادة (توب) في: العين (١٣٨/٨)، وتهذيب اللغة (٢٣٦/١٤)، والصحاح (٩١/١)، ومقاييس اللغة (٣٥٧/١)، ولسان العرب (٢٣٣/١).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي نُونِيته:

وَكَذَلِكَ التَّوَّابُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالتَّوَّابُ فِي أَوْصَافِهِ نَوَّانٍ
إِذْ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ وَقَبُولِهَا بَعْدَ التَّوَّابِ بِمِنَّةِ الْمَنَانِ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢٣١/٢).

قال ابن القيم: (وَالْعَبْدُ تَوَّابٌ، وَاللَّهُ تَوَّابٌ؛ فَتَوْبَةُ الْعَبْدِ رُجُوعُهُ إِلَى سَيِّدِهِ بَعْدَ الْإِبَاقِ، وَتَوْبَةُ اللَّهِ تَوْعَانِ: إِذْنٌ وَتَوْفِيقٌ، وَقَبُولٌ وَإِمْدَادٌ) ^(١).

﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ المتطهرين: جمع متطهر، اسم فاعل من الطهارة، وهي النزاهة والنظافة عن الأقدار، حِسِّيَّةٌ كانت أو معنوية ^(٢).

وفي الآية الكريمة: إخبار من الله سبحانه عن محبته لهذين الصنفين من عباده: التوابين، والمتطهرين.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ سبب نزول هذه الآية الكريمة - كما ذكره ابن كثير وغيره -: أن قومًا زعموا أنهم يحبون الله، فابتلاهم الله - أي: اختبرهم - بهذه الآية؛ فهي حاكمة على كل مَنْ ادَّعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية بأنه كاذب في دعواه ^(٣).

وقوله: ﴿يُحِبُّكُمْ اللَّهُ﴾ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبة إياكم، وهو أعظم من الأول.

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ هذا جواب الشرط في قوله: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾. يقول تعالى مخبرًا عن قدرته العظيمة: أنه من تولى عن نصرته دينه وإقامة شريعته، أنه يستبدل به من هو خير منه،

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٢٠).

(٢) انظر: مادة (طهر) في لسان العرب (٤/ ٥٠٦)، ومختار الصحاح (١/ ١٦٧)، والمعجم الوسيط (٢/ ٥٦٨).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢٢)، وتفسير الطبري (٣/ ٢٣٢، ٢٣٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٣٣)، وزاد المسير (١/ ٣٧٣)، والدر المنثور (٢/ ١٧٨).

وهم قوم متصفون بصفات عظيمة، من أعظمها: أن الله يحبهم وهم يحبونه، والمراد بهم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجيشه من الصحابة والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين قاتلوا أهل الردة، ثم كل من جاء بعدهم من المقاتلين للمرتدين إلى يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾ إخبار منه مؤكد أنه سبحانه يحب من اتصف بهذه الصفة. ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾ أي: يجاهدون بأموالهم وأنفسهم؛ لإعلاء كلمة الله.

﴿صَفًّا﴾ أي: يصفون أنفسهم عند القتال، ولا يزولون عن أماكنهم ﴿كَأَنَّهُمْ بُنَيَّنْ مَرْصُوصٌ﴾ قد رص بعضه ببعض، وألزم بعضه ببعض؛ فليس فيه فرجة ولا خلل.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ أي: كثير المغفرة، والغفر: الستر^(١)، فهو سبحانه يغفر لمن تاب إليه، أي: يستر ذنوبه، ويتجاوز عن خطاياها.

﴿الْوَدُودُ﴾ من الود، وهو خالص الحب، فهو سبحانه (ودود) بمعنى: أنه يحب أهل طاعته.

وفي ذكر هذين الاسمين الكريمين مقترنين سرًا لطيف، وهو أنه يحب عبده بعد المغفرة، فيغفر له، ويحبه بعد ذلك.

الشاهد من هذه الآيات الكريمة: أن فيها إثبات المحبة والمودة لله سبحانه، وأنه يحب ويودُّ بعض الأشخاص والأعمال والأخلاق، فهو يحب

(١) انظر: لسان العرب (٥/٢٥)، وتهذيب اللغة (٨/١١٣)، والمعجم الوسيط (٢/٦٥٦)، وتاج العروس (١٣/٢٤٦).

بعض الأشياء دون بعض على ما تقتضيه حكمته البالغة؛ فهو يحب المحسنين،
ويحب المقسطين، ويحب المتقين، ويحب المتبعين لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحب
المجاهدين في سبيله، ويحب التوايين والمتطهرين.

وفيه إثبات المحبة من الجانبين؛ جانب العبد وجانب الرب: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾؛ ففي ذلك الرد
على من نفى المحبة من الجانبين، كالجهمية، والمعتزلة^(١)، فقالوا: لا يحب
ولا يحب، وأولوا محبة العباد له بمعنى محبتهم عبادته وطاعته، ومحبة للعباد
بمعنى إحسانه إليهم وإثابتهم ونحو ذلك! وهذا تأويل باطل؛ لأن مودته
ومحبته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَهُ عَلَى حَقِيقَتِهَا كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، كسائر صفاته، ليستا
كمودةٍ ومحبة المخلوق.



(١) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن
عطاء الغزال، كان تلميذاً في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين،
وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو
بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن؛ فسموا بالمعتزلة لذلك، ويُلقَّبون بالقدرية؛ لإسنادهم
أفعال العباد إلى قدرتهم، وإنكارهم القدرَ فيها.

وقد افرقت المعتزلة إلى فِرَقٍ شَتَّى، يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن،
وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل
السنة؛ وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة.

انظر: المِلَلُ والنَحْلُ (١/ ٣٠ - ٣٢)، والفرق بين الفرق (ص ١٨، ٩٣، ٩٤)، والبدء
والتاريخ (٥/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨). وشرح
الطحاوية لابن أبي العز (ص ٧٩١، ٧٩٢).

٧- إثبات اتصافه بالرحمة والمغفرة سبحانه وتعالى

وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ، وَقَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [سورة غافر: ٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة يوسف: ٦٤].

الشَّرْحُ

وقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تقدم تفسيرها في أول الكتاب^(١)، ومناسبة ذكرها هنا أن فيها إثبات الرحمة لله تعالى صفة من صفاته كما في الآيات المذكورة بعدها.

قال الإمام ابن القيم: (الرحمن دالٌّ على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دالٌّ على تعلقها بالمرحوم، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، ولم يجئ قطُّ: رحمن بهم. وكان الأول للوصف، والثاني للفعل؛ فالأول دالٌّ على أن الرحمة وصفه، والثاني دالٌّ على أنه يرحم خلقه برحمته). اهـ^(٢).

قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ هذا حكاية عن الملائكة الذين يحملون العرش ومن حوله، أنهم يستغفرون للذين آمنوا،

(١) انظر: (ص ١١).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٤).

فيقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ وَعِلْمُكَ كُلَّ شَيْءٍ. ف﴿رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ منصوبان على التمييز المحوّل عن الفاعل، وفي ذلك دليل على سعة رحمة الله وشمولها؛ فما من مسلم ولا كافر إلا وقد نالته رحمة الله في الدنيا، وأما في الآخرة فتختص بالمؤمنين.

وقوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ هذا إخبار من الله - سبحانه - أنه رحيم بالمؤمنين، يرحمهم في الدنيا والآخرة: أما في الدنيا فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، وبصّرهم الطريق الذي ضل عنه غيرهم، وأما رحمته بهم في الآخرة فآمنهم من الفزع الأكبر، ويدخلهم الجنة.

وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي: أوجبها على نفسه الكريمة؛ تفضلاً منه وإحساناً. وهذه الكتابة كونية قدرية، لم يوجبها عليه أحد. وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ يخبر سبحانه عن نفسه أنه متصف بالمغفرة والرحمة لمن تاب إليه، وتوكل عليه، ولو من أي ذنب كان - كالشرك -، فإنه يتوب عليه، ويغفر له، ويرحمه.

وقوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾ هذا مما حكاه الله تعالى عن نبيه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام حينما طلب منه بنوه أن يرسل معهم أخاهم، وتعهّدوا بحفظه، فقال لهم: إِنَّ حِفْظَ اللَّهِ سبحانه له خَيْرٌ من حفظكم. وهذا تفويض من يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام إلى الله في حفظ ابنه.

ومن أسمائه تعالى: الحفيظ؛ الذي يحفظ عباده بحفظه العام من الهلاك

والعطب، ويحفظ عليهم أعمالهم، ويحفظ عباده المؤمنين بحفظه الخاصّ عما يفسد إيمانهم، وعما يضرهم في دينهم ودنياهم^(١).

الشاهد من الآيات الكريمة: أن فيها وصفَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالرَّحْمَةِ والمغفرة على ما يليق بجلاله، كسائر صفاته.

وفيهما الرد على الجهمية، والمعتزلة ونحوهم ممن ينفون عن الله اتصافه بالرحمة والمغفرة؛ فرارًا من التشبيه بزعمهم! قالوا: لأن المخلوق يوصف بالرحمة، وتأولوا هذه الآيات على المجاز! وهذا باطل؛ لأن الله سبحانه أثبت لنفسه هذه الصفة، ورحمته سبحانه ليست كرحمة المخلوق حتى يلزم التشبيه كما يزعمون؛ فإن الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، والاتفاق في الاسم لا يقتضي الاتفاق في المسمى؛ فللخالق صفات تليق به وتختص به، وللمخلوق صفات تليق به وتختص به، والله أعلم.



(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي نُونِيَّتِهِ:

وَهُوَ الْحَفِيزُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ الْكَفِيلُ بِحِفْظِهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَانٍ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/٢٢٨).

٨ - ذكر رضا الله وغضبه وسخطه وكراهيته

في القرآن الكريم وأنه متصف بذلك

وَقَوْلُهُ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [سورة المائدة: ١١٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [سورة النساء: ٩٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [سورة محمد: ٢٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا عَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [سورة الزخرف: ٥٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٤٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف: ٣].

الشرح

قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أي: رضي عنهم بما عملوه من الطاعات الخالصة له، ورضوا عنه بما جازاهم به من النعيم. والرضا منه سبحانه هو أرفع درجات النعيم؛ قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]. ورضاهم عنه هو رضا كل منهم بمنزلته، حتى يظن أنه لم يؤت أحد خيرًا مما أوتي.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ احتراز بقوله: ﴿مُؤْمِنًا﴾ عن قتل الكافر، وبقوله: ﴿مُتَعَمِّدًا﴾ عن قتل الخطأ.

والمتعمد: هو الذي يقصد من يعلمه آدمياً معصوماً فيقتله بما يغلب على الظن موته به.

وقوله: ﴿فَجَزَّأُوهُ﴾ أي: عقابه في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ طبقة من طبقات النار ﴿خَالِدًا فِيهَا﴾ أي: مقيماً في جهنم، والخلود هو المكث الطويل. ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ معطوف على مقدرٍ دلَّ عليه السياق، أي: جعل جزاءه جهنم وغضب عليه ﴿وَلَعَنَهُ﴾ أي: طرده عن رحمته، واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله^(١).

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي ما ذكر في الآية قبلها من شدة توفى الملائكة للكفار من أجل أنهم ﴿اتَّبَعُوا مَا اسَّخَطَ اللَّهُ﴾ من الانهماك في المعاصي والشهوات المحرمة.

﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ أي: كرهوا ما يرضيه من الإيمان والأعمال الصالحة.

وقوله: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ أي: أغضبونا، ﴿أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: عاقبناهم، والانتقام هو أشد العقوبة.

وقوله: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أُنْيَعَاثَهُمْ﴾ أي: أبغض الله خروجهم معكم للغزو، ﴿فَتَبَطَّهْمُ﴾ أي: حبسهم عن الخروج معك، وخذلهم قضاءً وقدرًا، وإن كان قد أمرهم بالغزو شرعاً، وأقدرهم عليه حساً، لكنه لم يُعِنْهُمْ

(١) انظر: العين (٢/ ١٤١)، وتهذيب اللغة (٢/ ٢٤٠)، والصحاح (٦/ ٢١٩٦)، ومقاييس اللغة (٥/ ٢٥٢)، والنهاية في غريب الأثر (٤/ ٢٥٥).

عليه لحكمة يعلمها، وقد بينها في الآية التي بعدها في قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ الآية.

وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ أي: عظم ذلك في المقت، وهو البغض. و﴿مَقْتًا﴾ منصوب على التميز. ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: أن تعدوا من أنفسكم خيرًا ثم لا تفوا بها وعدتم.

وقد ورد في سبب نزولها أن ناسًا من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: وددنا لو أن الله أخبرنا بأحب الأعمال فنعمل به، فأخبر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أحب الأعمال إيمانٌ بالله لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك أناسٌ من المؤمنين، وشق عليهم أمره؛ فقال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١).

الشاهد من الآيات: أن فيها وُصِفَ الله بالغضب والرضا، واللعن والانتقام، والكرهية والأسف والمقت، وهذه كلها من صفات الأفعال التي يفعلها جَلَّ وَعَلَا متى شاء، إذا شاء، كيف شاء. وأهل السنة يثبتون ذلك لله كما أثبتته لنفسه على ما يليق بجلاله.



٩ - ذكر مجيء الله سبحانه لفصل القضاء

بين عبادته على ما يليق بجلاله

وَقَوْلُهُ: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ
وَالْمَلَائِكَةُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ
تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٨]،
وَقَوْلُهُ: ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝
[سورة الفجر: ٢١-٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ ۖ وَنُزِّلُ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا ۝
[سورة الفرقان: ٢٥].

الشرح

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ هذا تهديد للكفار التاركين للدخول في السلم - أي: الإسلام -، المتبعين لخطوات الشيطان.

ومعنى ﴿ يَنْظُرُونَ ﴾: ينتظرون، يقال: نظرته وانتظرته؛ بمعنى واحد.
﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾ ذاته سبحانه؛ لفصل القضاء بينهم يوم القيامة،
فيجازي كل عامل بعمله.

﴿ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ الظل: جمع ظلة، وهي ما يظلك. والغمام:
السحاب الرقيق الأبيض، سُمِّيَ بذلك؛ لأنه يغم، أي: يستر.

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ أي: والملائكة يحيئون في ظلل من الغمام.
﴿ وَفُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ أي: فرغ من الأمر الذي هو إهلاكهم.

وقوله: ﴿هَلْ يُنْظَرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: بذاته سبحانه لفصل القضاء بين العباد ﴿أَوْ يَأْتِكْ بَقِصُ عَآئِنِ رَبِّكَ﴾ وهو طلوع الشمس من مغربها، وذلك أحد أشرار الساعة الكبار، إذا وقع أغلق باب التوبة فلا تقبل^(١).

وقوله: ﴿كَلَّا﴾ حرف ردع وزجر عما ذكر قبلها، أي: ما هكذا ينبغي أن يكون عملكم؛ من عدم إكرام اليتيم، وعدم الحض على طعام المسكين، وأكل التراث، وحب المال بكثرة شديدة.

﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ أي: زُلزلت وحركت تحريكًا بعد تحريك، حتى انهدم كل ما عليها من بناء، وعاد هباءً منبثًا.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ بذاته سبحانه؛ لفصل القضاء بين عباد.

﴿وَالْمَلَكُ﴾ أي: جنس الملائكة.

﴿صَفًّا صَفًّا﴾ منصوب على الحال، أي: مصطفين صفًا بعد صف، قد أهدقوا بالجن والإنس، كل أهل سماء يكونون صفًا واحدًا بالأرض ومن فيها، فيكونون سبعة صفوف^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٣٩) (٢٩٠١) عَنْ أَبِي حُدَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «اطَّلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غُرْفَةٍ، وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: إِنَّمَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالْدَّجَالَ، وَالْدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خُسْفٌ بِالشَّرْقِ، وَخُسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخُسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ».

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/٢١٧)، وزاد المسير (٤/٤٤٤).

وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ﴾ أي: يوم القيامة. ﴿تَشْقَى السَّمَاءُ﴾ أي: تنفطر وتنفرج.

﴿بِالْغَمِّمِ﴾ الذي هو ظلُّ النور العظيم الذي يبهر الأبصار. ﴿وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيلًا﴾ إلى الأرض، فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر، ثم يجيء الرب لفصل القضاء بين عباده.

الشاهد من الآيات: أنها أفادت إثبات المجيء والإتيان لله يوم القيامة بذاته على ما يليق بجلاله؛ لفصل القضاء بين عباده.

ومجيئه وإتيانه سبحانه من صفاته الفعلية، يجب إثباتهما على حقيقتهما، ولا يجوز تأويلهما بمجيء أو إتيان أمره كما يفعله نفاة الصفات، فيقولون: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: جاء أمره! وهذا من تحريف آيات الله.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (والإتيان والمجيء المضاف إليه - سبحانه - نوعان: مطلق ومقيد. فإذا كان المراد مجيء رحمته أو عذابه ونحو ذلك فيد بذلك؛ كما في الحديث: «حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالرَّحْمَةِ وَالْخَيْرِ»، وقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾.

النوع الثاني: الإتيان والمجيء المطلق، فهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه؛ كقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾، وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾. اهـ^(١).



(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (ص ٤٤٨).

١٠- إثبات الوجه لله سبحانه

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن: ٢٧]،
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص: ٨٨].

الشَّرْحُ

﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ فإن الرب سبحانه لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً.

﴿ذُو الْجَلَلِ﴾ أي: العظمة والكبرياء.
﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ أي: المكرم لأنيائه وعباده الصالحين. وقيل: المستحق أن يكرم عن كل شيء لا يليق به^(١).

وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ أي: كل من في السماء ومن في الأرض سيذهبون ويموتون.

﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ منصوب على الاستثناء. وهذا إخبار بأنه الدائم الباقي، الذي تموت الخلائق ولا يموت.

الشاهد من الآيتين: أن فيهما إثبات الوجه لله سبحانه، وهو من صفاته الذاتية، فهو وجهه على حقيقته يليق بجلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، لا كما

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٢١٠)، وتفسير البغوي (٧/ ٤٤٥)، والقرطبي (١٧/ ١٦٥).

يزعم معطلة الصفات أن الوجه ليس على حقيقته، وإنما المراد به الذات، أو الثواب، أو الجهة، أو غير ذلك! وهذه تأويلات باطلة من وجوه:

منها: أنه جاء عطف الوجه على الذات كما في الحديث: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ»^(١)، والعطف يقتضي المغايرة.

ومنها: أنه أضاف الوجه إلى الذات، فقال: ﴿وَجْهٌ رَبِّكَ﴾، ووصف الوجه بقوله: ﴿ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾، فلما قال: ﴿ذُو الْجَلَلِ﴾ فلو كان الوجه هو الذات لكان لفظ الوجه في الآية صلة، ولقال: (ذي الجلال والإكرام)، فلما قال: ﴿ذُو الْجَلَلِ﴾ تبين أنه وصف للوجه لا للذات، وأن الوجه صفة للذات.

ومنها: أنه لا يعرف في لغة أمّة من الأمم أن وجه الشيء بمعنى ذاته أو الثواب، والوجه في اللغة مستقبل كل شيء؛ لأنه أول ما يواجه منه، وهو في كل شيء بحسب ما يضاف إليه.



(١) أخرجه أبو داود (٤٦٦): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

١١ - إثبات اليمين لله تعالى في القرآن الكريم

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [سورة ص: ٧٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [سورة المائدة: ٦٤].

الشرح

﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ الخطاب لإبليس لعنه الله، لما امتنع من السجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَام. أي: أي شيء صرفك وصدك عن السجود؟

﴿لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ أي: باشرت خلقه بيدي من غير واسطة. وفي هذا تشریف وتكریم لآدم.

قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ اليهود في الأصل من قولهم: ﴿هَذَا إِلَيْكَ﴾، وكان اسم مدح، ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لهم وإن لم يكن فيه معنى المدح. وقيل: سُمُّوا بذلك نسبةً إلى يهودا بن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام.

﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ يخبر تعالى عنهم بأنهم وصفوه بأنه بخيل، كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء! لا أنهم يعنون أن يده موثقة.

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ هذا رد عليهم من الله تعالى بما قالوه، ومقابلة لهم بما افتروه واختلقوه، وهكذا وقع لهم؛ فإن فيهم من البخل والحسد الشيء الكثير، فلا ترى يهودياً إلا وهو من أبخل خلق الله.

﴿وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا﴾ معطوفة على ما قبله، والباء سببية؛ أي: أبعَدوا من رحمة الله بسبب هذه المقالة.

ثم رد عليهم سبحانه بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أي: بل هو في غاية ما يكون من الجود والعطاء، فيداه مبسوطتان بذلك.

﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾: جملة مستأنفة، مؤكدة لكمال جوده؛ فإنفاقه على ما تقتضيه مشيئته: فإن شاء وسع، وإن شاء ضيق؛ فهو الباسط القابض على ما تقتضيه حكمته.

الشاهد من الآيتين الكريمتين: أن فيها إثبات اليمين لله سبحانه وتعالى، وأنها يدان حقيقتان، لا ثقتان بجلاله وعظمته، ليستا كيدي المخلوق؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. وفي ذلك الرد على من نفى اليمين الحقيقتين عن الله، وزعم أن المراد باليد القدرة أو النعمة! وهذا تأويل باطل، وتحريف للقرآن الكريم.

فالمراد: يد الذات، لا يد القدرة والنعمة؛ إذ لو كان المراد باليد القدرة كما يقولون لبطل تخصيص آدم بخلقه بهما؛ فإن جميع المخلوقات - حتى إبليس - خلقت بقدرته، فأى مزية لآدم عليه السلام على إبليس في قوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدَيَّ﴾؟! فكان يمكن لإبليس أن يقول: (وأنا خلقتني بيديك) إذا كان المراد بها القدرة! وأيضاً لو كان المراد باليد القدرة لوجب أن يكون لله قدرتان! وقد أجمع المسلمون على بطلان ذلك. وأيضاً لو كان المراد باليد النعمة لكان المعنى أنه خلق آدم بنعمتين! وهذا باطل؛ لأن نعم الله كثيرة لا تحصى، وليست نعمتين فقط.

١٢- إثبات العينين لله تعالى

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [سورة الطور: ٤٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ۖ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَرَءٌ لِّمَن كَانَ كَفِرًا﴾ [سورة القمر: ١٣-١٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [سورة طه: ٣٩].

الشرح

﴿وَأَصْبِرْ﴾ الصبر لغة: الحبس والمنع^(١)؛ فهو حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، وحبس الجوارح عن لطم الحدود وشق الجيوب^(٢).

﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: لقضائه الكوني والشرعي.
﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمرأى منا، وتحت حفظنا، فلا تُبالِ بأذى الكفار؛ فإنهم لا يصلون إليك.

قوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ أي: نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ.
﴿عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ أي: على سفينة ذات أخشاب عريضة، ومسامير شُدَّتْ بها تلك الألواح، مفردها: دِسَارُ.
﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمنظر ومرأى منا، وحفظٍ لها.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٣٢٩)، ولسان العرب (٤/ ٤٣٨)، وتهذيب اللغة (١٢/ ١٢١).

(٢) انظر: عدة الصابرين (ص ٥٧)، ومدارج السالكين (١/ ١١٠).

﴿جَزَاءٌ لِمَن كَانَ كُفِرًا﴾ أي: فعلنا بنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وبقومه ما فعلنا من إنجائه وإغراقهم؛ ثواباً لمن كُفِرَ به، وجُحِدَ أمره، وهو نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقوله: ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ الخطاب لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي: وضعتها عليك، فأحببتك، وحببتك إلى خلقي.

﴿وَلِنُصَنِّعَ عَلَى عَيْنِي﴾ أي: ولتربى وتغذى بمرأى مني، أراك وأحفظك.

الشاهد من الآيات: أن فيها إثبات العينين لله تعالى حقيقة على ما يليق به سبحانه، فقد نطق القرآن بلفظ العين مضافة إليه مفردة ومجموعة، ونطقت السنة بإضافتها إليه مثناة، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»^(١)، وذلك صريح بأنه ليس المراد إثبات عين واحدة؛ فإن ذلك عور ظاهر - تعالى الله عنه -.

ولغة العرب جاءت بإفراد المضاف، وتثنيته، وجمعه؛ بحسب أحوال المضاف إليه: فإن أضافوا الواحد المتصل إلى مفرد أفردوه، وإن أضافوا إلى جمع ظاهراً أو مضمراً فالأحسن جمعه؛ مشاكلةً لِلْفِظِ، كقوله سبحانه: ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾، وكقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾. وإن أضافوه إلى اسم مثني فالأفصح في لغتهم جمعه، كقوله: ﴿فَقَدْ صَعَتَ قُلُوبُكُمْ﴾، وإنما هما قلبان.

(١) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم - واللفظ له - (١٠١) (٢٩٣٣) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، إِلَّا أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ».

فلا يلتبس على السامع قول المتكلم: نراك بأعيننا، ونأخذك بأيدينا،
ولا يفهم منه بشر على وجه الأرض عيوناً كثيرة على وجه واحد!
والله أعلم.



١٣ - إثبات السمع والبصر لله تعالى

وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِعُ نَحَاوْرُكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [سورة آل عمران: ١٨١]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتَئِبُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٨٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمُّ سَمْعٌ وَآرَىٰ﴾ [سورة طه: ٤٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [سورة العلق: ١٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٢١٨) وَقَتْلُكَ فِي السَّجْدَيْنِ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٨-٢٢٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَیَ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٥].

الشرح

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي﴾ وهي خولة بنت ثعلبة ﴿تُجَدِّلُكَ﴾ أيها النبي، أي: تراجعك الكلام في شأن ﴿زَوْجِهَا﴾، وهو أوس بن الصامت، وذلك حين ظاهر منها.

﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾: معطوف على ﴿تُجَدِّلُكَ﴾، وذلك أنه كلما قال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَرَاكِ إِلَّا قَدْ حُرْمَتِ عَلَيْهِ. قَالَتْ: لَا تَقُلْ ذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا ذَكَرَ طَلَاقًا»، ثم تقول: أشكو إلى الله فاقتي ووحدي، وأن لي صبية صغاراً؛ إن ضمنتهم إليه ضاعوا، وإن ضمنتهم إليّ جاعوا. وجعلت ترفع رأسها إلى السماء، وتقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ»^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٦٣)، والنسائي (٥٦٢٥)، وأحمد (٢٢٨/٤٤)، والحاكم =

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ أي: تراجعكما في الكلام.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يسمع كل الأصوات، ويبصر ويرى كل المخلوقات، ومن جملة ذلك ما جادلتك به هذه المرأة.

وقوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ هم قوم من اليهود، قالوا هذه المقالة لما أنزل الله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ الآية [البقرة: ٢٤٥]؛ قالوا ذلك تمويهاً على ضعفائهم، لا أنهم يعتقدون ذلك؛ لأنهم أهل كتاب، وإنما قالوا ذلك ليشككوا في دين الإسلام.

وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ ما يسرون به في أنفسهم، أو ما يتحادثون به سرّاً في مكان خالٍ.

﴿وَجَوْنَهُمْ﴾ أي: ما يتناجون به فيما بينهم. والنجوى: ما يتحدث به الإنسان مع رفيقه، ويخفيه عن غيره^(١).

﴿بَلَى﴾ نسمع ذلك ونعلم به. ﴿وَرُسُلَنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي: الحفظة عندهم يكتبون جميع ما يصدر عنهم من قول أو فعل.

= (٥٢٣/٢) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ، إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلْتُ سَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي، ظَاهَرَ مِنِّي! اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ. فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهِؤْلَاءِ الْآيَاتِ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]». وانظر: تفسير الطبري (٤٦٦/٢٢)، وزاد المسير (٢٤٢/٤)، والقرطبي (٢٧٠/١٧)، وابن كثير (٣٨/٨).

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٣٥/١١)، والصحاح (٢٥٠٣/٦)، ومقاييس اللغة (٣٩٧/٥).

﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، يقول تعالى لموسى وأخيه هارون عَلَيْهِمَا السَّلَام لما أرسلهما إلى فرعون: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: بحفظي وكِلائي ونصري لكما. ﴿أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ أي: أسمع كلامكما وكلام عدوكما، وأرى مكانكما ومكانه، وما يجري منكما ومنه. وهذا تعليل لقوله: ﴿لَا تَخَافَا﴾.

قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ﴾ أبو جهل حينما نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة ﴿بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ أي: أما عَلِمَ أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازهه على فعله أتم الجزاء؟! والاستفهام للتقريع والتوبيخ.

قوله: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ﴾ أي: يبصرك ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ للصلاة وُحْدَكَ، ﴿وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ أي: ويراك إن صليت في الجماعة راکعًا وساجدًا وقائمًا. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لما تقوله، ﴿الْعَلِيمُ﴾ به.

قوله: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين: ﴿أَعْمَلُوا﴾ ما شئتم، واستمروا على باطلكم، ولا تحسبوا أن ذلك سيخفى.

﴿فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: ستظهر أعمالكم للناس، وترى في الدنيا ﴿وَسُرْدُوتٌ﴾ بعد الموت ﴿إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِ وَالشَّهَدَةِ فَيَنْتَقِمُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم على ذلك.

الشاهد من الآيات الكريمة: في هذه الآيات وصف الله سبحانه بالسمع والبصر، وأنه تعالى يسمع ويبصر حقيقة على ما يليق به، مُنَزَّهٌ عن صفات المخلوقين ومماثلتهم، فالآيات صريحة في إثبات السمع والبصر؛ حيث جاء فيها إثبات السمع لله بلفظ الماضي والمضارع واسم الفاعل: سَمِعَ ويسمع

وسميع. ولا يصح في كلام العرب أن يقال لشيء: (هو سميع بصير) إلا
وذلك الشيء يسمع ويبصر. هذا هو الأصل، فلا يقال: جبل سميع بصير؛
لأن ذلك مستحيل إلا لمن يسمع ويبصر.



١٤- إثبات المكر والكيد لله تعالى على ما يليق به

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [سورة الرعد: ١٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٥٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة النمل: ٥٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ⑩ وَأَكِيدُ كَيْدًا ⑪ [سورة الطارق: ١٥-١٦].

الشَّرْحُ

قوله: ﴿وَهُوَ﴾ أي: الله سبحانه ﴿شَدِيدُ الْحَالِ﴾. المَحَلُّ في اللغة: الشدة، أي: شديد الكيد، قال الزَّجَّاج: (يقال: ما حَلَّتْهُ مَحَالًا، إذا قاوَيْتَهُ؛ حتى يتبين أيكما أَشَدُّ) ^(١). وقال ابن الأعرابي: (المحال: المكر، فهو سبحانه شديد المكر، وشديد الكيد) ^(٢)، والمكر من الله: إيصال المكروه إلى من يستحقه من حيث لا يشعر ^(٣).

وقوله: ﴿وَمَكْرُوا﴾ أي: الذين أحس عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ منهم الكفر،

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/١٤٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٩/٢٩٩)، وفتح القدير (٣/٨٧).

(٣) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (المكر: إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد والمخادعة، ولكنه نوعان: قبيح: وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه، وحسن: وهو إيصاله إلى مستحقه عقوبة له. فالأول مذموم، والثاني ممدوح، والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يُحمد عليه عدلاً منه وحكمة). انظر: إعلام الموقعين (٣/٢١٨). وانظر أيضًا: تفسير الطبري (١/١٣٢ - ١٣٤، ٣/٢٨٩)، وتفسير ابن كثير (١/٥٢)، والنهاية في غريب الأثر (٤/٣٤٩)، ولسان العرب (٥/١٨٣).

وهم كفار بني إسرائيل الذين أرادوا قتل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وصلبه. والمكر: فعل شيء يراد به ضده.

﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ أي: استدرجهم وجازاهم على مكرهم، فألقى شبهه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على غيره، ورفع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إليه.

﴿وَاللَّهُ خَيْرَ الْمَكْرِينَ﴾ أي: أقواهم وأقدرهم على إيصال الضرر بمن يستحقه من حيث لا يشعر ولا يحتسب.

وقوله: ﴿وَمَكْرُوا﴾ أي: الكفار الذين تحالفوا على قتل نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهله خفية؛ خوفاً من أوليائه.

﴿وَمَكْرَنَا مَكْرًا﴾ جازيناهم بفعلهم هذا، فأهلكناهم ونَجَّينا نبينا. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرنا.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: كفار قريش ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي: يمكرون لإبطال ما جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدين الحق.

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أي: أستدرجهم وأجازيهم على كيدهم، فأخذهم على غِرَّةٍ وهم لا يشعرون.

الشاهد من الآيات: في هذه الآيات وصف الله بالمكر والكيد، ونسبة ذلك إليه سبحانه حقيقة على بابه، فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد والمخادعة والمكر. والكيد نوعان: قبيح، وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه. وحسن، وهو إيصاله إلى من يستحقه عقوبةً له. فالأول مذموم، والثاني ممدوح. والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يُحمد عليه عدلاً

منه وحكمة، وهو تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب، لا كما يفعل الظلمة بعباد الله، والله أعلم.

والله سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة حسنة من المخلوق، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟!

تنبيه: نسبة الكيد والمكر ونحوهما إليه سبحانه من إطلاق الفعل عليه تعالى، والفعل أوسع من الاسم؛ ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالاً لم يتسم منها بأسماء الفاعل؛ كأراد وشاء، ولم يُسَمَّ بالمريد والشائي. وكذا مكر ويمكر، وأكيد كيداً؛ فلا يقال: الماكر والكائد؛ لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم.



١٥ - وصف الله بالعضو والمغفرة والرحمة والعزة والقدرة

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفَوْهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٤٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [سورة المنافقون: ٨]، وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة ص: ٨٢].

الشرح

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ أي: تظهروه. ﴿أَوْ تُخْفَوْهُ﴾ فتعملوه سرًّا. ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ أي: تتجاوزوا عمن أساء إليكم. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ عن عباده يتجاوز عنهم ﴿قَدِيرًا﴾ على الانتقام منهم بما كسبت أيديهم، فاقتدوا به سبحانه؛ فإنه يعفو مع القدرة. قوله: ﴿وَلْيَعْفُوا﴾ أي: ليسترو ويتجاوزوا أولو الفضل والسعة المذكورون في أول الآية.

﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ بالإعراض عن الجاني، والإغماض عن جنائته. ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ بسبب عفوكم وصفحكم عن المسيئين إليكم؟ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ كثير المغفرة ﴿رَحِيمٌ﴾ كثير الرحمة.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ هذا رد على المنافقين الذين زعموا أن العزة لهم على المؤمنين، والعزة هي: القوة والغلبة، وهي لله وحده ولن أفاضها عليه من رسوله وصالحى عبيده، لا لغيرهم.

وقوله عن إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ أقسم بعزة الله تعالى: ﴿ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ لَا أُضِلُّنَّ بني آدم؛ بتزيين الشهوات، لهم وإدخال الشبهات عليهم؛ حتى يصيروا غاوين جميعاً. ثم لما علم أن كيده لا ينجح إلا في أتباعه من أهل الكفر والمعاصي استثنى، فقال: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾.

الشاهد من الآيات: أن فيها وُصِفَ الله بالعفو والقدرة والمغفرة والرحمة والعزة، وهي صفات كمال تليق به.



١٦ - إثبات الاسم لله ونفي المثل عنه

وَقَوْلُهُ: ﴿بِزَكِّ اسْمِ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن: ٧٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم: ٦٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

الشرح

﴿بِزَكِّ اسْمِ رَبِّكَ﴾ البركة لغةً: النماء والزيادة. والتبريك: الدعاء بالبركة^(١). ومعنى ﴿بِزَكِّ اسْمِ رَبِّكَ﴾: تعاضم، أو علا، وارتفع شأنه. وهذا اللفظ لا يطلق إلا على الله. ﴿ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ تقدم تفسيره في آيات إثبات الوجه.

قوله: ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ أي: أفرده بالعبادة، ولا تعبد معه غيره.
والعبادة لغةً: الذل والخضوع^(٢).

وشرعاً: اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة^(٣).

(١) انظر: العين (٥/٢٦٨)، وتهذيب اللغة (١٠/١٣٤)، والصحاح (٤/١٥٧٥)، ومقاييس اللغة (١/٢٣٠).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني (١٨٩)، والتعاريف للمناوي (ص ٤٩٨)، ومختار الصحاح (ص ١٧٢)، وتفسير الطبري (١/٦٩)، وتفسير القرطبي (١/٢٢٥، ١٧/٥٦). وانظر تعريف العبادة في: المسودة لآل تيمية (ص ٣٨).

(٣) انظر: (رسالة العبودية) ضمن مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩).

﴿وَأَصْطِرِّ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي: اثبت على عبادته، ولازمها، واصبر على مشاقها.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾؟! الاستفهام للإنكار، والمعنى: أنه ليس له مثل

ولا نظير حتى يشاركه في العبادة.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الكفاء في لغة العرب:

النظير^(١)، أي: ليس له نظير ولا مثيل ولا شريك من خلقه.

وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ الند في اللغة: المثل، والنظير

والشبيه^(٢)، أي: لا تتخذوا لله أمثالاً ونظراءً تعبدونهم معه، وتساوونهم به

في الحب والتعظيم.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه ربكم وخالقكم وخالق كل شيء، وأنه لا ندَّ

له يشاركه في الخلق.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ لما فرغ سبحانه من

ذكر الدليل على وحدانيته في الآية التي قبلها، أخبر أنه مع هذا الدليل الظاهر

المفيد لعظيم سلطانه وجليل قدرته وتفرد به بالخلق، أخبر أنه مع ذلك قد وجد

في الناس من يتخذ معه سبحانه ندًّا يعبدونه من الأصنام العاجزة! ﴿يُحِبُّونَهُمْ

كَحُبِّ اللَّهِ﴾ أي: أن هؤلاء الكفار لم يقتصروا على مجرد عبادة تلك الأنداد،

بل أحبوا حبًّا عظيمًا، وأفرطوا في حبها كما يحبون الله، فقد سوَّوهم بالله في

المحبة، لا في الخلق والرزق والتدبير.

(١) انظر: العين (٥/ ٤١٤)، ومقاييس اللغة (٥/ ١٨٩).

(٢) انظر: العين (٨/ ١٠)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٥١)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣٥٥).

الشاهد من الآيات: أن فيها إثبات اسم الله وتعظيمه وإجلاله. وفيها نفي السَّمِيِّ والكفاء والند عن الله سبحانه، وهو نفي مجمل، وهذه هي الطريقة الواردة في الكتاب والسنة فيما ينفي عن الله تعالى، وهي أن ينفي عن الله عزَّجَلَّ كل ما يصادُّ كماله الواجب من أنواع العيوب والنقائص.



١٧ - نفي الشريك عن الله تعالى

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرَةٌ تَكْبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء: ١١١]، ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة التغابن: ١]، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [سورة الفرقان: ١-٢]، ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ۝١١ ﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَعَلَّ عَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٩١-٩٢]، ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النحل: ٧٤]، ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣].

الشرح

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ الحمد: هو الشناء. و(أل) فيه للاستغراق^(١)، أي: الحمد كله لله ﴿ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ أي: ليس له ولد كما تقوله اليهود والنصارى وبعض مشركي العرب.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ أي: ليس له مشارك في ملكه وربوبيته

كما تقول الثنوية ونحوهم ممن يقول بتعدد الآلهة!

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدَّلِيلِ﴾ أي: ليس بذليل فيحتاج إلى أن يكون له

ولي أو وزير أو مشير، فلا يحالف أحداً، ولا يستنصر بأحد.

﴿وَكَبِيرَةٌ تَبْكِيراً﴾ أي عظمه وأجله عما يقوله الظالمون.

قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تنزهه جميع مخلوقاته

التي في سماواته وأرضه عن كل نقص وعيب.

﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ يختصان به، ليس لغيره منهما شيء، وما كان

لعبادته من الملكية فهو من عطائه.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء.

﴿تَبَارَكَ﴾ فعلٌ ماضٍ، مأخوذ من البركة، وهي النماء والزيادة المستقرة

الثابتة الدائمة^(١)، وهذه اللفظة لا تستعمل إلا لله سبحانه، ولا تستعمل إلا

بلفظ الماضي.

﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ أي: القرآن، سُمِّيَ فُرْقَاناً؛ لأنه يفرق بين الحق

والباطل.

﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ يعني: محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهذه صفة مدح وثناء؛ لأنه

أضافه إليه إضافة تشريف وتكريم في مقام إنزال القرآن عليه.

﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن، وهذا من خصوصياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿ نَذِيرًا ﴾ أي: منذرًا، مأخوذ من الإنذار، وهو الإعلام بأسباب المخافة.
وقوله: ﴿ لِيَكُونَ ﴾ تعليل لإنزال الفرقان عليه، أي: يخصه بالرسالة العامة.

ثم وصف نفسه سبحانه بأربع صفات:

الصفة الأولى: قوله: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ دون غيره،
فهو المتصرف فيهما وحده.

الصفة الثانية: ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ كما تزعم النصارى واليهود،
وذلك لكمال غناه، وحاجة كل مخلوق إليه.

الصفة الثالثة: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ فيه رد على طوائف
المشركين؛ من الوثنية، والثنوية^(١)، وغيرهم.

الصفة الرابعة: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ من المخلوقات. ويدخل في
ذلك أفعال العباد؛ فهي خلق الله وفعل العبد. ﴿ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ أي: قدر كل
شيء مما خلق؛ من الآجال، والأرزاق، والسعادة، والشقاوة، وهياً كل شيء
لما يصلح له.

قال ابن كثير: (وَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْوَلَدِ وَعَنِ الشَّرِيكِ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ ﴿ وَخَلَقَ
كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ أي: كُلُّ شَيْءٍ مِمَّا سِوَاهُ مَخْلُوقٍ مَرْبُوبٍ، وَهُوَ خَالِقُ
كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِكُهُ وَإِلَهُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَسْخِيرِهِ
وَتَقْدِيرِهِ). انتهى^(٢).

(١) انظر: الملل والنحل (٢/ ٣٥-٦٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٩٣).

قوله: ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ في هذه الآية ينزه تعالى نفسه على أن يكون له ولد أو شريك في الملك والتصرف والعبادة. و ﴿ مِنْ ﴾ في الموضعين لتأكيد النفي.

﴿ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ هذا استدلال لما سبق في أول الآية من نفي الولد والشريك في الألوهية، أي: لو قُدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم عن الآخر بما خلق، وحينئذ لا ينتظم الكون لوجود الانقسام. والواقع المشاهد أن الكون منتظم أتم انتظام، لم يحصل فيه تعدد ولا انقسام.

﴿ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ أي: ولو كان معه إله آخر لكان كل منهم يطلب قهر الآخر ومخالفته، فيعلو بعضهم على بعض، كحال ملوك الدنيا، وحينئذ فذلك المغلوب الضعيف لا يستحق أن يكون إلهًا.

وإذا تقرر بطلان المشارك تعيّن أن يكون الإله واحدًا، هو الله وحده؛ ولهذا قال: ﴿ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ من الشريك والولد.

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ أي: هو المختص بعلم ما غاب عن العباد وعلم ما يشاهدونه، وأما غيره فهو وإن علم شيئًا من المشاهد فإنه لا يعلم الغيب.

﴿ فَتَعَالَى ﴾ أي: تَنَزَّهَ اللَّهُ وَتَقَدَّسَ.

﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ به، فهو سبحانه متعالٍ عن أن يكون له شريك في الملك.

قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ ينهى سبحانه عن ضرب الأمثال له. وضرب المثل هو تشبيه حال بحال، وكان المشركون يقولون: إن الله أَجَلٌ من أن يعبدَه الواحد منا، فلا بد من اتخاذ واسطة بيننا وبينه! فكانوا يتوسلون إليه بالأصنام وغيرها؛ تشبيهاً له بملوك الدنيا! فنهى سبحانه عن ذلك؛ لأنه سبحانه لا مِثْلَ له، فلا يُمَثَّلُ بخلقه، ولا يُشَبَّهُ بهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أنه لا مثل له. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ففعلكم هذا صدر عن توهمٍ فاسد، وخاطر باطل. ولا تعلمون أيضاً ما في عبادة الأصنام من سوء العاقبة.

وقوله: ﴿قُلْ﴾ الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي ذلك دليل على أن القرآن كلام الله، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبَلَّغٌ عن الله.

﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر. ﴿حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ أي: جعلها حراماً. والفواحش: جمع فاحشة، وهي ما تنهى قُبْحُهُ من المعاصي^(١).

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: ما أعلن منها وما أسر.

﴿وَالْإِثْمَ﴾ كل معصية يتسبب عنها الإثم، وقيل: هو الخمر خاصة^(٢).

(١) انظر مادة: (فحش) في: العين (٩٦/٣)، وتهذيب اللغة (١١١/٤)، والصحاح (١٠١٤/٣)، ومقاييس اللغة (٤٧٨/٤)، ولسان العرب (٣٢٥/٦).

(٢) قال ابن الجوزي: (وفي الإثم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذنب الذي لا يوجب الحد. قاله ابن عباس، والضَّحَّاك، والقرَّاء. والثاني: المعاصي كلها. قاله مجاهد.

والثالث: أنه الخمر. قاله الحسن، وعطاء). انظر: زاد المسير (١١٥، ١١٦). وانظر أيضاً: تفسير الطبري (١٠/١٦٣)، والقرطبي (٧/٢٠٠)، وابن كثير (٣/٤٠٨، ٤٠٩).

﴿وَالْبَغْيَ يَغْتَرِ الْحَقُّ﴾ أي: الظلم المجاوز للحد، والتعدي على الناس.

﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾ أي: تجعلوا له شريكاً في العبادة.

﴿مَا لَمْ يُزَلَّ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أي: حُجَّةٌ وبرهاناً. وهذا موضع الشاهد من

الآية.

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ من الافتراء والكذب، من دعوى

أن له ولداً ونحو ذلك مما لا علم لكم به، ومثل ما كانوا ينسبون إليه من التحليلات والتحريمات التي لم يأذن بها.

الشاهد من هذه الآيات الكريمة: أن فيها نفياً الشريك عن الله تعالى،

وإثبات تفرُّده بالكمال، ونفي الولد والمثل عنه سبحانه، وأن جميع مخلوقاته تنزُّهه عن ذلك وتقديسه. كما فيها إقامة الحجة على بطلان الشرك، وأنه مبني على جهل وخيال، وأنه سبحانه لا مثل له ولا شبيه له. والله أعلم.



١٨ - إثبات استواء الله على عرشه

وَقَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾
 فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ: فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤]،
 وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة يونس: ٣]، وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ:
 ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة الرعد: ٢]،
 وَقَالَ فِي سُورَةِ طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه: ٥]، وَقَالَ فِي سُورَةِ
 الْفُرْقَانِ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [سورة الفرقان: ٥٩]، وَقَالَ فِي سُورَةِ
 الْمِ السَّجْدَةِ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
 اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة السجدة: ٤]، وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة الحديد: ٤].

الشَّرْحُ

أي قد ورد إثبات استواء الله على عرشه في سبع آيات من كتاب الله،
 كلها قد ورد فيها إثبات الاستواء بلفظ واحد، هو: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾؛
 فهو نصٌّ في معناه الحقيقي، لا يحتمل التأويل بمعنى آخر. والاستواء صفة
 فعلية ثابتة لله سبحانه على ما يليق بجلاله، كسائر صفاته، وله في لغة العرب

أربعة معانٍ؛ هي: علا، وارتفع، وصعد، واستقر. وهذه المعاني الأربعة تدور عليها تفاسير السلف للاستواء الوارد في هذه الآيات الكريمة^(١).

فقوله في الآية الأولى والثانية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ أي: هو خالقكم ومربيكم بنعمه، والذي يجب عليكم أن تعبدوه وحده.
﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: هو خالق العالم؛ سماواته وأرضه وما بين ذلك.

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، ففي يوم الجمعة اجتمع الخلق كله، وفيه خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.
﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: علا وارتفع على العرش كما يليق بجلاله. وهذا محل الشاهد من الآية.

والعرش في اللغة هو سرير الملك^(٢)، والمراد به هنا كما يدل عليه مجموع النصوص: سرير ذو قوائم، تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات^(٣).

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعْنَانِ	فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْزَعُ
تَفَعَّ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ	وَهِيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ أَرُ
وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِي	وَكَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِعُ
أَذْرَى مِنَ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ	يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٤٤٠).

(٢) انظر: مادة (ع ر ش) في النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٠٧)، ولسان العرب (٦/ ٣١٣)، ومختار الصحاح (ص ١٧٨).

(٣) كما في حديث الأبطح الذي أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٢)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٢٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٥٦)، =

وقوله في الآية الثالثة: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾ أي: رفعها عن الأرض رفعا بعيدا، لا يُنال، ولا يُدرك مداه.

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا﴾ العمد هي الأساطين، جمع عماد. أي: قائمة بغير عمد تعتمد عليها، بل بقدرته سبحانه. وقوله: ﴿تَرْوُنَهَا﴾ تأكيد لنفي العمد. وقيل: لها عمد ولكن لا نراها. والأول أصح.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ هذا محل الشاهد من الآية الكريمة، لإثبات الاستواء. والكلام على بقية الآيات كالكلام على هذه الآية.

ويستفاد منها جميعا: إثبات استواء الله على عرشه على ما يليق بجلاله، وفيها الرد على مَنْ أَوَّلَ الاستواء بأنه الاستيلاء والقهر، وفسر العرش بأنه الملك، فقال: ﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ معناه: استولى على الملك، وقهر غيره! وهذا باطل من وجوه كثيرة؛ منها:

= وابن عبد البر في التمهيد (١٤١/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦١/١)، وابن أبي شيبه في العرش (ص ٥٧)، والأجري في الشريعة (٣٠٧)، واللاكثاني في اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٤) من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جُهِدْتَ الْأَنْفُسَ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكْتَ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقَى اللَّهُ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ، وَنَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَنَحْكَ! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟! وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَنَحْكَ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَنَحْكَ! أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟! إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ هَكَذَا. وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقَبَّةِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَيَطُطُّ بِهِ أَطِيطُ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ».

أولاً: أن هذا تفسيرٌ مُحَدَّثٌ مخالف لتفسير السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم، وأوّل من قال به: الجهمية والمعتزلة؛ فهو مردود.

ثانياً: لو كان المراد بالاستواء على العرش الاستيلاء على الملك لم يكن هناك فرق بين العرش والأرض السابعة السفلى والدواب وجميع المخلوقات؛ لأنه مستولٍ على الجميع، ومالك للجميع؛ فلا يكون لذكر العرش فائدة!

ثالثاً: أن هذا اللفظ ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد اطرّد في الكتاب والسنة، ولم يأت في لفظ واحد: (استولى على العرش) حتى تفسر به بقية النصوص.

رابعاً: أنه أتى بـ ﴿ثُمَّ﴾ التي تفيد الترتيب والمهلة، فلو كان معنى الاستواء الاستيلاء على العرش والقدرة عليه؛ لم يتأخر ذلك إلى ما بعد خلق السموات والأرض؛ فإن العرش كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما ثبت في صحيح مسلم^(١)، فكيف يجوز أن يكون غير قادر ولا مستولٍ عليه إلى أن خلق السموات والأرض؟! هذا من أبطل الباطل. والله أعلم^(٢).



(١) أخرجه مسلم (١٦) (٢٦٥٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

(٢) ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا التفسير من عشرين وجهًا، انظر: مجموع الفتاوى (١٤٤/٥). وانظر: (ص ٢٨).

١٩ - إثبات علو الله على مخلوقاته

وَقَوْلُهُ: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [سورة آل عمران: ٥٥]، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [سورة النساء: ١٥٨]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سورة فاطر: ١٠]، ﴿يَهْتَمُّنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُغُ الْأَسْبَبَ﴾ (٣٦) ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [سورة غافر: ٣٦-٣٧]، ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١١) ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ [سورة الملك: ١٦-١٧].

الشرح

﴿يَعِيسَى﴾ خطاب من الله تبارك وتعالى لعيسى ابن مريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ الذي عليه الأكثر أن المراد بالوفاة هنا النوم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]. ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي: رفعه الله إليه في السماء وهو حي. وهذا محل الشاهد من الآية: وهو إثبات العلو لله؛ لأن الرفع يكون إلى أعلى.

وقوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ هذا رد على اليهود الذين يدَّعون أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ

شُبِّهَ لَهُمْ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨]

أي: رفع الله سبحانه وتعالى المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ إليه، وهو حي لم يقتل.

وهذا محل الشاهد: لأن فيه إثبات علو الله على خلقه؛ لأن الرفع

يكون إلى أعلى.

وقوله: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ﴾ أي: إلى الله سبحانه لا إلى غيره يرتفع.

﴿ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ أي: الذكر والتلاوة والدعاء.

﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ أي: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب؛

فإن الكلم الطيب لا يقبل إلا مع العمل الصالح، فمن ذكر الله تعالى ولم

يؤدّ فرائضه رد كلامه، قال إِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: (لَوْ لَا الْعَمَلُ الصَّالِحُ لَمْ يُرْفَعْ

الْكَلَامُ). وقال الحَسَنُ، وَقْتَادَةُ: (لَا يُقْبَلُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ) (١).

والشاهد من الآية: أن فيها إثبات علو الله على خلقه؛ لأن الصعود

والرفع يكونان إلى أعلى.

وقوله تعالى: ﴿ يَهْتَمِنُ ابْنُ بَنِي صَرْحًا ﴾ هذا من مقولة فرعون لوزيره

هامان، يأمره أن يبني له قصرًا مُنِيفًا عَالِيًا.

﴿ لَعَلِّي أَنْبَلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ (٣٦) أَسْبَابُ السَّمَوَاتِ ﴿ أي: طرق السماوات

أو أبوابها.

﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾ بنصب ﴿ فَأَطَّلِعَ ﴾ بأن مضمرة بعد فاء

السببية. ومعنى مقالته هذه تكذيب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في أن الله أرسله، أو أن

له إلهًا في السماء؛ ولذلك قال: ﴿وَلِنِّى لَآظُنُّهُ كَذِبًا﴾ أي: فيما يدعيه من الرسالة، أو فيما يدعيه بأن له إلهًا في السماء.

والشاهد من الآية: أن فيها إثبات علو الله على خلقه؛ حيث إن موسى عليه السلام أخبر بذلك، وحاول فرعون تكذيبه.

وقوله تعالى: ﴿ءَأْمِنْتُمْ﴾ الآمن: ضد الخوف.

﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أي: عقوبة من في السماء، وهو الله سبحانه. ومعنى ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أي: على السماء، كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾، وهذا إن أريد بالسماء المبنية، وإن أريد بالسماء مطلق العلو (في) للظرفية، أي: في العلو.

﴿أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ أي: يقلعها بكم كما فعل بقارون.

﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ أي: تضطرب وتتحرك.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: حجارة من السماء، كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل. وقيل: سحاب فيها حجارة. وقيل: ريح فيها حجارة^(١).

﴿فَسَعَلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ أي: إنذارى إذا عاينتم العذاب، ولا ينفعكم

حينذاك هذا العلم.

والشاهد من الآيتين: أن فيها إثبات علو الله على خلقه؛ حيث صرحنا

أنه سبحانه في السماء، فقد دلت هذه الآيات التي ذكرها المؤلف -رحمة الله

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢١٧/١٨)، وابن كثير (٨/ ١٨٠).

عليه - على إثبات العلو، كما دلت الآيات التي قبلها على إثبات استواء الله على العرش.

والفرق بين الاستواء والعلو:

١ - أن العلو من صفات الذات، والاستواء من صفات الأفعال؛ فعلو الله على خلقه وصف لازم لذاته، والاستواء فعل من أفعاله سبحانه يفعلُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ إِذَا شَاءَ؛ ولذا قال فيه: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى﴾، وكان ذلك بعد خلق السماوات والأرض.

٢ - أن العلو من الصفات الثابتة بالعقل والنقل، والاستواء ثابت بالنقل لا بالعقل.



٢٠- إثبات معية الله لخلقه

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة الحديد: ٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنْشِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المجادلة: ٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾ [سورة التوبة: ٤٠]، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَصَمُّ وَأَرَى﴾ [سورة طه: ٤٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل: ١٢٨]، ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿كَمْ مِنْ فَتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٩].

الشَّرْحُ

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾: تقدم تفسيره.

وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ أي: هو معكم بعلمه، رقيب عليكم، شهيد على أعمالكم حيث كنتم، وأينما كنتم؛ في بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت سمعه وبصره؛ يسمع كلامكم، ويرى مكانكم.

وهذا محل الشاهد من الآية الكريمة؛ ففيه إثبات المعية العامة.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُوثُ مِنْ تَجَوَّى ثَلَاثَةٍ﴾ النجوى: السر، والمعنى:

ما يوجد من تناجي ثلاثة.

﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ أي: جاعلهم أربعة،

وجاعلهم ستة؛ من حيث إنه سبحانه يشاركهم في الاطلاع على تلك

النجوى، وتخصيص هذين العددين بالذكر؛ لأن أغلب عادات المتناجين أن

يكونوا ثلاثة أو خمسة، أو أن سبب النزول تناجي ثلاثة في واقعة، وخمسة في

واقعة أخرى، وإلا فهو سبحانه مع كل عدد قل أو كثر؛ ولهذا قال تعالى:

﴿وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ أي: ولا أقل من العدد المذكور

كالواحد والاثنين، ولا أكثر منه كالسبعة والسبعة.

﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ بعلمه، يعلم ما يتناجون به، ولا يخفى عليه شيء منه.

قال المفسرون: إن المنافقين واليهود كانوا يتناجون فيما بينهم، ويوهمون

المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوؤهم؛ فيحزنون لذلك، فلما طال ذلك وكثر،

شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرهم ألا يتناجوا دون المسلمين، فلم

ينتهبوا عن ذلك، وعادوا إلى مناجاتهم؛ فأنزل الله هذه الآيات^(١).

وقوله تعالى: ﴿أَيَنْ مَا كَانُوا﴾ معناه: إحاطة علمه سبحانه بكل تناجٍ يقع

منهم في أي مكان.

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢/٤٦٨، ٤٦٩)، وزاد المسير (٤/٢٤٥)، وابن كثير (٨/٤٢).

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ أي يخبرهم سبحانه ﴿بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، ويجازيهم على ذلك، وفي هذا تهديد لهم وتوبيخ. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء.

والشاهد من الآية: أن فيها إثبات مَعِيَّةِ الله لخلقه، وهي معية عامّة، مقتضاها الإحاطة والعلم بجميع أعمالهم؛ ولهذا يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: (افتتح الآية بالعلم، واختتمها بالعلم).

وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾ هذا خطاب من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصاحبه أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حينما كانا في الغار وقت الهجرة، وقد لحق بهما المشركون، فحزن أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ خوفاً على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذى الكفار، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ أي: دَعِ الحزن؛ ﴿إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾ بنصره وعونه وتأييده، ومن كان الله معه فلن يُغْلَبَ، ومن لا يُغْلَبَ لا يحق له أن يحزن.

والشاهد من الآية: أن فيها إثبات المعية الخاصة بالمؤمنين، التي مقتضاها النصر والتأييد.

وقوله تعالى لموسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَام: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمُعُ وَأَرَى﴾ أي: لا تخافا من فرعون.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ تعليل للنهي، أي: معكما بالنصر لكما، والمعونة على فرعون.

﴿أَسْمُعُ﴾ كلامكما وكلامه، ﴿وَأَرَى﴾ مكانكما ومكانه، لا يخفى عليّ من أمركم شيء.

والشاهد من الآية: أن فيها إثبات المعية الخاصة في حق الله تعالى لأوليائه بالنصر والتأييد، كما أن فيها إثبات السمع والبصر له **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: تركوا المحرمات والمعاصي على اختلاف أنواعها.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ بتأدية الطاعات، والقيام بما أمروا به، فهو سبحانه مع هؤلاء بتأييده ونصره ومعونته، وهذه معية خاصة، وهي محل الشاهد من الآية الكريمة.

وقوله: ﴿وَاصْبِرْ﴾ هذا أمر بالصبر، وهو حبس النفس، والمراد به هنا: الصبر على شدائد الحرب التي بين المسلمين وبين الكفار. ثم علل هذا الأمر بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، فهو سبحانه مع الصابرين في كل أمر ينبغي الصبر فيه.

والشاهد من الآية الكريمة: أن فيها إثبات معية الله للصابرين على طاعته، والمجاهدين في سبيله. قال الإمام الشوكاني: (وَيَا حَبْدًا هَذِهِ الْمَعِيَّةُ الَّتِي لَا يَغْلِبُ مَنْ رُزِقَهَا غَالِبٌ، وَلَا يُؤْتَى صَاحِبُهَا مِنْ جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ، وَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً). اهـ^(١).

وقوله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً﴾ الفتن: الجماعة والقطعة منهم.

﴿يَاذُنِ اللَّهِ﴾ أي: بإرادته وقضائه ومشيئته.

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ هذا محل الشاهد من الآية الكريمة، وهو إثبات معية الله سبحانه للصابرين على الجهاد في سبيله، وهي معية خاصة، مقتضاها النصر والتأييد.

ما يستفاد من مجموع الآيات السابقة: أفادت إثبات المعية، وأنها نوعان:

النوع الأول: معية عامّة، كما في الآيتين الأوليين، ومقتضى هذه المعية إحاطته سبحانه بخلقه، وعلمه بأعمالهم خيرها وشرّها، ومجازاتهم عليها.

النوع الثاني: معية خاصة بعباده المؤمنين، ومقتضاها النصر والتأييد والحفظ، وهذا النوع تدل عليه الآيات الخمس الباقية التي أوردها المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ.

ومعيته سبحانه لا تنافي علوّه على خلقه، واستوائه على عرشه؛ لأنّ قربه سبحانه ومعيته ليست كقرب المخلوق ومعية المخلوق للمخلوق؛ فإنه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ولأنّ المعية مطلق المقارنة، لا تقتضي مماسة ولا محاذاة؛ تقول العرب: (مازلنا نمشي والقمر معنا) مع أنه فوقهم، والمسافة بينهم وبينه بعيدة؛ فعلموا الله جَلَّ جَلَالُهُ ومعيته لخلقه لا تنافي بينهما. وسيأتي لهذا مزيد بيان إن شاء الله.



٢١- إثبات الكلام لله تعالى

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٢٢]، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [سورة المائدة: ١١٦]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [سورة الأنعام: ١١٥]، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٦٤]، ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣]، ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْنَاهُ نَحْيًا﴾ [سورة مريم: ٥٢]، ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَيُّنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٠]، ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ يَأْتِكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ﴾ [سورة الأعراف: ٢٢]، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص: ٦٥]، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٥]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة الفتح: ١٥]، ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [سورة الكهف: ٢٧]، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَتْلُو عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة النمل: ٧٦].

الشرح

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أصدق منه سبحانه،

فهو استفهام إنكاري. ﴿حَدِيثًا﴾ أي: في حديثه وخبره، وأمره ووعدته وووعيده.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ القيل: مصدر قال، كالقول؛ أي: لا أحد أصدق قولاً من الله عزَّ وجلَّ.

والشاهد من الآيتين الكريمتين: أن فيهما إثبات الحديث والقيـل لله سبحانه، ففيهما إثبات الكلام له سبحانه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ أي: اذكر ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ﴾. جمهور المفسرين ذهب إلى أن هذا القول منه سبحانه يكون يوم القيامة، وهو توبيخ للذين عبدوا المسيح وأمه من النصارى^(١)، وهي كالأيتين السابقتين؛ فيهما إثبات القول لله تعالى، وأنه يقول إذا شاء.

وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ المراد بالكلمة: كلامه سبحانه.

وقوله: ﴿صِدْقًا﴾ أي: في إخباره سبحانه، ﴿وَعَدْلًا﴾ أي: في أحكامه، و﴿صِدْقًا، وَعَدْلًا﴾ منصوبان على التمييز. وفي الآية إثبات الكلام لله تعالى.

وقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ هذا تشریف لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنَّ الله كلمه، أي: أسمعـه كلامه؛ ولهذا يقال له: الكليم. و﴿تَكْلِيمًا﴾ مصدر مؤكد لدفع كون التكليم مجازاً.

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/١٣٣)، وزاد المسير (١/٦٠٤)، والقرطبي (٦/٣٧٥)، وابن كثير (٣/٢٣٢).

ففي الآية إثبات الكلام لله، وأنه كلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ أي: من الرسل -عليهم الصلاة والسلام- ﴿مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ أي: أسمعته كلامه بلا واسطة، يعني: موسى ومحمدًا -عليهما الصلاة والسلام-، وكذا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كما ورد به الحديث في صحيح ابن حبان^(١).

ففي الآية إثبات الكلام لله تعالى، وأنه كلم بعض الرسل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَلِنَا﴾ أي: حصل مجيئه في الوقت الذي واعدته الله فيه ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ أي: أسمعته كلامه من غير واسطة. فالآيات فيها إثبات الكلام لله، وأنه يتكلم متى شاء سبحانه، وأنه كلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بلا واسطة.

وقوله تعالى: ﴿وَنَدَيْنَاهُ﴾ أي: نادى الله تعالى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. والنداء هو الصوت المرتفع.

﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ الطور: جبل بين مصر ومدين ﴿الْأَيْمَنِ﴾ أي: الجانب الأيمن من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ذهب يبتغي من النار التي رآها جذوة، وليس المراد أيمن الجبل نفسه؛ فإن الجبال لا يمين لها ولا شمال.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤٣٢/٣٥)، والبخاري في تاريخه (٢٩/١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٥/٧)، وابن حبان في صحيحه (٧٦/٢)، والبزار في مسنده (٤٢٦/٩)، والطيالسي في مسنده (ص ٦٥)، والطبراني في الكبير (٧٨٧١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٨/١) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «...قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوَّلَ؟ قَالَ: آدَمُ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَنَبِيِّ كَانَ؟ قَالَ: نَعَمْ، نَبِيُّ مُكَلَّمٍ».

﴿وَقَرَّبْنَاهُ﴾ أي: أدنيناه حتى كلمناه ﴿نَجِيًّا﴾ أي: مناجيًا، والمناجاة ضد المنادة.

وفي الآية الكريمة: إثبات الكلام لله تعالى، وأنه ينادي ويناجي، وهما نوعان من الكلام؛ فالمنادة بصوت مرتفع، والمناجاة بصوت غير مرتفع.

وقوله: ﴿وَإِذْ﴾ أي: واثُلْ أو اذكرْ ذلك ﴿نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ النداء هو الدعاء ﴿أَنْ أَنْتَ﴾: ﴿أَنْ﴾ يجوز أن تكون مفسرة، وأن تكون مصدرية، أي: اذهب إلى ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ وصفهم بالظلم؛ لأنهم جمعوا بين الكفر الذي ظلموا به أنفسهم، وبين المعاصي التي ظلموا بها غيرهم؛ كاستعبادهم بني إسرائيل، وذبح آبائهم.

وفي الآية الكريمة: إثبات الكلام لله تعالى، وأنه ينادي من شاء من عباده، ويسمعه كلامه.

وقوله: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ أي: نادى الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام، قائلاً لهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ أي: عن الأكل منها. وهذا عتاب من الله لهما وتوبيخ، حيث لم يحذرا ما حذرهما منه.

وفي الآية الكريمة إثبات الكلام لله تعالى، والنداء منه لآدم وزوجه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: ينادي الله سبحانه هؤلاء المشركين يوم القيامة، ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾؟ أي: ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين لما بلغوكم رسالاتي؟

والشاهد من الآية: إثبات الكلام لله، وأنه ينادي يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الذين أمرت بقتالهم ﴿أَسْتَجَارَكَ﴾ يا محمد، أي: طلب جوارك وحمايتك وأمانك؛ ﴿فَأَجِرْهُ﴾ أي: كن له جارًا ومؤمنًا ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ منك ويتدبره، ويقف على حقيقة ما تدعو إليه.

والشاهد من الآية: أن فيها إثبات الكلام لله تعالى، وأن الذي يُتلى هو كلام الله.

وقوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: اليهود، والفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه.

﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ أي: التوراة، ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ أي: يتأولونه على غير تأويله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي: فهموه، ومع هذا يخالفونه على بصيرة ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله.

والشاهد من الآية الكريمة: أن فيها إثبات الكلام لله تعالى، وأن التوراة من كلامه تعالى، وأن اليهود حرّفوها، وغيرّوا فيها وبدّلوا.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾، ﴿يُرِيدُونَ﴾ أي: المخلفون من الأعراب الذين اختاروا المقام في أهليهم وشغلهم، وتركوا المسير مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين خرج عام الحديبية.

﴿أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ أي: يغيروا كلام الله الذي وعد الله به أهل الحديبية خاصة بغنيمة خيبر.

﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ هذا نفي في معنى النهي، أي: لا تتبعونا.
﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: وعد الله أهل الحديبية أن غنيمة خيبر لهم خاصة.

والشاهد من الآية الكريمة: أن فيها إثبات الكلام لله، وإثبات القول له، وأن الله سبحانه يتكلم ويقول متى شاء إذا شاء، وأنه لا يجوز تبديل كلامه سبحانه، بل يجب العمل به واتباعه.

وقوله: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ أمر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يواظب على تلاوة الكتاب الموحى إليه.

والوحي: هو الإعلام بسرعة وخفاء^(١)، وله كيفيات مذكورة في كتب أصول التفسير.

﴿مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ بيان للذي أوحى إليه.
﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ أي: لا مغير لها، ولا محرّف، ولا مزيل.
والشاهد من الآية: إثبات الكلمات لله تعالى.

قوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وهم حملة التوراة والإنجيل.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص ١٠٤٦)، والقاموس المحيط (٣٩١/٤)، فصل الحاء باب الواو والياء، والمصباح المنير (ص ٥٣٥)، ومختار الصحاح (ص ٧١٣) مادة: (وح ي).

﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ كاختلافهم في عيسى عَلَيْهِ السَّلَام؛
فاليهود افترضوا في حقه، والنصارى غَلَّوْا فيه. فجاء القرآن بالقول الوسط
الحق: أنه عبدُ الله ورسولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ.

والشاهد من الآية الكريمة: أن فيها إثبات أن القرآن كلام الله تعالى؛
لما تضمنه من الإحاطة بالكتب السابقة، والحكم في الخلاف بين طوائف أهل
الكتاب بالقسط، وهذا لا يكون إلا من عند الله.

ويستفاد من مجموع الآيات التي ساقها المؤلف: إثبات الكلام لله،
ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات ما دل عليه الكتاب والسنة من أن الله
موصوف بالكلام، وكلامه سبحانه من صفاته الذاتية؛ لقيامه به، وَاتَّصَفَهُ
به. ومن صفاته الفعلية الواقعة بمشيئته وقدرته؛ فيتكلم إذا شاء، كيف
شاء، بما شاء، ولم يَزَلْ متكلمًا، ولا يزال متكلمًا؛ لأنه لم يزل ولا يزال كاملاً،
والكلام من صفات الكمال، ولأن الله وصف به نفسه، ووصفه به رسوله.
وسياقي ذكر مذهب المخالفين في هذه المسألة مع الرد عليهم إن شاء الله.



٢٢- إثبات تنزيل القرآن من الله تعالى

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [سورة الحشر: ٢١]، ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفَرِّجٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِيْ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة النحل: ١٠١-١٠٣].

الشَّرْحُ

لما أورد المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ الْآيَات الدالة على إثبات الكلام لله تعالى، وأن القرآن العظيم من كلامه سبحانه؛ شرع في سياق الآيات الدالة على أن القرآن منزلٌ من عند الله.

فقوله تعالى: ﴿وَهَذَا﴾ الإشارة إلى القرآن الكريم، واسم الإشارة مبتدأ، خبره: ﴿كِتَابٌ﴾، و﴿أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ صفتان لكتاب، وقدم صفة الإنزال؛ لأن الكفار ينكرونها. والمبارك: كثير البركة؛ لما هو مشتمل عليه من المنافع الدينية والدنيوية.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ هذا إخبار عن عظمة القرآن، وأنه حقيق بأن تخشع له

القلوب؛ فإنه لو أنزل على جبل -مع كونه في غاية القسوة، وشدة الصلابة- لو فهم هذا القرآن لخشع وتصدع من خوف الله؛ حذرًا من عقابه. فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخضع، وقد فهِمْتُمْ عن الله أمره، وتدبرتم كتابه؟!

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةٍ﴾ هذا شروع منه سبحانه في ذكر شبهة كفرية حول القرآن الكريم، مع الرد عليها.

وقوله: ﴿بَدَلْنَا﴾ معنى التبديل: رفع الشيء مع وضع غيره مكانه^(١)، وتبديل الآية: رفعها بأخرى غيرها، وهو نسخها بآية سواها.

﴿قَالُوا﴾ أي: كفار قريش، الجاهلون للحكمة في النسخ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّد، مُفْتَرٍ﴾ أي: كاذب مخلق متقول على الله، حيث تزعم أنه أمرك بشيء، ثم تزعم أنه أمرك بخلافه!

فرد الله عليهم بما يفيد جهلهم، فقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ شيئًا من العلم أصلاً، أو لا يعلمون الحكمة في النسخ؛ فإنه مبني على المصالح التي يعلمها الله سبحانه، فقد يكون في شرع هذا الشيء مصلحة مؤقتة بوقت، ثم تكون المصلحة بعد ذلك الوقت في شرع غيره، ولو انكشف الغطاء لهؤلاء الكفرة لعلموا أن ذلك وجه الصواب، ومنهج العدل والرفق واللطف.

ثم رد عليهم في زعمهم أن هذا التبديل من عند محمد، وأنه بذلك مفتر على الله، فقال سبحانه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾ أي: القرآن ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾

(١) انظر: الصحاح (٤/١٦٣٢)، وتهذيب اللغة (١٤/٩٣)، ومقاييس اللغة (١/٢١٠).

أي: جبريل عَلَيْهِ السَّلَام، والقدس: الطهر. والمعنى: نزله الرُّوح المطهر، فهو من إضافة الموصوف إلى صفته.

﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ أي: ابتداء تنزيله من عند الله سبحانه.

﴿ بِالْحَقِّ ﴾ في محل نصب على الحال، أي: متصفًا بكونه حقًّا.

﴿ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ على الإيمان، فيقولون: كلُّ من الناسخ والمنسوخ من عند ربنا. ولأنهم إذا عَرَفُوا ما في النسخ من المصالح ثبتوا على الإيمان.

﴿ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ معطوفان على محل ﴿ لِيُثَبِّتَ ﴾؛ أي: تثبيتًا لهم، وهداية وبُشْرَى.

ثم ذكر سبحانه شبهة أخرى من شبههم، فقال: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ أي: ولقد نعلم أن هؤلاء الكفار يقولون: إنما يعلم محمدًا القرآنَ بشرٌ من بني آدم، وليس ملكًا من الملائكة، وهذا البشر الذي يعلمه كان قد درس التوراة والإنجيل والكتب الأعجمية؛ لأن محمدًا رجل أُمِّيٌّ لا يمكن أن يأتي بما ذكر في القرآن من أخبار القرون الأولى!

فرد عليهم بقوله: ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي ﴾ أي: لسان الذي يميلون إليه ويزعمون أنه يعلمك يا محمد أعجمي، أي: غير عربي، فهو لا يتكلم العربية.

﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ أي: وهذا القرآن ذو بلاغة عربية، وبيان واضح، فكيف تزعمون أن بشرًا يعلمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العجم،

وقد عجزتم أنتم عن معارضته أو معارضة سورة أو سورٍ منه وأنتم أهل اللسان العربي، ورجال الفصاحة، وقادة البلاغة؟!

ما يستفاد من الآيات: يستفاد من هذه الآيات الكريمة: إثبات أن القرآن منزلٌ من عند الله تعالى، وأنه كلامه جَلَّوَعَلَا، لا كلام غيره من الملائكة أو البشر.

والرد على من زعم أنه كلام مخلوق.

وفي الآيات أيضًا إثبات العلو لله سبحانه؛ لأن الإنزال لا يكون إلا من أعلى، والله أعلم.



٢٣ - إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

وَقَوْلُهُ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [سورة القيامة: ٢٢-٢٣]، ﴿عَلَى الْأَرْكَانِ يَنْظُرُونَ﴾ [سورة المطففين: ٢٤]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦]، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [سورة ق: ٣٥].

وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ.

الشَّرْحُ

قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ﴾ أي: وجوه المؤمنين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ بالضاد، من النضارة، وهي البهاء والحسن؛ أي: ناعمة غضة، حسنة، مضيئة مشرقة.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ أي: خالقها ﴿نَاظِرَةٌ﴾ أي: تنظر إليه بأبصارها، كما تواترت به الأحاديث الصحيحة، وأجمع عليه الصحابة والتابعون وسلف الأمة، واتفق عليه أئمة الإسلام^(١).

فالشاهد من الآية الكريمة: إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

(١) قال ابن العز الحنفي في شرح الطحاوية ص: (٢١٧): (وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالها...). وانظر منها في: البخاري (٤٥٥، ٥٧٣، ٤٨٥١، ٤٧٣٩، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) (١٨٣) (٦٣٣). وانظر: حادي الأرواح (ص ٢٨٥ - ٣٤٤).

وقوله: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة، وهي السُرر. ﴿يَنْظُرُونَ﴾ إلى الله عَزَّجَلَّ.
وأما الكفار فقد تقدم في الآيات التي قبل هذه الآية أنهم ﴿عَنْ رَبِّهِمْ
يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾^(١).

والشاهد من الآية: إثبات رؤية المؤمنين لربهم عَزَّجَلَّ.

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالقيام بما أوجبه الله عليهم من الأعمال،
والكف عما نهاهم عنه من المعاصي.

﴿الْحُسْنَى﴾ أي: المثوبة الحسنی. وقيل: الجنة^(٢).

﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي النظر إلى وجه الله الكريم، كما ثبت تفسيرها بذلك
عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحيح مسلم وغيره^(٣)، وكما فسرهما بذلك
سلف هذه الأمة.

وعلى ذلك يكون الشاهد من الآية الكريمة: إثبات رؤية المؤمنين
لربهم يوم القيامة.

(١) قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَمَّا حَجَبَ قَوْمًا بِالسُّخْطِ، دَلَّ عَلَى أَنَّ قَوْمًا يَرَوْنَهُ بِالرَّضَا).
انظر: تفسير الثعلبي (١٠/١٥٤)، والتفسير البسيط (٢٣/٣٢٧)، وتفسير القرطبي
(١٩/٢٦١)، والبحر المحيط في التفسير (١٠/٤٢٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/١٥٨-١٥٩)، وزاد المسير (٢/٣٢٦)، وابن كثير
(٤/٢٦٣).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٨١): عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ:
أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا
شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّجَلَّ».

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ أي: للمؤمنين في الجنة ما تشتهي أنفسهم، وتلد أعينهم من فنون النعيم، وأنواع الخير.

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ أي: زيادة على ذلك هو النظر إلى وجه الله الكريم. وهذا هو الشاهد من الآية الكريمة: وهو إثبات النظر إلى وجه الله الكريم في الجنة. ما يستفاد من الآيات الكريمة: يستفاد منها إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وأنها أعظم النعيم الذي ينالونه. وهذا هو قول الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، خلافاً للرافضة^(١)، والجهمية، والمعتزلة الذين ينفون الرؤية، ويخالفون بذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، ويعتمدون على شبه واهية، وتعليلات باطلة؛ منها:

١- قولهم: إن إثبات الرؤية يلزم منه إثبات أن الله في جهة، ولو كان في جهة لكان جسماً، والله مُنَزَّهٌ عن ذلك.

والجواب عن هذه الشبهة أن نقول: لفظ الجهة فيه إجمال؛ فإن أُريدَ بالجهة أنه حالٌ في شيء من مخلوقاته فهذا باطل، والأدلة تردده، وهذا لا يلزم من إثبات الرؤية. وإن أُريدَ بالجهة أنه سبحانه فوق مخلوقاته، فذا ثابت لله سبحانه، ونفيه باطل، وهو لا يتنافى مع رؤيته سبحانه.

٢- استدلوا بقوله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿لَنْ تَرَنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والجواب عن هذا الاستدلال: أن الآية الكريمة واردة في نفي الرؤية في الدنيا، ولا تنفي ثبوتها في الآخرة كما ثبت في الأدلة الأخرى، وحالة الناس في الآخرة تختلف عن حالتهم في الدنيا.

٣- استدلووا بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

والجواب عن هذا الاستدلال: أن الآية إنما فيها نفي الإدراك، وليس فيها نفي الرؤية. والإدراك معناه: الإحاطة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يراه المؤمنون ولا يحيطون به، بل نفي الإدراك يلزم منه وجود الرؤية؛ فالآية من أدلة إثبات الرؤية، والله تعالى أعلم.

وقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى كَثِيرٌ) أي: باب إثبات أسماء الله وصفاته في القرآن كثير، وإنما ذكر المؤلف بعضه، فقد ورد في آيات كثيرة من كتاب الله إثبات أسماء الله وصفاته على ما يليق به.

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ) أي: تفكر فيه وتأمل ما يدل عليه من الهدى (تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ) أي: اتضح له سبيل الصواب.

وتدبر القرآن هو المطلوب من تلاوته؛ قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].



الاستدلال على إثبات أسماء الله وصفاته من السنة

فصل

ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتُدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ،

الشرح

قوله: (ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هذا عطف على قوله فيما سبق: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الْإِحْلَاصِ... إلخ) أي: ودخل فيها ما وصف به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه فيما وردت به السُّنَّةُ الصحيحة؛ لأن السُّنَّةَ هي الأصل الثاني الذي يجب الرجوع إليه بعد كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. والرد إلى الله هو الرجوع إلى كتابه، والرد إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته هو الرجوع إلى سنته.

والسُّنَّةُ لغة: الطريقة^(١)، واصطلاحاً: هي ما ورد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعل أو تقرير^(٢).

(١) انظر: تهذيب اللغة (٢١٠ / ١٢)، والصحاح (٢١٣٨ / ٥)، ومقاييس اللغة (٦٠ / ٣).
(٢) انظر: أصول السرخسي (١١٣ / ١)، وإرشاد الفحول (ص ٦٧)، وفتح المغيث للسخاوي (٢٥ / ١)، وتدريب الراوي للسيوطي (٤١ / ١)، والمنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي (ص ٤٠)، والتعريفات (١٢٢ / ١)، وفيض القدير (١٣٢ / ١)، والكليات (٣٧٠ / ١).

قال: (فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ) أي: تبيّن معانيه ومقاصده؛ فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبيّن للناس ما أنزل إليه؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

(وَتُبَيِّنُهُ) والسنة أيضاً: تبيّن القرآن، أي: توضح مجمله؛ كالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، وغالب الأحكام التي تأتي مجملة في القرآن تبيّنها السُّنَّةُ النبوية.

والسُّنَّةُ أيضاً: (تَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ) أي: تدل على ما دل عليه القرآن، وتعبر عما عبر عنه القرآن؛ فتكون موافقة للقرآن؛ فيكون الحكم مما دل عليه الكتاب والسنة؛ كأسماء الله وصفاته.



وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّجَلَّ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ.

الشرح

قوله: (وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّجَلَّ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ): مبتدأ، خبره قوله: (وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ) أي: كما يجب الإيمان بما وصف الله به نفسه في القرآن الكريم؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما وصفه ربه عَزَّجَلَّ بقوله: ﴿وَمَا يَطُوقُ عَنِ الْمَوَى﴾ (٢) إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿[النجم: ٣-٤]، فالسنة التي نطق بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحي من الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]، فالكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة؛ فيجب الإيمان بما ورد في السنة، لا سيما في باب الاعتقاد؛ قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْهَوْا﴾ [الحشر: ٧].

لكن لا بد في قبول الحديث والإيمان به من ثبوته عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا قال الشيخ رحمه الله: (مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحَاحِ): والصحاح جمع صحيح، والحديث الصحيح: هو ما نقله راوٍ عدلٌ، تأم الضبط، عن مثله، من غير شذوذ، ولا علة^(١). فهو ما اجتمع فيه خمسة شروط:

(١) انظر: معرفة علوم الحديث للحاكم (ص ٦٢)، والمنهل الروي (ص ٣٣)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١/ ٢٧)، وتدريب الراوي (ص ٦٣)، وقواعد التحديث (ص ٧٩).

١ - عدالة الرواة.

٢ - ضبطهم.

٣ - اتصال السند.

٤ - سلامته من العلة.

٥ - سلامته من الشذوذ.

وقوله: (الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ) أي: قَبِلَهَا وأخذ بها أَهْلُ العلم بالحديث، فلا عبرة بغيرهم.

ثم ذكر الشيخ أمثلة مما ورد في السنة من صفات الله عَزَّجَلَّ، فقال:



١ - ثبوت النزول الإلهي إلى سماء الدنيا

على ما يليق بجلال الله

فَمِنْ ذَلِكَ: مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

الشرح

قوله: «يَنْزِلُ رَبُّنَا» أي: نزولاً يليق بجلاله، نؤمن به، ولا نشبهه بنزول المخلوق؛ لأنه سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. «إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» أي: السماء الدنيا؛ من إضافة الموصوف إلى صفته.

«حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ» برفع آخر صفة لثالث، وفي هذا تعيين لوقت النزول الإلهي.

قوله: «فَأَسْتَجِيبَ لَهُ» بالنصب على جواب الاستفهام. وكذا قوله: «فَأُعْطِيَهُ»، وقوله: «فَأَغْفِرَ لَهُ».

وقوله: «فَأَسْتَجِيبَ لَهُ» أي: أجيب دعوته.

والشاهد من الحديث: أن فيه ثبوت النزول الإلهي، وهو من صفات الأفعال.

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة

وفي الحديث أيضاً: إثبات العلو لله تعالى؛ فإن النزول يكون من العلو.

وفيه: الرد على من أوَّل الحديث بأن معناه: نزول رحمته أو أمره؛ لأن الأصل الحقيقة، وعدم الحذف، ولأنه قال: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟» فهل يعقل أن تقول رحمته أو أمره هذا المقال؟

وفي الحديث: إثبات الكلام لله تعالى، حيث جاء فيه: (فَيَقُولُ... إلخ). وفيه إثبات الإعطاء والإجابة والمغفرة لله سبحانه، وهي صفات أفعال.

وقوله: (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) أي: بين البخاري ومسلم.



٢- إثبات أن الله يفرح ويضحك

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ التَّائِبِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ...». الْحَدِيثُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١).

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُضْحِكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ؛ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٢).

الشرح

«لِلَّهِ» اللام لام الابتداء.

«أَشَدُّ فَرَحًا» منصوب على التمييز. والفرح في اللغة: السرور ولذة القلب. «بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ» التوبة: هي الإقلاع عن الذنب، والرجوع إلى الطاعة. «بِرَاحِلَتِهِ» الراحلة: الناقة التي تصلح أن ترحل.

(الْحَدِيثُ) منصوب بفعل مقدّر، أي: أكمل الحديث؛ لأن المصنف اقتصر على الشاهد منه، وهو إثبات الفرح لله سبحانه على ما يليق بجلاله، وهو صفة كمال، لا يشبهه فرح أحد من خلقه، بل هو كسائر صفاته.

وهو فرح إحسان وبرٍّ ولطف، لا فرح محتاج إلى توبة عبده ينتفع بها؛ فإنه سبحانه لا تنفعه طاعة المطيع، ولا تضره معصية العاصي.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ؛ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»، قد بيّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر الحديث سبب ذلك، في قوله: «يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُقْتَلُ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ»، وهذا من كمال إحسان الله سبحانه، وسعة رحمته؛ فإن المسلم يقاتل في سبيل الله فيقتله الكافر، فيكرم الله المسلم بالشهادة، ثم يَمُنُّ اللهُ على ذلك الكافر القاتل فيهديه للإسلام؛ فيدخلان الجنة جميعاً! فهذا أمر عجيب، والضحك يكون من الأمور المعجبة التي تخرج عن نظائرها.

والشاهد من الحديث: إثبات الضحك لله سبحانه، وهو صفة من صفاته الفعلية التي نثبتها له على ما يليق بجلاله وعظمته، ليس كضحك المخلوق.



٣- إثبات أن الله يعجب ويضحك

وَقَوْلُهُ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غَيْرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزْلَيْنَ قَنِطَيْنِ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ». حَدِيثٌ حَسَنٌ^(١).

الشَّرْحُ

«عَجِبَ رَبُّنَا» قال في المصباح: التعجب يستعمل على وجهين؛ أحدهما: ما يحمده الفاعل، ومعناه الاستحسان والإخبار عن رضاه به. والثاني: ما يكرهه، ومعناه الإنكار والذم له^(٢).

(١) هذا حديث أبي رَزِينِ الْعَقِيلِي، ذكر هذا اللفظ ابنُ قُتَيْبَةَ في تأويل مختلف الحديث (ص ٢١١)، وابن سلام في غريب الحديث (٢/٢٦٩)، وابن الجوزي في غريب الحديث (٢/٣٦)، وابن الأثير في النهاية (١/٤٦)، وابن كثير في تفسيره (١/٢٥٢). وهذا الحديث المشار إليه أخرجه ابن ماجه (١٨١)، والإمام أحمد في المسند (٤/١١)، والطبراني في الكبير (٤٦٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٤٤)، والدارقطني في الصفات (ص ٢٨)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٤٢٦)، والآجُرِّي في الشريعة (٦٨٢)، والبيهقي في الأساء والصفات (٢/٤١١)، والطيالسي في مسنده (١٠٩٢)، كلهم بلفظ: «ضَحِكَ رَبُّنَا...»، وليس فيه العجب، ومدار الحديث على وكيع بن حُدَس، ويقال: (عدس)، لِيَنَّه الحافظ في التقریب. وله شاهد عند عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٤/١٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٤٤٠)، وابن خزيمة في التوحيد (١/٤٦٠)، والطبراني في الكبير (٤٧٧)، والحاكم في المستدرک (٤/٦٠٥)، وفيه مقال أيضًا، لكنه يتقوى به؛ لذا حسنه شيخ الإسلام في هذا الموضع من الواسطية، وقال ابن القيم: «صححه بعض الحفاظ». اهـ. انظر: مختصر الصواعق المرسله (٢/٤٣٩).

(٢) انظر: المصباح المنير (٢/٣٩٣).

«مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ» القنوط: شدة اليأس من الشيء^(١). والمراد هنا: اليأس من نزول المطر، وزوال القحط.

«وَقُرْبِ غَيْرِهِ» غَيْرِهِ: بكسر الغين، وفتح الياء، أي: تغييره الحال من شدة إلى رخاء^(٢).

«يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنَطِينَ» الأزْل بسكون الزاي: الضيق. وقد أزل الرجل يَأْزِلُ أَزْلاً؛ صار في ضيقٍ وجَدْبٍ^(٣).

«فَيَظَلُّ يَضْحَكُ» هذا من صفاته الفعلية التي لا يشبهه فيها شيء من مخلوقاته.

ففي الحديث إثبات صفتين من صفات الله الفعلية؛ هما: العجب، والضحك، وهما صفتان تلقيان بجلاله، ليستا كعجب المخلوق وضحك المخلوق.

وفي الحديث أيضاً إثبات النظر لله سبحانه، وهو من صفاته الفعلية أيضاً؛ فإنه ينظر إلى عباده، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.



(١) انظر: العين (١٠٥/٥)، وتهذيب اللغة (٢٥/٩)، والصحاح (١١٥٥/٣)، ومقاييس اللغة (٣٢/٥).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٦١/٨)، ومقاييس اللغة (٤٠٣/٤)، ولسان العرب (٣٩/٥).

(٣) انظر: العين (٣٨٥/٧)، والصحاح (١٦٢٢/٤)، ومقاييس اللغة (٩٦/١).

٤- إثبات الرجل والقدم لله سبحانه

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمُهُ - فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

الشرح

قوله: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ» جهنم: اسم من أسماء النار، قيل: سُمِّيَتْ بذلك؛ لِبُعْدِ قعرها، وقيل: لظلمتها، من الجهومة، وهي الظلمة (٢).

قوله: «يُلْقَى فِيهَا» أي: يُطرح فيها أهلها.

قوله: «وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟» أي: تطلب الزيادة؛ لِسَعَتِهَا، وقد وعدها الله أن يملأها.

«حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ» لما كانت النار في غاية الكبر والسعة، وقد وعدها الله ملاءها، وكان مقتضى رحمته سبحانه ألا يعذب أحداً بغير جُرم؛ حقق وعده، ووضع عليها رجله.

قوله: «فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ» أي: ينضم بعضها إلى بعض، ويتلاقى طرفاها ولا يبقى فيها فضل عن أهلها.

(١) أخرجه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: البخاري (٤٨٤٨، ٦٦٦١، ٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨)، ومن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: البخاري (٤٨٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢٧٣/٦)، والصاحح (١٨٩٢/٥)، ومجمل اللغة (ص ٢٠٨، ٢٠٩)، والنهاية في غريب الأثر (٣٢٣/١)، لسان العرب (١٢/١١٢).

قوله: «فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ» أي: حَسْبِي وَيَكْفِينِي.

والشاهد من الحديث: أن فيه إثباتَ الرَّجُلِ والقَدَمِ لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه، وهو من صفات الذات؛ كالوجه، واليد. والله تعالى أعلم.

وقد غلط في تفسير هذا الحديث المعطلة، حيث قالوا: (قَدَمُهُ): نوع من الخلق. وقالوا: (رِجْلُهُ): جماعة من الناس، كما يقال: رِجْلُ جَرَادٍ! والرد على هذا أن يقال: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «حَتَّى يَضَعَ»، ولم يقل: (حتى يلقي) كما قال في أول الحديث: «يُلْقَى فِيهَا». وأيضاً القدم لا يصح تفسيره بالقوم، لا حقيقةً ولا مجازاً.



٥- إثبات النداء والصوت والكلام لله تعالى

وَقَوْلُهُ: «يَقُولُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرَجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١).

وَقَوْلُهُ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ»^(٢).

الشَّرْحُ

قوله: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ» (لَبَّيْكَ) أي: أنا مقيم على طاعتك، من: أَلَبَّ بالمكان؛ إذا أقام^(٣)، وهو منصوب على المصدر، وثني للتأكيد. (وَسَعْدَيْكَ) من المساعدة، وهي المطاوعة^(٤)، أي: مساعدة في طاعتك بعد مساعدة.

قوله: «فَيَنَادِي» بكسر الدال، والمنادي هو الله تعالى.

«بِصَوْتٍ» تأكيد لقوله: «فَيَنَادِي»؛ لأن النداء لا يكون إلا بصوت، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقوله: «بَعْثًا إِلَى النَّارِ» البعث هنا بمعنى المبعوث الموجه إليها. ومعنى ذلك: مِيز أهل النار من غيرهم.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٩، ٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦) من حديث عَدِي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٢٤٢/١٥)، والصحاح (٢١٦/١)، ومقاييس اللغة (١٩٩/٥).

(٤) انظر: العين (٣٢٢/١)، والصحاح (٤٨٧/٢)، ومقاييس اللغة (٧٥/٣).

والشاهد من الحديث: أن فيه إثباتَ القول من الله، والنداء بصوت يسمع، وأن ذلك سيحصل يوم القيامة؛ ففيه أن الله يقول وينادي متى شاء، وكما يشاء.

وقوله: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ» الخطاب للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو عامٌ لجميع المؤمنين.

«إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ» أي: بلا واسطة.

«وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمانٌ» الترجمان: مَنْ يُعَبِّرُ بِلُغَةٍ عَنْ لُغَةٍ؛ أي: ينقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى.

والشاهد من الحديث: أن فيه إثباتَ تكليم الله سبحانه لعباده، وأنه سبحانه يتكلم إذا شاء، فكلامه من صفاته الفعلية، وأنه يكلم كلَّ مؤمن يوم القيامة.



٦ - إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه

وَقَوْلُهُ فِي رُفِيَةِ الْمَرِيضِ: «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ كَمَا رَحِمْتِكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ؛ أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجْعِ؛ فَيَبْرَأَ». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ^(١).

وَقَوْلُهُ: «إِلَّا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^(٢). حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَقَوْلُهُ: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٨٠٧)، وفي عمل اليوم والليلة (ص ٥٦٦)، والطبراني في الأوسط (٢٨٠/٨)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٣٨٩)، والحاكم في المستدرک (١/٤٩٤)، من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الحاكم: (قد احتج الشيخان بجميع رواة هذا الحديث، غير زيادة بن محمد، وهو شيخ من أهل مصر، قليل الحديث). اهـ. وقال ابن عدي في الكامل (٣/١٩٧): (وزياد بن محمد لا أعرف له إلا مقدار حديثين أو ثلاثة، روى عن الليث وابن هبة، ومقدار ما له لا يُتابع عليه). اهـ.

وأخرجه عن فضالة بن عبيد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الإمام أحمد في المسند (٦/٢٠)، والحاكم في المستدرک (٤/٢٤٣) وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وانظر: مجموع الفتاوى (٣/١٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) هذا حديث الأوعال الذي أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وأحمد في المسند (١/٢٠٦)، وأبو يعلى في مسنده (١٢/٧٦، ٧٧)، وابن أبي شيبة في العرش (ص ٥٥، ٥٦)، وابن خزيمة في التوحيد (١/٣٣٤)، والبزار في مسنده (٤/١٣٥)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص ٥٠)، والآجري في الشريعة (ص ٢٩٢)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/١٠٥٠، ١٠٥١)، والحاكم في المستدرک (٢/٣١٦، ٤١٠، ٤٤٧) من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللَّهِ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟»، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: «أَعْتَقَهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

الشرح

قوله: (فِي رُقِيَةِ الْمَرِيضِ) أي: القراءة على المريض؛ طلباً لشفائه، وهي مشروعة إذا كانت بالقرآن والأدعية المباحة، وممنوعة إذا كانت بألفاظ شركية أو أعمال شركية.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ» أي: على السماء؛ ففي هنا بمعنى على، كقوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢] أي: على الأرض. ويجوز أن تكون (فِي) للظرفية على بابها، ويكون المراد بالسماء: مُطْلَقُ الْعُلُوِّ. قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَقَدَّسَ اسْمُكَ» أي: تقدَّست أسماؤك عن كل نقص، فهو مفرد مضاف؛ فيُعْمَ جميع أسماء الله.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» أي: أمرك الكوني القدري الذي ينشأ عنه جميع المخلوقات والحوادث، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا

= وفي لفظ الإمام أحمد في المسند، قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ تَذَرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكَيْفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». وانظر: مجموع الفتاوى (١٩٢/٣)، ومختصر السنن (٩٣/٧).

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿[يس: ٨٢]، وأمرك الشرعي المتضمن للشرائع التي شرعتها لعبادك.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمَا رَحِمْتِكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ» هذا توسُّلٌ إليه برحمته التي شملت أهل السموات كلهم؛ أن يجعل لأهل الأرض منها نصيبًا.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا» هذا طلب للمغفرة، وهي الستر ووقاية الإثم، ومنه المغْفَرُ الذي يُلبس على الرأس لستره ووقايته من الضرب. والحبوب: الإثم، والخطايا هي الذنوب.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ» هذا توسُّلٌ آخَرُ، والطيبين جمع طَيِّب، وهم النبيون وأتباعهم. وإضافة ربوبيته لهؤلاء إضافة تشريف وتكريم، وإلا فهو سبحانه رب كل شيء ومليكه.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ» أي: الرحمة المخلوقة؛ فإن رحمة الله نوعان:

النوع الأول: رحمته التي هي صفة من صفاته، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

النوع الثاني: رحمة تضاف إليه سبحانه، من إضافة المخلوق إلى خالقه؛ كالمذكورة في هذا الحديث، وكما في حديث: «خَلَقَ اللَّهُ مِثَّةَ رَحْمَةٍ...»

الحديث^(١)، فطلب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ربه إنزال هذه الرحمة على المريض؛ لحاجته إليها؛ لِيَشْفِيَهُ بها.

والشاهد من الحديث: أن فيه إثبات العلو لله تعالى، وأنه في السماء، والعلو صفة ذاتية كما سبق.

كما أن في الحديث: التوسُّل إلى الله تعالى بالثناء عليه بربوبيته، وإلهيته، وقدسيته، وعلوه وعموم أمره، وبرحمته.

ثم في الحديث طلب المغفرة من الله، وشفاء المرض.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا تَأْمَنُونِي» هذا خطاب منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن اعترض عليه في بعض قسمته المال.

و«أَلَا»: أداة استفتاح وتنبية.

و«تَأْمَنُونِي» من الأمانة، وهي عدم المحاباة والخيانة، أي: ألا تأمنوني في قسمة المال؟!

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ» وهو الله سبحانه، قد ائتمني على وحيه ورسالته، وتبليغ شرعه، وكفى بذلك شهادة على أمانته وصدقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والشاهد من الحديث: أن فيه إثبات العلو لله سبحانه؛ حيث قال: «مَنْ فِي السَّمَاءِ»، وسبق شرح الجملة قريباً.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٠٠، ٦٤٦٩)، ومسلم (١٨) (٢٧٥٢)، واللفظ له، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ مِثَّةَ رَحْمَةٍ، فَوَضَعَ وَاحِدَةً بَيْنَ خَلْقِهِ، وَخَبَأَ عِنْدَهُ مِثَّةً إِلَّا وَاحِدَةً».

وقوله: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ» تقدّم تفسير العرش.

وقوله: «فَوْقَ ذَلِكَ» أي: فوق المخلوقات التي بيّنها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الحديث الذي ذكر فيه بُعد ما بين السماء والأرض، وما بين كل سماء وسماء، وكثف كل سماء، والبحر الذي فوق السماء السابعة، وما بين أسفله وأعلى، وما فوق ذلك البحر من الأوعال الثمانية العظيمة، ثم فوق ذلك العرش «وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ» أي: مستوٍ عليه، استواءً يليق بجلاله، «وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» بعلمه المحيط الذي لا يخفى عليه شيء (١).

والشاهد من الحديث: إثبات علو الله على عرشه، وأن عرشه فوق المخلوقات كلّها، وأن علم الله سبحانه محيط بأعمال العباد، لا يخفى عليه منها شيء.

(وَقَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ) أي: أمة معاوية بن الحَكَم، حينما غضب عليها سيدها معاوية فطمها، ثم ندم، وأخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: أفلا أعتقها؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بلى، جئني بها)، فأتى بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لها: «أَيَّنَ اللَّهُ؟»؛ فيه دليل على جواز السؤال عن الله بـ «أين».

«قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ» أي: الله سبحانه في السماء. وتقدم تفسير هذه الكلمة.

«قَالَ» لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا: «مَنْ أَنَا؟»، سألها عن اعتقادها فيه. «قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ»، فأقرت له بالرسالة. «قَالَ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسيدها:

«أَعْتَقَهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمَنَةٌ»؛ فيه دليل على أن من شهد هذه الشهادة أنه مؤمن، وأن العتق يُشترط له الإيمانُ.

والشاهد من الحديث: أن فيه دليلاً على علو الله على خلقه فوق سماواته، وأنه يُشار إليه في جهة العلو إشارة حسية.



٧ - إثبات معية الله تعالى لخلقه وأنها لا تنافي علوه فوق عرشه

وَقَوْلُهُ: «أَفْضَلُ الْإِيْمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ». حَدِيثٌ حَسَنٌ^(١).

وَقَوْلُهُ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يَبْصُقْ قَبْلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(٢).

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ». رِوَايَةٌ مُسْلِمٌ^(٣).

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٣٦/٨)، وفي مسند الشاميين (٣١٨/٢)، وأبو نعيم في الحلية (١٢٤/٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٤٠/٢) من حديث عباد بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الطبراني: (تفرد به عثمان بن كثير)، قال أحمد وابن معين: (ثقة)، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الهيثمي: (لم أر من ذكره بثقة ولا جرح). اهـ. انظر: تهذيب التهذيب (١١٦/٧)، ومجمع الزوائد (٦٠/١).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٧ ٤٠٥)، ومسلم (٥٤٧-٥٥١) بروايات متقاربة بنحو هذا اللفظ عن جمع من الصحابة؛ منهم: أنس، وابن عمر، وأبو هريرة، وأبو سعيد، وأخرجه مسلم بنحوه مطولاً (٣٠٠٨) من حديث جابر بن عبد الله، رضي الله عن الجميع.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْزِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١).

الشَّرْحُ

قوله: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ» أي: من أفضل خصاله، وفي هذا دليل على أن الإيمان يتفاضل.

«أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ» أي: بعلمه وإطلاعه «حَيْثُمَا كُنْتَ» أي: في أي مكان وُجِدت. فَمَنْ عَلِمَ ذَلِكَ استوت علانيته وسريته، فهابه في كل مكان. أخرجه الطبراني، أبو القاسم سليمان اللخمي، أحد الحفاظ المكثرين، وقد روى هذا الحديث في المعجم الكبير.

وفي الحديث: دليل على إثبات معية الله لخلقه؛ بعلمه وإحاطته بأعمالهم، وأنه يجب على العبد أن يتذكر ذلك دائماً فيحسن عمله.

وقوله: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ» أي: إذا شرع فيها «فَلَا يَبْصُقْ» أي: لا يتفل «قَبْلَ وَجْهِهِ» أي: أمامه. (قَبْلَ) بكسر القاف وفتح الباء. «فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ» هذا تعليل للنهي عن البصاق في قبلة المصلي بأن الله سبحانه

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس فيه: «أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»، وأخرجه بهذا اللفظ النسائي في الكبرى (٣٩٨/٤)، وأحمد في المسند (٤٠٢/٤)، والبخاري في خلق أفعال العباد (٩٨)، والبخاري في مسنده (٢٢/٨)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤٠٨/٢)، والبيهقي في الكبرى (١٨٤/٢).

«قَبْلَ وَجْهِهِ» أي: مواجهه، وهذه المواجهة كما يليق بالله سبحانه، لا يلزم منها أنه سبحانه مختلط بخلقه، بل هو فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، وهو قريب من خلقه، محيط بهم.

«وَلَا عَنْ يَمِينِهِ» أي: ولا يبصق المصلي عن يمينه؛ تشریفًا لليمين، ولأن الملكين عن يمينه كما في رواية للبخاري. «وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» أي: ولكن ليبصق المصلي في جهة يسارة، أو يبصق تحت قدمه.

والشاهد من الحديث: أن فيه إثبات قُرْبِ الله سبحانه من عبده المصلي، وإقباله عليه، وهو سبحانه فوقه.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ» (اللَّهُمَّ) أصله: (يا الله)، فالميم عوض عن ياء النداء.

«رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ» أي: خالقها ومالكها.
«وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» أي: الكبير الذي لا يقدر قدره إلا الله، فهو أعظم المخلوقات. وتقدم تفسير العرش.

«رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ» أي: خالقنا ورازقنا، وخالق كل شيء ومالكه؛ ففيه إثبات ربوبيته لكل شيء.

«فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى» أي: شاقَّ حبَّ الطعام ونوى التمر للإنبات.
«مُنْزِلَ التَّوْرَةِ» على موسى «وَالْإِنْجِيلِ» على عيسى «وَالْقُرْآنَ» على محمد -عليهم أفضل الصلاة والسلام-. وفي ذلك دليل على فضل هذه الكتب، وأنها منزلة من الله تعالى.

«أَعُوذُ» أي: ألتجئ وأعتصم «بِكَ» يا الله «مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ» أي: كل ما دبَّ على وجه الأرض.

«أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا» الناصية مقدَّم الرأس، أي: هي تحت قهرك وسلطانك، تصرفها كيف تشاء، لتصرف شرها عني.

«أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» هذه الأسماء الأربعة: اسمان لأزليته وأبديته؛ وهما: (الأول، والآخر) واسمان لعلوه وقُربه؛ وهما: (الظاهر، والباطن).

وهما محل الشاهد من الحديث؛ لأن فيهما إثبات علو الله وقربه، وأنهما لا يتنافيان ولا يتناقضان، فهو قريب في علوه، عِلِّيٌّ في دنوه.

«اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ» أي: أدِّ عني حقوق الله وحقوق الخلق، وفي هذا التبرِّي من الحَوْل والقوَّة.

«وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ» الفقر: الحاجة، والفقير: هو من لا يجد شيئاً، أو يجد بعض الكفاية.

وفي الحديث أيضاً: مشروعية التوسل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَسْمَاءُهُ وصفاته في قضاء الحاجة، وإجابة الدعاء.

(وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ) وذلك في غزوة خيبر كما جاء في بعض طرق الحديث، وأن الذكر الذي رفعوا به أصواتهم هو التكبير: الله أكبر، لا إله إلا الله.

وقوله: «ارْزِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ» أي: ارفقوا؛ «فَإِنَّكُمْ» تعليل للأمر بالرفق، «لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا» لا يسمع دعاءكم ولا يراكم. فنفى الآفة المانعة من السمع، والآفة المانعة من النظر، وأثبت ضدَّهما؛ فقال: «إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا»؛ فلا داعي لرفع الصوت. «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» فهو قريب ممن دعاه وذكره؛ فلا حاجة لرفع الأصوات، وهو قريب؛ يسمعها إذا خفضت، كما يسمعها إذا رفعت.

والشاهد من الحديث: أن فيه إثبات قرب الله سبحانه من داعيه، يسمع الأصوات الخفية، كما يسمع الأصوات الجهرية.

فأفادت هذه الأحاديث جميعًا: إثبات مَعِيَّةِ اللَّهِ لخلقه، وقُرْبِهِ منهم، وسماعه لأصواتهم، ورؤيته لحركاتهم، وذلك لا ينافي علوه واستواءه على عرشه.

وقد تقدم الكلام على المعية وأنواعها وشواهداها من القرآن الكريم مع تفسير تلك الشواهد، والله أعلم.



٨- إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

وَقَوْلُهُ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١).

الشرح

قوله: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ» الخطاب للمؤمنين، والسين للتنفيس، ويراد بها التأكيد.

وقوله: «سَتَرُونَ رَبَّكُمْ» أي: تعينونه بأبصاركم، والأحاديث الواردة بإثبات رؤية المؤمنين لربهم متواترة.

قوله: «كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» أي: ليلة كماله، وهي الليلة الرابعة عشرة من الشهر؛ فإنه في تلك الليلة يكون قد امتلأ نوراً.

والمراد من هذا التشبيه: تحقيق الرؤية وتأكيدها، ونفي المجاز عنها، وهو تشبيه للرؤية بالرؤية، لا تشبيه للمرئي بالمرئي؛ لأنه سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وقوله: «لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ» بضم التاء وتخفيف الميم، أي: لا يلحقكم ضمٌّ، أي: ظلمٌ بحيث يراه بعضكم دون بعض.

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَرُويَ بفتح التاء وتشديد الميم، من التضام، أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض لأجل رؤيته. والمعنى على هذه الرواية: لا تجتمعون في مكان واحد لرؤيته، فيحصل بينكم الزحام. والمعنى على الروایتين: أنكم ترونه رؤية محققة، كلُّ منكم يراه وهو في مكانه.

وقوله: «فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلِبُوا» أي: لا تصيروا مغلوبين، «عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ» وهي صلاة الفجر، «وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا» وهي صلاة العصر؛ «فَفَاعَلُوا» أي: حافظوا على هاتين الصلاتين في الجماعة في أوقاتها. وخص هاتين الصلاتين؛ لاجتماع الملائكة فيهما، فهما أفضل الصلوات، فناسب أن يجازى من حافظ عليهما بأفضل العطايا، وهو النظر إلى وجه الله تعالى.

والشاهد من الحديث: أن فيه إثبات رؤية المؤمنين لربهم عياناً يوم القيامة. وقد تقدم ذكر من خالف في ذلك مع الرد عليه عند الكلام على تفسير الآيات التي فيها إثبات الرؤية، والله أعلم.



موقف أهل السنة من هذه الأحاديث التي فيها

إثبات الصفات الربانية

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ.

الشَّرْحُ

هذا بيان لموقف أهل السنة والجماعة من أحاديث الصفات الواردة عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه كموقفهم من آيات الصفات الواردة في القرآن سواء، وهو الإيمان بها، واعتقاد ما دلت عليه على حقيقته، لا يصرفونها عن ظاهرها بأنواع التأويل الباطل، ولا ينفون ما دلت عليه فيعطّلونها، ولا يشبهون الصفات المذكورة فيها بصفات المخلوقين؛ لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وهم بذلك يخالفون طريقة المبتدعة؛ من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة الذين كان موقفهم من هذه النصوص موقف المنكر لها، أو المؤوّل لما دلت عليه، وبخلاف المشبهة الذين غلّوا في الإثبات حتى شبهوا الله بخلقه! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

مكانة أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة

بَلْ هُمْ الْوَسْطُ فِي فِرْقِ الْأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسْطُ فِي الْأُمَمِ:
فَهُمْ وَسْطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ،
وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمَشْبَهَةِ.

وَهُمْ وَسْطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ: بَيْنَ الْجَبَرِيَّةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ.
وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ: بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ، وَالْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.
وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الْإِيمَانِ وَالدِّينِ: بَيْنَ الْحُرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ
وَالْجَهْمِيَّةِ.

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَيْنَ الرَّافِضَةِ، وَالْخَوَارِجِ.

الشرح

لما بيّن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ موقف أهل السنة والجماعة من النصوص الواردة
في الكتاب والسنة في صفات الله تعالى، أراد أن يبيّن مكانتهم بين فِرْقِ الْأُمَّةِ؛
حتى يعرف قدرهم وفضلهم بمقارنتهم بغيرهم.

فَالضُّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضُّدِّ وَيَضِدُّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ^(١)

(١) جاء هذا البيت في أبيات من شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي، المتوفى سنة أربع
وخمسين وثلاث مئة، قال فيها:

مَنْ يَظْلِمُ الْوُجَاهَ فِي تَكْلِيفِهِمْ أَنْ يُضْبَحُوا وَهُمْ لَهُ أَكْفَاءُ
وَيَدِيمُهُمْ وَبِهِمْ عَرْفُنَا فَضْلَهُ وَيَضِدُّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ

انظر: ديوان المتنبي (ص ١٢٧)، والحامسة المغربية (١/ ٤٧٣).

قال رَحِمَهُ اللهُ: (بَلْ هُمُ الْوَسْطُ فِي فِرَاقِ الْأُمَّةِ) قال في المصباح المنير:
الوسط بالتحريك: المعتدل، والمراد بالوسط هنا: العدل الخيار^(١)؛ قال تعالى:
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فأهل السنة وَسَطٌ بمعنى: أنهم عدول خيار، وبمعنى: أنهم متوسطون
بين فريقَي الإفراط والتفريط، فَهُمْ وَسَطٌ بين الفرق المنتسبة للإسلام، كما أن
الأمَّة الإسلامية وَسَطٌ بين الأمم؛ فهذه الأمَّة وَسَطٌ بين الأمم التي تميل إلى
الغلو والإفراط، والأمم التي تميل إلى التفريط والتساهل.

وأهل السنة والجماعة من هذه الأمَّة وَسَطٌ بين فِرَاقِ الأمَّةِ المبتدعة
التي انحرفت عن الصراط المستقيم؛ فغلا بعضها وتطرف، وتساهل بعضها
وانحرف.

ثم بين الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تفصيل ذلك، فقال:

(فَهُمْ) أي: أهل السنة والجماعة أولاً: (وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبَّهَةِ) فالجهمية نسبة
إلى الجهم بن صفوان الترمذي، هؤلاء غَلَوُا وَأَفْرَطُوا في التنزيه، حتى نفوا

= وجاء في أبيات لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الإشبيلي، المتوفى سنة
عشرين وخمس مئة، وقيل: ثمان وعشرين وخمس مئة، قال فيها:

يَا هَاجِرًا أَسْمَوْهُ عَمْدًا وَاصِلًا وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ
أَلْغَيْتَنِي حَتَّى كَأَنَّكَ وَاصِلٌ وَكَأَنَّني مِنْ طُولِ هَجْرِكَ رَاءُ

انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٢/ ١٠٤).

(١) انظر: المصباح المنير (٢/ ٦٥٨).

أسماء الله وصفاته؛ حذرًا من التشبيه بزعمهم، وبذلك سُمُوا معطلة؛ لأنهم عطلوا الله من أسمائه وصفاته!

(وَأَهْلُ التَّمْثِيلِ الْمُسَبَّهَةِ) سُمُوا بذلك؛ لأنهم غلوا وأفرطوا في إثبات الصفات حتى شبهوا الله بخلقه، ومثلوا صفاته بصفاتهم! تعالى الله عما يقولون.

وأهل السنة توسَّطوا بين الطرفين؛ فأثبتوا صفات الله على الوجه اللائق بجلاله، من غير تشبيه ولا تمثيل، فلم يغلوا في التنزيه، ولم يغلوا في الإثبات، بل نزهوا الله بلا تعطيل، وأثبتوا له الأسماء والصفات بلا تمثيل.

ثانيًا: وأهل السنة والجماعة (وَسَطُ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللَّهِ: بَيْنَ الْجَبَرِيَّةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ)، فالجبرية: نسبة إلى الجبر؛ لأنهم يقولون: إن العبد مجبور على فعله! فهم غلوا في إثبات أفعال الله حتى نفوا أفعال العباد، وزعموا أنهم لا يفعلون شيئًا، وإنما الله هو الفاعل، والعبد مجبور على فعله، فحركاته وأفعاله كلها اضطرارية كحركات المرتعش، وإضافة الفعل إلى العبد مجاز!

(وَالْقَدَرِيَّةِ) نسبة إلى القدر، غلوا في إثبات أفعال العباد فقالوا: إن العبد يخلق فعل نفسه بدون مشيئة الله وإرادته، فأفعال العباد لا تدخل تحت مشيئة الله وإرادته، فالله لم يقدرها ولم يردها، وإنما فعلوها هم استقلالًا!

وأهل السنة توسَّطوا، وقالوا: للعبد اختيار ومشيئة وفعل يصدر منه، ولكنه لا يفعل شيئًا بدون إرادة الله ومشيئته وتقديره؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفافات: ٩٦]، فأثبت للعباد عملاً هو من خلق الله

تعالى وتقديره. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، فأثبت للعباد مشيئة تأتي بعد الله تعالى. وسيأتي لهذا مزيد إيضاح إن شاء الله تعالى في مبحث القدر.

ثالثاً: وأهل السنة والجماعة وسَطُ (فِي بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ) الوعيد: التخويف والتهديد، والمراد هنا: النصوص التي فيه توعّد للعصاة بالعذاب والنكال.

وقوله: (بَيْنَ: الْمُرْجِئَةِ، وَبَيْنَ الْوَعِيدَةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ) المرجئة: نسبة إلى الإرجاء، وهو التأخير، سُمُّوا بذلك؛ لأنهم أَخَّرُوا الأعمال عن مسمى الإيمان، حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة غير فاسق، وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة؛ فعندهم أن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان، غير معرَّض للوعيد! فهم تساهلوا في الحكم على العاصي، وأفرطوا في التساهل حتى زعموا أن المعاصي لا تنقص الإيمان، ولا يحكم على مرتكب الكبيرة بالفسق!

وأما الوعيدية: فهم الذين قالوا بإنفاذ الوعيد على العاصي، وشددوا في ذلك، حتى قالوا: إن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب فهو مخلص في النار، وحكموا بخروجه من الإيمان في الدنيا!

وأهل السنة والجماعة توسطوا بين الطرفين؛ فقالوا: إن مرتكب الكبيرة آثم، ومعرَّض للوعيد، وناقص الإيمان، ويحكم عليه بالفسق، لا كما تقول المرجئة: إنه كامل الإيمان، وغير معرض للوعيد! ولكنه لا يخرج من الإيمان، ولا يخلص في النار إن دخلها، فهو تحت مشيئة الله: إن شاء عفا عنه، وإن شاء

عذبه بقدر معصيته، ثم يخرج من النار ويدخل الجنة، لا كما تقوله الوعيدية بخروجه من الإيمان، وتخليده في النار!

فالمرجئة أخذوا بنصوص الوعد، والوعيدية أخذوا بنصوص الوعيد، وأهل السنة والجماعة جمعوا بينهما.

رابعاً: وأهل السنة والجماعة وَسَطُ (فِي بَابِ الْإِيمَانِ وَالِدِّينِ) أي: الحكم على الإنسان بالكفر أو الإسلام أو الفسق، وفي جزاء العصاة في الدنيا والآخرة.

(بَيْنَ: الْحُرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِيَّةِ وَالْجَهْمِيَّةِ) الحُرورية: هم الخوارج، سُمُّوا بذلك؛ نسبة إلى حروري: قرية بالعراق، اجتمعوا فيها حين خرجوا على عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمُعْتَزلة: هم أتباع واصل بن عطاء، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وانحاز إليه أتباعه بسبب خلاف وقع بينهما في حكم مرتكب الكبيرة من المسلمين، فقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ عن واصل هذا: إنه قد اعتزلنا؛ فُسِّمُوا معتزلة.

فمذهب الخوارج والمعتزلة في حكم مرتكب الكبيرة من المسلمين مذهب متشدد؛ حيث حكموا عليه بالخروج من الإسلام.

ثم قال المعتزلة: إنه ليس بمسلم ولا كافر، بل هو بالمنزلة بين المنزلتين! وقال الخوارج: إنه كافر! واتفقوا على أنه إذا مات على تلك الحال أنه خالد مخلَّد في النار!

وقابلتهم المرجئة والجهمية؛ فتساهلوا في حكم مرتكب الكبيرة، وأفرطوا في التساهل معه، فقالوا: لا يضر مع الإيمان معصية؛ لأن الإيمان عندهم هو تصديق القلب فقط، أو مع نطق اللسان - على خلاف بينهم -، ولا تدخل فيه الأعمال، فلا يزيد بالطاعة، ولا ينقص بالمعصية، فالمعاصي لا تنقص الإيمان، ولا يستحق صاحبها النار إذا لم يستحلها!

وأهل السنة والجماعة توسَّطوا بين الفرقتين؛ فقالوا: إن العاصي لا يخرج من الإيمان لمجرد المعصية، وهو تحت المشيئة: إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عذبه في النار، لكنه لا يخلد فيها كما تقول الخوارج والمعتزلة، والمعاصي تنقص الإيمان، ويستحق صاحبها دخول النار إلا أن يعفو الله عنه، ومرتكب الكبيرة يكون فاسقاً ناقص الإيمان، لا كما تقول المرجئة: إنه كامل الإيمان! والله تعالى أعلم.

خامساً: وأهل السنة والجماعة وسَّطُ في حق (أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ: الرَّافِضَةِ، وَالْخَوَارِجِ) الصحابي: هو من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به، ومات على ذلك ^(١).

والرافضة: اسم مأخوذ من الرفض، وهو الترك. سُمُّوا بذلك؛ لأنهم قالوا لزيد بن علي بن الحسين: تبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فأبى، وقال: معاذ الله! فرفضوه؛ فسُمُّوا رافضة.

ومذهبهم في صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم غَلَوْا في عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأهل البيت، وفضلوهم على غيرهم، ونصبوا العداوة لبقية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، خصوصاً الخلفاء الثلاثة: أبا بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وسبوهم ولعنوهم، وربما كفروهم أو كفروا بعضهم!

وقابلهم الخوارج؛ فكفروا عليّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكفروا معه كثيراً من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقتلوه، واستحلوا دماءهم وأموالهم!

وأهل السنة والجماعة خالفوا الجميع؛ فوالّوا جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولم يَغْلُوا في أحد منهم، واعترفوا بفضل جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأنهم أفضل هذه الأمة بعد نبيها. ويأتي لهذا مزيد بيان.



**وجوب الإيمان باستواء الله على عرشه وعلوه على خلقه
ومعيته لخلقه وأنه لا تنافي بينهما**

فَصْلٌ

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ: الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ. كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿هُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللَّغَةُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ؛ بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمَسَافِرِ وَغَيْرِ الْمَسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيِّمٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

الشرح

خصص المصنف رحمه الله هاتين المسألتين - الاستواء على العرش، ومعيته للخلق - بالتنبيه؛ ليزيل الإشكال، فقد يتوهم وجود التنافي بينهما، فقد يظن

الظان أن ذلك مثل صفات المخلوقين، وأنه مختلط بهم، فكيف يكون فوق خلقه مستويًا على عرشه، ويكون مع خلقه قريبًا منهم بدون مخالطة؟!!

والجواب عن هذه الشبهة - كما وضحه الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ - من وجوه:

الوجه الأول: أن هذا لا توجهه لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم؛ فإن كلمة (مع) في اللغة لمطلق المصاحبة لا تفيد اختلاطًا وامتزاجًا، ولا مجاورة ولا مماسَّة؛ فإنك تقول: (زوجتي معي)، وأنت في مكان، وهي في مكانٍ آخر. وتقول: (ما زلنا نسير والقمر معنا)، وهو في السماء ويكون مع المسافر وغير المسافر أينما كان. وإذا صح أن يقال هذا في حق القمر وهو مخلوق صغير، فكيف لا يقال في حق الخالق الذي هو أعظم من كل شيء؟!!

الوجه الثاني: أن هذا القول خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهم القرون المفضلة الذين هم القدوة، فقد أجمعوا على أن الله مستوٍ على عرشه، عالٍ على خلقه، بائنٌ منهم، وأجمعوا على أنه مع خلقه بعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما فسروا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بذلك.

الوجه الثالث: أن هذا خلاف ما فطر الله عليه الخلق، أي: ركزه في فطرهم؛ فإن الخلق فُطِرُوا على الإقرار بعلو الله سبحانه على خلقه؛ فإن الخلق يتجهون إلى الله عند الشدائد والنوازل نحو العلو، لا تلتفت يمنة ولا يسرة، من غير أن يرشداهم إلى ذلك أحد، وإنما ذلك موجبُ الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

الوجه الرابع: أن هذا خلاف ما أخبر الله به في كتابه، وتواتر عن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وهو معهم أينما كانوا. والمتواتر من النصوص: هو ما رواه جماعة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم، من الابتداء إلى الانتهاء^(١).

والآيات والأحاديث في هذا كثيرة، منها الآية التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ. والله أعلم.

وقول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيِّمٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ) تقرير وتأکید لما سبق من ذكر علوه على عرشه، وكونه مع خلقه، بذكر اسمين من أسماؤه سبحانه؛ وهما: الرقيب، والمهيمن. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، والرقيب هو المراقب لأحوال عباده، وفي ذلك دلالة على قربته منهم.

وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلَمَلِكُ أَلْقُدُّوسُ أَلَسَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ﴾ [الحشر: ٢٣]، والمهيمن هو: الشاهد على خلقه، المطلع على أعمالهم، الرقيب عليهم.

(إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ)، أي: أن مقتضى ربوبيته سبحانه أن يكون فوق خلقه بذاته، ويطلع على أعمالهم، ويكون قريباً منهم بعلمه وإحاطته، يصرف شؤونهم، ويحصى أعمالهم، ويجازيهم عليها.

(١) انظر في تعريف المتواتر: الكفاية للخطيب البغدادي (ص ١٦)، والمنهل الروي لابن جماعة (ص ٣١)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١/ ١٣١)، ونزهة النظر لابن حجر (ص ٥٨ - ٦٢)، وتدريب الراوي (٢/ ١٨٠).

ما يجب اعتقاده في علوه ومعيته سبحانه ومعنى كونه سبحانه: في السماء، وأدلة ذلك

وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ مَعَنَا - حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ؛ مِثْلُ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة الملك: ١٧] أَنَّ السَّمَاءَ تُظَلُّهُ أَوْ تُقَلُّهُ! وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]، وَهُوَ الَّذِي ﴿يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [سورة فاطر: ٤١]، ﴿وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [سورة الحج: ٦٥]، ﴿وَمَنْ عَائِنِيَّ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِي﴾ [سورة النور: ٢٥].

الشرح

بيّن الشيخ رحمه الله ما يجب اعتقاده بالنسبة لما أخبر الله به عن نفسه من كونه فوق العرش وهو معنا: أنه يجب الإيمان به كما أخبر الله، ولا يجوز تأويله وصرفه عن ظاهره كما يفعله المعطلة من الجهمية، والمعتزلة، وأشباههم، فيزعمون أن ذلك ليس حقيقة، وإنما هو مجاز! فيؤوّلون الاستواء على العرش بالاستيلاء على الملك، وعلوّ الله على خلقه بعلو قدره وقهره! ونحو ذلك من التأويلات الباطلة التي هي تحريف لكلام الله عن مواضعه.

ومنهم من يقول: إن معنى كونه معنا أنه حالٌّ في كل مكان، كما تقوله حلولية الجهمية وغيرهم! تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً.

وقوله: (وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ؛ مِثْلُ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة الملك: ١٧] أَنَّ السَّمَاءَ تُظَلُّهُ أَوْ تُقَلُّهُ) تعلقه: أي تحمله. و(تُظَلُّهُ): أي تستره، والظلة: الشيء الذي يظلك من فوقك^(١). وليس هذان المعنيان مرادين في كونه سبحانه في السماء، ومن ظن ذلك فقد أخطأ غاية الخطأ؛ وذلك لأمرين:

الأمر الأول: أن هذا خلاف ما أجمع عليه أهل العلم والإيمان؛ فقد أجمعوا على أنه سبحانه فوق عرشه، بائن من خلقه، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته. وقد تقدم الكلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ﴾، وأنه إن أريد بالسَّاءِ السماء المبنية؛ فـ ﴿فِي﴾ بمعنى (على)؛ أي: على السماء، كقوله: ﴿وَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي: على جذوع النخل. وإن أريد بالسَّاءِ العلو؛ كان المعنى ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أي: في العلو. والله أعلم.

الأمر الثاني: أن هذا الظن مخالف ومصادم لأدلة القرآن الدالة على عظمة الله وغناه عن خلقه، وحاجة خلقه إليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، والكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، وهو أعظم من السموات والأرض، والعرش أعظم منه، فإذا كانت السموات والأرض أصغر من الكرسي، والكرسي أصغر من العرش، والله أعظم من كل شيء، فكيف تحويه السماء أو تعلقه أو تظله؟!

(١) انظر: العين (٨/ ١٤٩)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢٥٧)، والصحاح (٥/ ١٧٥٥)، ومقاييس اللغة (٣/ ٤٦١).

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾،
 ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ
 السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾؛ فهذه الآيات تدل على أن السموات والأرض
 بحاجة إليه، فهو الذي يمسكها أن تزول أو تقع، ويكون قيامها بأمره وحده،
 فلا يُعقل مع هذا أن يكون سبحانه بحاجة إليها لتقله وتظله! تعالى الله عن
 هذا الظن الباطل علواً كبيراً.



وجوب الإيمان بقربه من خلقه وأن ذلك لا ينافي علوه وفوقيته فصل

وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ: الْإِيْمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦]، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»^(١).

وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

الشرح

لَمَّا قَرَّرَ الْمَصْنِفُ وَجُوبَ الْإِيْمَانِ بِعُلُوِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَاسْتَوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ؛ نَبَّهَ فِي هَذَا الْفَصْلِ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ مَعَ ذَلِكَ الْإِيْمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩٩٢)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٠٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَيْسَ فِيهِ: «أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»، وَأَخْرَجَهُ هَذَا اللَّفْظَ النَّسَائِيُّ فِي الْكَبَرِيِّ (٧٦٣٣)، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (٣٧٤/٣٢)، وَالْبُخَارِيُّ فِي خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ (٩٨)، وَالْبَزَارُ فِي مُسْنَدِهِ (٢٢/٨)، وَاللَّالِكَايْنِيُّ فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ السَّنَةِ (٤٠٨/٢)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْكَبَرِيِّ (١٨٤/٢).

وقوله: (وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ) أي: في الإيمان بالله (الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ) أي: من خلقه (مُحِبٌّ) لدعائهم (كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ) أي: بين القرب والإجابة في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾، ورد في سبب نزول هذه الآية أن رجلاً جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله، أقرب ربُّنا فنناجيهِ، أم بعيد فنناديهِ؟ فسكت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فنزلت هذه الآية: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ من الداعي ﴿أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(١).

وهذا يدل على الإرشاد إلى المناجاة في الدعاء بدون رفع الصوت، كما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» سبق شرحه.

وفي هذه الآية وهذا الحديث: دلالة على قرب الله تعالى من الداعي بإجابته، وهذا القرب لا يناقض علوه؛ ولهذا قال المصنف: (وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ)؛ لأن الكل حق، والحق لا يتناقض، ولأن الله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ) أي: صفاته، فلا يقال: إذا كان فوق خلقه فكيف يكون معهم؟ لأن هذا السؤال ناشئ عن تصور خاطئ، هو قياسه سبحانه بخلقه! وهذا قياس باطل؛ لأن الله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. فالقرب والعلو يجتمعان في حقه؛ لعظمته وكبريائه وإحاطته، وأن السموات السبع في يده كخردلة في يد العبد، فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه، ويقرب من خلقه كيف يشاء وهو على العرش؟!!

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/٢٢٢)، وزاد المسير (١/١٤٥)، وابن كثير (١/٥٠٦).

(وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلوِّهِ) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما دلت على ذلك
نصوص الكتاب والسنة، وأجمع عليه علماء المِلَّة، وهو من خصائصه
سبحانه.

(عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ) أي: في حال قربهِ من خلقه.
(قَرِيبٌ فِي عُلوِّهِ) أي: قريب من خلقه في حال علوه على عرشه.



وجوب الإيمان بأن القرآن كلام الله حقيقة

فصل

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَكُتِبَ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ
بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامُ غَيْرِهِ، وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ
حِكَايَةٌ عَنِ كَلَامِ اللَّهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ؛ بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ لَمْ
يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً
إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا، وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ،
لَيْسَ كَلَامُ اللَّهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلَا الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ.

الشرح

من أصول الإيمان: الإيمان بالله والإيمان بكتبه - كما سبق -، ويدخل
في هذين الأصلين: الإيمان بأن القرآن كلام الله، فالإيمان بالله عزَّجَلَّ يتضمن
الإيمان بصفاته، وكلامه من صفاته؛ فإن الله تعالى موصوف بأنه يتكلم بما
يشاء، إذا شاء، لم يزل ولا يزال يتكلم، وكلامه لا ينفد، ونوع الكلام في حقه
أزليٌّ أبديٌّ، ومفرداته لا تزال تقع شيئاً فشيئاً؛ حسبَ حكمته تعالى.

ومن كلامه: القرآن العظيم، الذي هو أعظم كتبه، فهو داخل في
الإيمان بكتبه دخولاً أولياً، وهو منزلٌ منه سبحانه، فهو تكلم به وأنزله على

رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو منزل غير مخلوق؛ لأنه صفة من صفاته، أضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها، وصفاته غير مخلوقه؛ فكلامه غير مخلوق. وقد خالف في هذا طوائف، ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هنا مقالة بعضهم، فذكر:

١ - مقالة الجهمية، حيث يقولون: إن الله لا يتكلم، وإنما خلق كلاماً في غيره وجعله يعبر عنه، فإضافة الكلام عندهم إلى الله مجاز لا حقيقة؛ لأنه خلق الكلام، فهو متكلم بمعنى خالق الكلام في غيره! وهذا القول باطل، مخالف للأدلة السمعية والعقلية، ومخالف لقول السلف وأئمة المسلمين؛ فإنه لا يُعقل أن يسمّى متكلمًا إلا من قام به الكلام حقيقة، فكيف يقال: (قال الله) والقائل غيره؟! وكيف يقال: (كلام الله) وهو كلام غيره؟!!

وقول المصنف: (مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامُ غَيْرِهِ) قصده بهذا: الردُّ على الجهمية، الذين يقولون: إن القرآن بدأ من غيره، وأن الله لم يتكلم به حقيقة بل مجازاً، وهو كلام غيره أضيف إليه؛ لأنه خالقه! ومعنى قوله: (مِنْهُ بَدَأَ) أن القرآن بدأ وخرج من الله تعالى، وتكلم به. و(مِنْ) لا ابتداء الغاية، وقوله: (وَإِلَيْهِ يَعُودُ) أي: أن القرآن يرجع إلى الله تعالى؛ لأنه يُرفع في آخر الزمان، فلا يبقى منه شيء في الصدور، ولا في المصاحف، وذلك من علامات الساعة^(١)، أو معنى ذلك أنه يُنسبُ إليه.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩) عَنْ حَدِيثَةِ بِنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَذْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَذْرُسُ وَشْيُ النَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا تُسْكٌ، =

٢- ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ هنا مقالة الكَلَابِيَّة - أتباع عبد الله بن سعيد ابن كُلاب^(١) في القرآن-: أنه حكاية عن كلام الله؛ لأن كلام الله عندهم هو المعنى القائم في نفسه، لازم لذاته، كلزوم الحياة والعلم، لا يتعلق بمشيئته وإرادته، وهذا المعنى القائم في نفسه غير مخلوق، وهذه الألفاظ المكوّنة من حروف وأصوات مخلوقة، وهي حكاية لكلام الله، وليست هي كلامه!

٣- وذكر مقالة الأشاعرة -أتباع أبي الحسن الأشعري-: أن القرآن عبارة عن كلام الله؛ لأن كلام الله عندهم معنى قائم في نفسه، وهذا المعنى غير مخلوق، أما هذه الألفاظ المقروءة فهي عبارة عن ذلك المعنى القائم بالنفس، وهي مخلوقة، ولا يقال: إنها حكاية عنه!

وبعض العلماء يقول: إن الخلاف بين الكَلَابِيَّة والأشاعرة خلافٌ لفظيٌّ لا طائل تحته؛ فالأشاعرة والكَلَابِيَّة يقولون: القرآن نوعان: ألفاظٌ، ومعانٍ،

= وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ رَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَنْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبَقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ -الشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَالْعَجُوزُ-، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَتَحْنُ نَقُولُهَا. فَقَالَ لَهُ صَلَ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟! فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَذِيفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَنْهُ حَذِيفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: يَا صَلَ، تُنَجِّهِمُ مِنَ النَّارِ، ثَلَاثًا».

(١) هم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كُلاب البصري، رأس المتكلمين، قال بنفي الصفات الاختيارية لله تعالى، وابتدع بدعة القول بالكلام النفسي، وأن القرآن خلق ليدل على ذلك المعنى، وإنما هو حكاية عن كلام الله تعالى، وأن الله تعالى لا يرضى في وقت دون وقت، ولا يغضب في وقت دون وقت. وهو الذي تأثر بمذهبه الأشعري ومن تابعه. تُوفِّي سنة ٢٤٢ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٤)، والفتاوى (١٢/ ١٢٠).

فالألفاظ مخلوقة، هي هذه الألفاظ الموجودة، والمعاني قديمة قائمة بالنفس، وهي معنى واحد لا تبعض فيه ولا تعدد. وعلى كل حال فالقولان إن لم يكونا متفقين فهما متقاربان.

وقد أشار الشيخ رَحِمَهُ اللهُ إلى بطلان هذين القولين بقوله: (وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ) أي: كما تقول الكَلَابِيَّة، (أَوْ عِبَارَةً عَنْهُ) كما تقول الأشاعرة، (بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً) أي: أن القرآن العظيم كلام الله ألفاظه ومعانيه، أين وُجِدَ، سواء حُفِظ في الصدور، أو تُلِيَ بالألسنة، أو كُتِبَ في المصاحف، لا يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقةً.

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ دليل ذلك، فقال: (فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُصَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدَأًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلَّغًا مُؤَدِّيًّا)؛ فإن المبلغ المؤدي إنما يسمى واسطة فقط؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، والسماع المذكور في هذه الآية إنما يكون بواسطة المبلغ، وسُمِّيَ المسموعُ كلامَ الله؛ فدل على أن الكلام إنما يضاف إلى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدَأًا.

٤ - ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ مقالة المعتزلة، حيث يقولون: إن كلام الله الحروف دون المعاني، فيقولون: إن مسمى القول والكلام عند الإطلاق اسمٌ لِلْفَظِ فقط، والمعنى ليس جزءً مُسَمَّاهُ، بل هو مدلولُ مسماه.

ثم ذكر رَحِمَهُ اللهُ المذهب المقابل لذلك، فقال: (وَلَا الْمَعَانِي دُونَ الْحُرُوفِ) كما هو مذهب الكَلَابِيَّة والأشاعرة. وكما سبق شرحه.

والمذهب الحق: أن القرآن كلام الله، حروفه ومعانيه، كما هو قول أهل السنة والجماعة، وهو الذي قامت عليه الأدلة من الكتاب والسنة، والحمد لله رب العالمين.



وجوب الإيمان برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة،

ومواضع الرؤية

فصل

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَيَكْتِبُهُ وَبِمَلَايِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ:
الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيْنًا بِأَبْصَارِهِمْ؛ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ
صَحْوًا لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ^(١)، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةً الْبَدْرِ لَا يُضَامُونَ فِي
رُؤْيَيْهِ^(٢)، يَرَوْنَهُ -سُبْحَانَهُ- وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ^(٣)، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَالَ
أَنَسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ
دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ
سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ...».

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٢١١) (٦٣٣) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:
«كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرْنَا إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ -يَعْنِي: الْبَدْرَ-، فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ
رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ
طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فافْعَلُوا. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].».

(٣) كما في حديث الشفاعة الذي ورد بعدة ألفاظ؛ منها: ما رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم
(٣٢٢) (١٩٣)، و(٣٢٦) (١٩٢) بلفظٍ أتم، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه
البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (٣٢٧) (١٩٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه
البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٣٠٢) (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفيه:
«... فَإِنِّيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، =

الجنة^(١)؛ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ تَعَالَى.

الشرح

وَجْهٌ دخول الإيمان بالرؤية في الإيمان بالله وبكتبه وبرسوله: أن الله سبحانه أخبر بها في كتابه، وأخبر بها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن لم يؤمن بها كان مكذَّباً لله ولكتبه ولرسوله، فإن الذي يؤمن بالله وكتبه ورسله يؤمن بكل ما أخبروا به.

وقوله: (عَيْنًا) بكسر العين، أي: رؤية محققة لا خفاء فيها، فليست مجازاً كما تقوله المعطلة.

(كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةً الْبَدْرُ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ) أي: رؤية حقيقية لا مشقة فيها، كما دلت على ذلك الآيات والأحاديث التي سبق شرحها.

وقوله: (يَرَوْنَهُ - سُبْحَانَهُ - وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ

=فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقِ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا...».

(١) كما في حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم (١٨١)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ».

دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ تَعَالَى)، هذا بيان للمواضع التي تحصل فيها الرؤية. وذلك في موضعين:

الموضع الأول: في عرصات القيامة، والعرصات جمع عرصة، وهي الموضع الواسع الذي لا بناء فيه، وعرصات القيامة: مواقف الحساب. وهل يختص المؤمنون برؤيته في هذا الموضع؟

في المسألة ثلاثة أقوال:

وقيل: يراه في عرصات القيامة المؤمنون والمنافقون والكفار.

وقيل: يراه المؤمنون والمنافقون فقط دون الكفار.

وقيل: يراه المؤمنون فقط. والله أعلم.

الموضع الثاني: يراه المؤمنون بعد دخولهم الجنة، كما ثبت ذلك في الأدلة من الكتاب والسنة، وسبق ذكر بعض تلك الأدلة مشروحة، وسبق ذكر شُبْهِهِ من نفى الرؤية مع الرد عليها.

والجنة في اللغة: البستان^(١)، والمراد بها هنا: الدار التي أعدها الله لأوليائه، وهي دار النعيم المطلق الكامل.

وقول الشيخ: (كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ تَعَالَى) أي: من غير إحاطة ولا تكييف لرؤيته.



(١) انظر: العين (٦/٢٠)، وتهذيب اللغة (١٠/٢٦٥)، والصحاح (٥/٢٠٩٤)، ومقاييس اللغة (١/٤٢١).

ما يدخل في الإيمان باليوم الآخر

١ - ما يكون في القبر

فصل

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

فَأَمَّا الْفِتْنَةُ: فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيَقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ؛ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: رَبِّي اللَّهُ، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيِّي. وَأَمَّا الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ! فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ. ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ: إِمَّا نَعِيمٌ، وَإِمَّا عَذَابٌ.

الشَّرْحُ

اليوم الآخر هو يوم القيامة، والإيمان به أحد أركان الإيمان، وقد دل عليه العقل والفطرة، وصرحت به جميع الكتب السماوية، ونادى به جميع الأنبياء والمرسلين، وسُمِّيَ باليوم الآخر؛ لتأخره عن الدنيا.

وقد ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هنا ضابطاً شاملاً لمعنى الإيمان باليوم الآخر، بأنه: (الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ)؛ فيدخل

فيه الإيـان بكل ما دلت عليه النصوص؛ من حالة الاحتضار، وحالة الميت في القبر، والبعث من القبور، وما يحصل بعده... ثم أشار الشيخ رَحِمَهُ اللهُ إلى أشياء من ذلك.

منها ما يكون في القبر، فقال: (فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ)، فذكر أمرين:

الأمر الأول: فتنة القبر، والفتنة لغة: الامتحان والاختبار^(١)، والمراد بها هنا سؤال الملكين للميت؛ ولهذا قال: (فَأَمَّا الْفِتْنَةُ: فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيَقَالُ لِلرَّجُلِ) أي: الميت، سواء كان رجلاً أو امرأة، ولعل ذكر الرجل من باب التغليب. ثم ذكر الأسئلة التي توجه إلى الميت، وما يجب به المؤمن، وما يجب به غير المؤمن، وما يكون بعد هذه الإجابة من نعيم أو عذاب.

والإيمان بسؤال الملكين واجب؛ لثبوته عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديث يبلغ مجموعها حد التواتر^(٢)، ويدل على ذلك القرآن الكريم، في قوله

(١) انظر: العين (٨/ ١٢٧)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢١١)، والصحاح (٦/ ٢١٧٥)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٧٢).

(٢) تواترت الأحاديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إثبات عذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين للإنسان بعد موته؛ كما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (١٣٣٨)، (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠)، وجاء أيضاً من حديث البراء، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأبي قتادة، وعائشة، وغيرهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

قال ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٥٠): (وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين؛ فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به). اهـ.

تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
 الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فقد
 أخرج الشيخان من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 قال في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾: نزلت
 في عذاب القبر. زاد مسلم: « فيقال له: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول: رَبِّيَ اللَّهُ، ونبيِّي
 محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ
 الثَّابِتِ﴾^(١). والقول الثابت هو كلمة التوحيد، التي ثبتت في قلب المؤمن
 بالحجة والبرهان، وتثبيت المؤمنين بها في الدنيا: أنهم يتمسكون بها ولو نالهم
 في سبيلها ما نالهم من الأذى والتعذيب، وتثبيتهم بها في الآخرة: توفيقهم
 للجواب عند سؤال الملكين.

وقوله: (وَأَمَّا الزُّنُبَانُ) أي: الشاكُّ (فَيَقُولُ) إذا سُئِلَ: (هَاهُ هَاهُ) كلمة
 تردد وتوجع، (لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ)؛ لأنه غير مؤمن
 بما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيستعجم عليه الجواب، ولو كان من أعلم
 الناس وأفصحهم، كما قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾.

(فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ) وهي المطرقة الكبيرة، (فَيَصِيحُ صَيْحَةً
 يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ)، ثم يبين الحكمة من عدم سماع الإنسان لها بقوله:

(١) تواترت الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إثبات عذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين
 للإنسان بعد موته؛ كما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (١٣٣٨)،
 (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠)، وجاء أيضًا من حديث البراء، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأبي
 قتادة، وعائشة، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ) أي: خَرَّ ميتاً أو غشي عليه. ومن حكمة الله أيضاً أن ما يجري على الميت في قبره لا يُحسُّ به الأحياء؛ لأن الله تعالى جعله من الغيب، ولو أظهره لفاتت الحكمة المطلوبة، وهي الإيمان بالغيب.

الأمر الثاني: مما يجري على الميت في قبره ما أشار إليه الشيخ بقوله: (ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ: إِمَّا نَعِيمٌ، وَإِمَّا عَذَابٌ) إلى أن تقوم القيامة الكبرى، هذا فيه إثبات عذاب القبر أو نعيمه.

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، كما تواترت به الأحاديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيجب الإيمان به، ولا يتكلم في كفيته وصفته؛ لأن ذلك لا تدركه العقول؛ لأنه من أمور الآخرة، وأمور الآخرة لا يعلمها إلا الله، ومن أطلعهم الله على شيء منه وهم الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم -.

وأنكر عذاب القبر المعتزلة، وشبهتهم في ذلك أنهم لا يدركونه، ولا يرون الميت يعذب ولا يسأل!

والجواب عن ذلك: أن عدم إدراكنا ورؤيتنا للشيء لا يدل على عدم وجوده ووقوعه؛ فكم من أشياء لا نراها وهي موجودة، ومن ذلك عذاب القبر أو نعيمه. وأن الله تعالى جعل أمر الآخرة وما كان متصلاً بها غيباً، وحجبها عن إدراك العقول في هذه الدار؛ لتمييز الذين يؤمنون بالغيب من غيرهم، وأمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا. والله أعلم.

وعذاب القبر على نوعين:

النوع الأول: عذاب دائم: وهو عذاب الكافر، كما قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦].

النوع الثاني: يكون إلى مدة ثم ينقطع: وهو عذاب بعض العصاة من المؤمنين، فيعذب بحسب جرمه، ثم يُخَفَّفُ عنه، وقد ينقطع عنه العذاب بسبب دعاء، أو صدقة، أو استغفار.



٢ - القيامة الكبرى وما يجري فيها

إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى، فَتَعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ، وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ، فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، حُفَاءَ عُرَاءَ غُرُلًا^(١).

الشرح

أشار الشيخ رحمه الله في هذا وما بعده إلى ما يكون في الدار الآخرة، وهي التي تبدأ بالقيامة الكبرى،؛ فإن الدور ثلاث^(٢):

دار الدنيا. ودار البرزخ. والدار الآخرة.

وكل دار من هذه الدور الثلاث لها أحكام تخصها، وحوادث تجري فيها، وقد تكلم الشيخ على ما يكون في دار البرزخ.

وهنا أخذ يتكلم على ما يكون في الدار الآخرة، فيقول: (إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى)، القيامة قيامتان:

قيامة صغرى: وهي الموت، وهذه القيامة تقوم على كل إنسان في خاصته، من خروج رُوحه، وانقطاع سعيه.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩) واللفظ له، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاءَ، عُرَاءَ، غُرُلًا».

(٢) انظر: الروح (ص ٦٣).

وقيامة كبرى: وهذه تقوم على الناس جميعاً، وتأخذهم أخذة واحدة. وُسِّمَتِ قِيَامَةٌ؛ لقيام الناس من قبورهم لرب العالمين؛ ولهذا قال: (فَتَعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ)، وذلك عندما ينفخ إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ في الصور، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ (٥١) قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴿يس: ٥١-٥٢﴾، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

والأرواح: جمع رُوح، وهي ما يحيا به الإنسان وغيره من ذوات الأرواح، ولا يعلم حقيقتها إلا الله؛ قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقوله: (وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ) إشارة إلى أدلة البعث، وأنه ثابت بالكتاب والسنة، وإجماع المسلمين، والعقل، والفطر السليمة.

فقد أخبر الله عنه في كتابه، وأقام الدليل عليه، ورد على المنكرين للبعث في غالب سور القرآن.

ولما كان نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين، بين تفاصيل الآخرة بيانا لا يوجد في كثير من كتب الأنبياء.

والجزاء على الأعمال ثابت بالعقل، وواقع في الشرع؛ فإن الله نَبَّهَ العقول إلى ذلك في مواضع كثيرة من القرآن؛ حيث ذكرها أنه لا يليق بحكمته وحده أن يترك الناس سُدىً، أو يخلقهم عبثاً، لا يُؤْمَرُونَ ولا يُنْهَوْنَ، ولا يُثَابُونَ

ولا يُعاقَبون، وأن يكون المحسن كالْمسيء، أو يجعل المسلمين كالمجرمين؛ فإن بعض المحسنين يموت قبل أن يُجْزى على إحسانه، وبعض المجرمين يموت قبل أن يجازى على إجرامه؛ فلا بد أن هناك دارًا يجازى فيها كلُّ منهما.

ومنكر البعث كافر؛ كما قال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ﴾

[التغابن: ٧].

وقوله: (فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، حُفَاةً): جمع حافٍ، وهو الذي ليس على رجله نعلٌ ولا خُفٌّ.

(عُرَاةً): جمع عارٍ، وهو الذي ليس عليه لباس.

(غُرُلًا): جمع أغرل، وهو الأقف الذي لم يختن، وهذه الصفات الثلاث يكونون عليها حين قيامهم من قبورهم، وهذا ثابت في الصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ففي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يُخْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً، عُرَاةً، غُرُلًا...» الحديث^(١).



ما يجري في يوم القيامة

وَتَذْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ، فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ؛ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، فَآخِذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (١٣) أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [سورة الإسراء: ١٣-١٤].

وَيُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيَقْرَرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وَصَفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَلَا يُحَاسِبُونَ مُحَاسَبَةً مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُمْ لَا حَسَنَاتٍ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ فَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا.

الشرح

ذكر الشيخ رحمه الله في هذا الكلام بعض ما يجري في يوم القيامة مما ذكر في الكتاب والسنة؛ فإن تفاصيل ما يجري في هذا اليوم مما لا يُدرك بالعقل، وإنما يُدرك بالنقول الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

وَمِنَ الْحِكْمَةِ فِي مُحَاسَبَةِ الْخَلَائِقِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَوزْنِهَا وَظُهُورِهَا مَكْتُوبَةً فِي الصَّحْفِ مَعَ إِحَاطَةِ عِلْمِ اللَّهِ بِذَلِكَ؛ لِيَرَى عِبَادَهُ كَمَا لَمْ يَحْمَدْهُ، وَكَمَا لَمْ يَدُلَّهُ، وَسَعَةَ رَحْمَتِهِ، وَعَظَمَةَ مَلَكِهِ.

وذكر الشيخ مما يجري في هذا اليوم العظيم على العباد:

١ - (وَتَذْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ) أي: تقرب من رؤوسهم، كما روى مسلم عن المقداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أُذْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْعِبَادِ، حَتَّى يَكُونَ قَيْدَ مِيلٍ، أَوْ اثْنَيْنِ»^(١).

قوله: (وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ) أي: يصل إلى أفواههم، فيصير بمنزلة اللجام، يمنعهم من الكلام؛ وذلك نتيجة لدنو الشمس منهم، وذلك بالنسبة لأكثر الخلق، وَيُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ: الْأَنْبِيَاءُ، وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ.

٢ - وما ذكر في هذا اليوم قوله: (فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ) الموازين: جمع ميزان، وهو الذي توزن به الحسنات والسيئات، وهو ميزان حقيقي، له لسان وكفتان^(٢)، وهو من أمور الآخرة، نؤمن به كما جاء، ولا نبحت عن كيفيته إلا على ضوء ما ورد من النصوص.

(١) أخرجه بهذا اللفظ: الترمذي (٢٤٢١)، وأحمد (٢٣٥ / ٣٩)، وابن حبان (٣٢٥ / ١٦). وأخرجه مسلم (٦٢) (٢٨٦٤)، بلفظ: «تَذْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمَقْدَارِ مِيلٍ».

(٢) ورد ذكر الكفتين في عدد من الأحاديث؛ منها: حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦٠٢)، وفي عمل اليوم والليلة (٨٣٤)، (١١٤١)، وأبو يعلى في مسنده (٥٢٨ / ٢)، وابن حبان في صحيحه (١٠٢ / ١٤)، والحاكم في المستدرک (٧١٠ / ١)، والطبراني في الدعاء (٤٣٥ / ١)، وفيه: «يَا مُوسَى، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامَرَهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ؛ مَا لَتْ بِهِمْ =

والحكمة في وزن الأعمال: إظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها.

﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي: رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون والناجون من النار، المستحقون لدخول الجنة.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي: ثقلت سيئاته على حسناته ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ أي: خابوا وصاروا إلى النار ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ أي: ماكثون في النار.

والشاهد من الآية الكريمة: أن فيها إثبات الموازين والوزن يوم القيامة.

وقد ورد ذكر الوزن والموازين في آيات كثيرة من القرآن، وقد أفاد مجموع النصوص أنه يوزن العامل، والعمل، والصحف، ولا منافاة بينها؛ فالجميع يوزن، ولكن الاعتبار في الثقل والخفة يكون بالعمل نفسه، لا بذات العامل، ولا بالصحيفة. والله أعلم.

وقد تأوَّل المعتزلة النصوص في ذلك على أن المراد بالوزن والميزان العدل! وهذا تأويل فاسد، مخالف للنصوص، وإجماع سلف الأمة وأئمتها.

= لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وروى أحمد في المسند (١١/١٥٠) نحوه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد ورد ذكر الكفة في حديث البطاقة الذي رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (١١/٥٧١)، والحاكم (١/٤٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد ورد ذكر اللسان مع الكفتين عند البيهقي في شعب الإيمان (١/٢٦٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «الْمِيزَانُ لَهُ لِسَانٌ وَكَفَّتَانِ، يُوزَنُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ».

قال الشوكاني: (بَلْ غَايَةُ مَا تَشَبُّوا بِهِ مُجَرَّدُ الْإِسْتِبْعَادَاتِ الْعَقْلِيَّةِ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ حُجَّةٌ عَلَى أَحَدٍ، فَهَذَا إِذَا لَمْ تَقْبَلْهُ عُقُولُهُمْ فَقَدْ قَبِلْتَهُ عُقُولُ قَوْمٍ هِيَ أَقْوَى مِنْ عُقُولِهِمْ؛ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ، حَتَّى جَاءَتِ الْبِدْعُ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَقَالَ كُلُّ مَا شَاءَ، وَتَرَكُوا الشَّرْعَ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ). اهـ^(١).
وأمر الآخرة ليست مما تدركها العقول. والله أعلم.

٣- ومما ذكره الشيخ من حوادث هذا اليوم العظيم قوله: (وُتُنَشَّرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ) أي: الصحائف التي كُتِبَتْ فيها أعمال العباد التي عملوها في الدنيا، وكتبتها عليهم الحَفَظَةُ؛ لأنها تُطَوَّى عند الموت، وُتُنَشَّرُ -أي: تُفْتَحُ- عند الحساب؛ ليقف كل إنسان على صحيفته، فيعلم ما فيها.

(فَآخِذْ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذْ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ) هذا فيه بيان كيفية أخذ الناس لصحفهم كما جاء ذلك في القرآن الكريم، وهو على نوعين: أخذ كتابه بيمينه، وهو المؤمن، وأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، وهو الكافر؛ بأن تُلَوَّى يده اليسرى من وراء ظهره، ويُعْطَى كِتَابُهُ بِهَا؛ كما جاءت الآيات بهذا وهذا، ولا منافاة بينهما؛ لأن الكافر تُغْلَى يُمْنَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، وتجعل يسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه.

ثم استدل الشيخ بقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ الآية.

﴿طَائِرُهُ﴾: ما طارَ عنه من عمله، من خير وشر.

﴿ فِي عُنُقِهِ ﴾ أي: يُلْزَم به، ويجازى به، لا مَحِيد له عنه، فهو لازم له لزوم القلادة في العنق.

﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ أي: نجمع له عمله كله في كتابٍ يُعطاه يوم القيامة؛ إما بيمينه إن كان سعيداً، أو بشماله إن كان شقيماً. ﴿ مَنشُورًا ﴾ أي: مفتوحاً، يقرؤه هو وغيره. وإنما قال سبحانه: ﴿ يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾؛ تعجيلاً للبشرى بالحسنة، والتوبيخ على السيئة.

﴿ أَقْرَأَ كِتَابَكَ ﴾ أي: نقول له ذلك قبل أن يقرأ ذلك الكتاب، من كان قارئاً ومن لم يكن قارئاً.

﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ أي: حاسباً، وهو منصوب على التمييز. وهذا أعظم العدل؛ حيث جعله حسيب نفسه؛ ليرى جميع عمله، لا ينكر منه شيئاً.

والشاهد من الآية الكريمة: أن فيها إثبات إعطاء كلِّ إنسان صحيفة عمله يوم القيامة، يقرؤها بنفسه، ويطلع عليها هو، لا بواسطة غيره.

٤- ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ الحِساب، فقال: (وَيُحَاسِبُ اللهُ الْخَلَائِقَ) الحِساب: هو تعريف الله عَزَّجَلَّ للخلائق بمقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم ما قد نسوه من ذلك. أو بعبارة أخرى: هو توقيف الله عبادَه قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم، خيراً كانت أو شراً.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله أن الحساب على نوعين:

النوع الأول: حساب المؤمن، قال فيه: (وَيُخْلَوُ بَعْدَهُ الْمُؤْمِنُ، فَيَقْرَرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۖ ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧-٩]، وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ. حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۖ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»^(١).

ومعنى (يُقَرَّرُهُ بِذُنُوبِهِ): يجعله يقر، أي: يعترف بها، كما في هذا الحديث: «أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟».

ومن المؤمنين من يدخل الجنة بغير حساب، كما صح في الحديث: «سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلَا عَذَابٍ»^(٢).

والحساب يختلف؛ فمنه اليسير - وهو العرض -، ومنه المناقشة، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ أَحَدٌ

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٥٢) (٢٧٦٨).

(٢) أخرجه البخاري [(٥، ٥٧، ٥٧٥٢ مطوّلًا)، و (٣٤١٠، ٦٤٧٢، ٦٥٤١ مختصرًا)]،

ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-٨]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقِشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ» (١).

النوع الثاني: حساب الكفار، وقد بيّنه بقوله: (وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةً مِّنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُمْ لَا حَسَنَاتٍ لَهُمْ) أي: ليس لهم حسنات توزن مع سيئاتهم؛ لأن أعمالهم قد حبطت بالكفر، فلم يَبْقَ لهم في الآخرة إلا سيئات؛ فحسابهم معناه أنهم (تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا) أي: يُخَبَّرُونَ بأعمالهم الكفرية، ويعترفون بها، ثم يجازون عليها، كما قال تعالى: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٣٧]، وقال: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١].



حَوْضُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَكَانُهُ وَصِفَاتُهُ

وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، آيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ ^(١)، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا ^(٢).

الشَّرْحُ

٥- مما يوجد في القيامة: حَوْضُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ذكره الشيخ هنا ويَبَيِّنُ أوصافه، فقال: (وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، كما ثبت ذلك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال الإمام ابن القيم: (وقد رَوَى أَحَادِيثُ الْحَوْضِ أَرْبَعُونَ صَحَابِيًّا، وكثير منها أو أكثرها في الصحيح). انتهى ^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا آيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَيَّتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمَظْلَمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْحَبُ فِيهِ مِزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ».

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٧) (٢٢٩٢) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَرَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرَقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا».

(٣) انظر: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته (٤٢٠٥ / ٢).

وتقدم بيان معنى العرصات.

والحوض لغة: مجمع الماء^(١).

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات الحوض^(٢)، وخالفَتْ في ذلك المعتزلة، فلم تُقَلِّ بِإثباته، وأولوا النصوص الواردة فيه، وأحالوها عن ظاهرها.

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أوصاف الحوض، فقال: (مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، آيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا) وهذه الأوصاف ثابتة في الأحاديث؛ كحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا المتفق عليه، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(٣).

(١) انظر: العين (٣/٢٦٦-٢٦٧)، وتهذيب اللغة (٥/١٠٣)، والصَّحاح (٣/١٠٧٣)، ومقاييس اللغة (٢/١٢٠).

(٢) تواترت الأحاديث في وصف حوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيمن يَرِدُّهُ مِنْ أُمَّتِهِ، وَمَنْ يُنَادِ عَنْهُ، رُوِيَ عَنْ أَكْثَرِ مَنْ خَمْسِينَ صَحَابِيًّا، انظر مجموع طرقها وَمَنْ رَوَاهَا مِنَ الصَّحَابَةِ فِي: فتح الباري (١١/٤٦٩)، وعمدة القاري (٢٣/١٣٦). قال الحافظ ابن حجر: (وَلَكثيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ زِيَادَةٌ عَلَى الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ؛ كَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَنَسٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، وَأَحَادِيثُهُمْ بَعْضُهَا فِي مُطْلَقِ ذِكْرِ الْحَوْضِ، وَفِي صِفَتِهِ بَعْضُهَا، وَفِي مَنْ يَرِدُ عَلَيْهِ بَعْضُهَا، وَفِي مَنْ يُدْفَعُ عَنْهُ بَعْضُهَا، وَكَذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي أَوْرَدَهَا الْمُصَنِّفُ فِي هَذَا الْبَابِ، وَجُمْلَةُ طُرُقِهَا تِسْعَةٌ عَشَرَ طَرِيقًا، وَبَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ الْمُتَأَخِّرِينَ وَصَلَهَا إِلَى رَوَايَةِ ثَمَانِينَ صَحَابِيًّا). اهـ.

(٣) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

الصراط ومعناه ومكانه وصفة مرور الناس عليه

وَالصَّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمَحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الْإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ خَطْفًا وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ^(١).

الشَّرح

٦- ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذَا أَنَّ مَا يَحْصُلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمُرُورَ عَلَى

الصراط.

وَالصراط فِي اللُّغَةِ: هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ^(٢).

وَأَمَّا فِي الشَّرْعِ: فَهُوَ مَا بَيَّنَّهُ الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ: (وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ)، وَبَيَّنَّ مَكَانَهُ بِقَوْلِهِ: (عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ) أَي: عَلَى ظَهْرِ النَّارِ^(٣).

(١) تَكَثَّرَتِ الْأَحَادِيثُ فِي وَصْفِ الصَّرَاطِ وَأَحْوَالِ النَّاسِ عَلَيْهِ؛ مِنْهَا مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، وَمُسْلِمٌ (١٨٢، ١٩٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَمِنْهَا مَا جَاءَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَنْسٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْجَمِيعُ.

(٢) انْظُرْ: تَهْذِيبُ اللُّغَةِ (٢٣٢/١٢)، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (٣١٤/٧).

(٣) كَمَا فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ الطَّوِيلِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٨٠٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٩٩) (١٨٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَفِيهِ: «... فَيُضْرَبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: =

ثم بيّن صفة مرور الناس عليه بقوله: (يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ)، ووقت المرور عليه بعد مفارقة الناس للموقف والحشر والحساب؛ فإن الصراط ينجو عليه المؤمنون من النار إلى الجنة، ويسقط منه أهل النار فيها، كما ثبت في الأحاديث.

ثم فصل الشيخ رحمه الله أحوال الناس في المرور على الصراط، فقال: (فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمَحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرَكَابِ الْإِبِلِ) أي: أنهم يكونون في سرعة المرور وبطئه على حسب إيمانهم وأعمالهم الصالحة التي قدّموها في الدنيا، فبحسب استقامة الإنسان على دين الإسلام وثباته عليه يكون ثباته ومروره على الصراط، فمن ثبت على الصراط المعنوي، وهو الإسلام؛ ثبت على الصراط الحسي المنصوب على متن جهنم. ومن زلّ عن الصراط المعنوي؛ زلّ عن الصراط الحسي.

وقوله: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا) أي: يركض ركضًا.

وقوله: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا) أي: يمشي على مقعدته بدل رجليه.

وقوله: (عَلَيْهِ كَلَالِيْبُ) جمع كَلُوب، بفتح الكاف واللام المشددة

المضمومة، وهي حديدة معطوفة الرأس.

=اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخَطَّفُ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبِقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجْرَدُ لَمْ يَنْجُو».

وقوله: (تَخْطَفُ النَّاسَ) بفتح الطاء، ويجوز كسرهما، من الخطف، وهو أخذ الشيء بسرعة.

وقوله: (بِأَعْمَالِهِمْ) أي: بسبب أعمالهم السيئة؛ فيكون اختطاف الكلايب لهم على صراط جهنم بحسب اختطاف الشبهات والشهوات لهم عن الصراط المستقيم.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بالصراط المنصوب على متن جهنم، ومرور الناس عليه، على ما جاءت به الأحاديث الصحيحة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وخالف في ذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي، وكثير من أتباعه، وقالوا: المراد بالصراط المذكور: طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥]، وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]!

وهذا قول باطل، ورد للنصوص الصحيحة بغير برهان، والواجب حمل النصوص على ظاهرها.



القنطرة بين الجنة والنار

فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصَّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ وَاقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذَّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ^(١).

الشَّحْ

٧- ذكر الشيخ رحمه الله مما يكون يوم القيامة: الوقوف على القنطرة، فقال: (فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصَّرَاطِ) أي: تجاوزَهُ وسَلِمَ من السقوط في جهنم، (دَخَلَ الْجَنَّةَ)؛ لأن مَنْ نجا من النار دخل الجنة؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

لكن قبل دخول الجنة لا بد من إجراء القصاص بين المؤمنين؛ حتى يدخلوا الجنة وهم على أكمل حالة، قد خلصوا من المظالم، وهذا ما أشار إليه الشيخ بقوله: (فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ) أي: تجاوزوا الصراط، ونجوا من السقوط

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٥٣٥) عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذَّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا أَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».

في النار، (وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ) هي: الجسر، وما ارتفع من البنيان^(١). وهذه القنطرة، قيل: هي طرف الصراط مما يلي الجنة. وقيل: هي صراط آخر خاص بالمؤمنين^(٢).

(فَيَقْتَصِّرُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ) أي: يجري بينهم القصاص في المظالم، فيؤخذ للمظلوم حقه من ظلمه.

(فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُوا) أي: خلصوا من التبعات والحقوق (أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ)، وقد ذهب ما في قلوب بعضهم على بعض من الغل؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].



(١) انظر: الصحاح (٧٩٦/٢)، ومعجم الفروق اللغوية (١٦٣/١)، والمحكم لابن سيده (٦٢٠/٦)، والمصباح المنير (٥٠٧/٢).

(٢) قال السَّفَّارِينِي رَحِمَهُ اللهُ: (وَاخْتَلَفَ فِي الْقَنْطَرَةِ الْمَذْكُورَةِ؛ فَقِيلَ: إِنَّهَا مِنْ تِمَمَةِ الصَّرَاطِ، وَهِيَ طَرَفُهُ الَّذِي يَلِي الْجَنَّةَ، وَقِيلَ: إِنَّهَا صِرَاطٌ آخَرُ، وَبِهِ جَزَمَ الْقُرْطُبِيُّ). قَالَ الْحَافِظُ جَلَّالُ الدِّينِ الشَّيْطُونِيُّ فِي كِتَابِهِ «الْبُدُورُ السَّافِرَةُ فِي عُلُومِ الْآخِرَةِ»: وَالْأَوَّلُ -يَعْنِي: أَنَّهُ طَرَفُ الصَّرَاطِ الَّذِي يَلِي الْجَنَّةَ- هُوَ الْمُخْتَارُ الَّذِي ذَلَّتْ عَلَيْهِ أَحَادِيثُ الْفَنَاطِرِ وَالْحِسَابِ عَلَى الصَّرَاطِ. انْتَهَى). انظر: لوامع الأنوار (١٩٠/٢). وانظر أيضًا: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٧٦٧).

أول من يستفتح باب الجنة، وأول من يدخلها،

وشفاعات النبي صلى الله عليه وسلم

وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ الْأُمَمِ: أُمَّتُهُ.

وَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَى: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ - آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ. وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيْمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيْمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ إِلَّا يَدْخُلُهَا، وَيَشْفَعُ فِيْمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يُخْرِجَ مِنْهَا.

الشرح

٨- يبين الشيخ رحمه الله ما ينتهي إليه أمر المؤمنين يوم القيامة بعد اجتيازهم لتلك الأحوال التي مر ذكر أهمها، فيقول: (فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ)، فهم لا يدخلون الجنة إلا بعد إذن من الله تعالى، وطلب لفتح أبوابها.

(وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كما في الصحيح عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»^(١). والاستفتاح: طلب الفتح، وفي هذا تشریف له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإظهار لفضله.

قوله: (وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَمِ: أُمَّتُهُ)؛ وذلك لفضلها على سائر الأمم، ودليل ذلك ما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه مسلم من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»^(٢).

قوله: (وَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ) الشفاعات جمع شفاعاة، والشفاعة لغة: الوسيلة. وعرفاً: سؤال الخير للغير. مشتقة من الشفع، الذي هو ضد الوتر؛ فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له بعد أن كان منفرداً^(٣).

وقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ) بيان للشفاعات التي يقوم بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم القيامة بإذن الله تعالى.

(١) أخرجه مسلم (٣٣٣) (١٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠) (٨٥٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْنَ أَتَمِّمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأَوْتَيْنَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا، فَهَذَا أَنَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَذَا اللَّهُ لَهُ - قَالَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ -، فَالْيَوْمَ لَنَا، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى».

(٣) انظر مادة (شفع) في: العين (١/ ٢٦٠)، وتهذيب اللغة (١/ ٢٧٧)، والصحاح (٣/ ١٢٣٨)، ومقاييس اللغة (٣/ ٢٠١)، ولسان العرب (٨/ ١٨٣).

هكذا ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أنواع الشفاعة هنا مختصرة، وهي على سبيل الاستقصاء ثمانية أنواع؛ منها ما هو خاص بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها ما هو مشترك بينه وبين غيره:

الشفاعة الأولى: الشفاعة العظمى: وهي المقام المحمود، وهي: أن يشفع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقضي الله سبحانه بين عباده بعد طول الموقف عليهم، وبعد مراجعتهم الأنبياء للقيام بها، فيقوم بها نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد إذن ربه^(١).

الشفاعة الثانية: شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دخول أهل الجنة الجنة، بعد الفراغ من الحساب^(٢).

الشفاعة الثالثة: شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب^(٣)، وهذه خاصة به؛ لأن الله أخبر أن الكافرين لا تنفعهم شفاعة الشافعين، ونبينا أخبر أن شفاعته لأهل التوحيد خاصة؛ فشفاعته لعمه أبي طالب خاصة به، وخاصة لأبي طالب.

(١) كما في حديث الشفاعة الذي سبق تخريجه (ص ١٨٥).

(٢) كما في الحديث الذي سبق تخريجه (ص ٢١١).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٨٨٣، ٦٢٠٨)، ومسلم (٢٠٩): عَنِ الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَحْطُوكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟» قَالَ: «نَعَمْ؛ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْ لَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».

وكما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٨٨٥، ٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠): عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذُكِرَ عِنْدَهُ عُمَةُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاعُهُ».

هذه الأنواع الثلاثة من الشفاعة خاصة بنينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشفاعة الرابعة: شفاعته فيمن استحق النار من عصاة الموحدين ألا يدخلها.

الشفاعة الخامسة: شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمن دخل النار من عصاة الموحدين أن يخرج منها.

الشفاعة السادسة: شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رفع درجات بعض أهل الجنة.

الشفاعة السابعة: شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمن استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة، وهم أهل الأعراف على قول.

الشفاعة الثامنة: شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دخول بعض المؤمنين الجنة بلا حساب ولا عذاب؛ كشفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث دعا له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب^(١).

وهذه الأنواع الخمسة الباقية يشاركه فيها غيره من الأنبياء، والملائكة^(٢)، والصّديقين، والشهداء^(٣).

(١) سبق تخريجه (ص ٢٠١).

(٢) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٣٠٢) (١٨٣)، واللفظ له، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

(٣) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم (٣٠٢) (١٨٣)، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ =

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذه الشفاعات كلها؛ لثبوت أدلتها،
وأنها لا تحقق إلا بشرطين:

الشرط الأول: إِذْنُ اللَّهِ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣].

الشرط الثاني: رِضَا اللَّهِ عَنِ الْمَشْفُوعِ لَهُ؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

ويجمع الشرطين في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

وقد خالفت المعتزلة في الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين فيمن استحق النار منهم ألا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها، أي: في النوع الخامس والسادس من أنواع الشفاعة، ويحتجون بقوله تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]!

والجواب عنها: أنها واردة في حق الكفار؛ فهم الذين لا تنفعهم شفاعة الشافعين، أما المؤمنون فتنبفعهم الشفاعة بشرروطها.

هذا وقد انقسم الناس في أمر الشفاعة إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: غَلَوُا فِي إثباتها، وهم النصارى والمشركون، وغلاة

= الْحَقُّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا، كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ، وَيُحْجُّونَ. فَيَقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ.

الصوفية والقبوريون؛ حيث جعلوا شفاعته مَنْ يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا عند الملوك، فطلبوها من دون الله، كما ذكر الله ذلك عن المشركين.

الصنف الثاني: وهم المعتزلة، والخوارج؛ غَلَوْا في نفي الشفاعته، فأنكروا شفاعته النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشفاعة غيره في أهل الكبائر!

الصنف الثالث: وهم أهل السنة والجماعة؛ أثبتوا الشفاعته على وَفْقِ ما جاءت به النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، فأثبتوا الشفاعته بشروطها.



إخراج بعض العصاة من النار برحمة الله بغير شفاعة، واتساع الجنة عن أهلها

وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا أَقْوَامًا، فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ. وَأَصْنَافٌ مَا تَصَمَّنَتْهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْآثَارِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنْ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

الشرح

٩- لما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّفَاعَاتِ الَّتِي تَقَعُ بِإِذْنِ اللَّهِ الشَّفَاعَةُ بِإِخْرَاجِ بَعْضِ مَنْ دَخَلُوا النَّارَ مِنْهَا؛ ذَكَرَ هُنَا أَنَّ الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ لَهُ سَبَبٌ آخَرٌ غَيْرُ الشَّفَاعَةِ، وَهُوَ رَحْمَةُ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ- وَفَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ، فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ عَصَاةَ الْمُوحِدِينَ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ» الْحَدِيثُ (١).

وقوله: (وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ) أي: متسع (عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا)؛ لأن الله وصفها بالسَّعة، فقال: ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقوله: (فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا) أي: يخلق ويوجد (أَقْوَامًا) أي: جماعات (فَيَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ) بفضلِهِ ورحمته؛ لأن الجنة رحمته يرحم بها من يشاء، وأما النار فلا يعذب فيها إلا من قامت عليه حجته، وكذب رسله.

وقوله: (وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ، وَالْثَوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ... إلخ) لما ذكر رَحْمَةُ اللَّهِ ما ذكر من أحوال اليوم الآخر وما يجري فيه، أحال على الكتاب والسنة في معرفة تفاصيل البقية مما لم يذكره؛ لأن ذلك من علم الغيب الذي لا يُعرف إلا من طريق الوحي.



الإيمان بالقدر وبيان ما يتضمنه

وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ - أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ - بِالْقَدَرِ؛ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.
وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ.

الشرح

القدر: مصدر قدرت الشيء؛ إذا أحطت بمقداره. والمراد به هنا: تعلق علم الله بالكائنات، وإرادته لها أولاً قبل وجودها؛ فلا حادث إلا وقد قدره الله، أي: سبق علمه به، وتعلقت به إرادته.

والإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، وهو الإيمان بالقدر خيره وشره.

وفي قول الشيخ رحمه الله: (وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ - أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ - بِالْقَدَرِ؛ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) إشارة إلى أن من لم يؤمن بالقدر فليس من أهل السنة والجماعة، وهذا هو مقتضى النصوص، كما في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَام حين سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان، فقال: «الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١)؛ فجعل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيمان بالقدر سادس أركان الإيمان، فمن أنكره فليس بمؤمن، كما لو لم يؤمن بغيره من أركان الإيمان.

(١) أخرجه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم -أيضاً- (٨) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله: (وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ) وذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ يَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبَ، هِيَ إِجْمَالًا كَمَا يَلِي:
الأولى: عِلْمُ اللَّهِ الْأَزَلِيِّ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ ذَلِكَ: عِلْمُهُ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلُوهَا.

الثانية: كِتَابَةُ ذَلِكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

الثالثة: مَشِيئَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَقُدْرَتُهُ التَّامَّةُ لِكُلِّ حَادِثٍ.

الرابعة: إِيجَادُ اللَّهِ لِكُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَنَّهُ الْخَالِقُ، وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ. هَذَا مَجْمَلُ مَرَاتِبِ الْقَدَرِ، وَإِلَيْكَ بَيَانُهَا بِالتَّفْصِيلِ.



تفصيل مراتب القدر

(أ) الدرجة الأولى وما تتضمنه

فَالدَّرَجَةُ الْأُولَى: الْإِيْمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِالْخَلْقِ، وَهُمْ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَرْلًا وَأَبْدًا، وَعَلِمَ بِجَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ؛ مِنْ الطَّاعَاتِ، وَالْمَعَاصِي، وَالْأَرْزَاقِ، وَالْآجَالِ.

ثُمَّ كَتَبَ اللَّهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ، فَأَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، وَمَا أَخْطَاهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ، جَنَّتِ الْأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحج: ٧٠]، وَقَالَ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحديد: ٢٢].

وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا؛ فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ، وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَقَالُ لَهُ: اكْتُبْ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ... وَنَحْوَ ذَلِكَ.

فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غَلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكَرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

الشَّرْحُ

قوله: (أَزَلًا) الأزل: القِدَم الذي لا بداية له.

وقوله: (وَأَبَدًا) الأبد: هو الدوام في المستقبل الذي لا نهاية له.

و(الطَّاعَاتِ): جمع طاعة، وهي موافقة الأمر.

و(وَالْمَعَاصِي): جمع معصية، وهي مخالفة الأمر.

و(وَالْأَرْزَاقِ): جمع رزق، وهو ما ينفع.

و(وَالْأَجَالِ): جمع أَجَلٍ، وهو مدة الشيء. وَأَجَلُ الإنسان: نهاية وقته في

الدنيا بالموت.

و(اللُّوحُ الْمَحْفُوظُ) وهو أُمُّ الْكِتَابِ، محفوظ من الزيادة والنقصان فيه.

ذكر الشيخ هنا ما تتضمنه الدرجة الأولى من درجتي الإيمان بالقدر،

وأنها تتضمن شيئين؛ أي: مرتبتين:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء من الموجودات

والمعدومات، هذا العلم الذي هو صفة من صفاته تعالى الذاتية التي

لا يزال متصفًا بها أزلاً وأبداً. ومن ذلك: علمه بأعمال الخلق؛ من الطاعات

والمعاصي. وعلمه بأحوالهم؛ من الأرزاق والأجال وغيرها.

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة، وهي أن الله كتب في اللوح المحفوظ

مقادير الخلق، فما يحدث شيء في الكون إلا وقد عَلِمَهُ اللهُ، وكتبه قبل

حدوثه.

ثم استدل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة.

فمن أدلة السنة على ذلك: الحديث الذي ذكر الشيخ معناه، ولفظه ما رواه أبو داود في سننه عن عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(١). فهذا الحديث يدل على مرتبة الكتابة، وأن المقادير كلها مكتوبة.

وقوله: (فَأَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ) رُويَ بنصب (فَأَوَّلَ) و(الْقَلَمَ)؛ على أن الكلام جملة واحدة، ومعناه: أنه عند أول خلقه القلم قال له: اكتب.

ورُويَ برفع (أَوَّلَ) و (الْقَلَمَ)؛ على أن الكلام جملتان: الأولى (أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ)، و (قَالَ لَهُ: اكْتُبْ) جملة ثانية، فيكون المعنى: أن أول المخلوقات من هذا العالم القلم.

وقوله: (فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، وَمَا أَخْطَاهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ) من كلام عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ راوي الحديث. أي: ما يصيب الإنسان مما ينفعه أو يضره فهو مُقَدَّرٌ عليه، لا بد أن يقع به، ولا يقع به خلافه.

وقوله: (جَفَّتِ الْأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ) كناية عن سبق كتابة المقادير

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣٩٩)، وأحمد (٣٧٨/٣٧)، من حديث عبادة ابن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والفراغ منها، وهو معنى ما جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ». رواه الترمذي^(١).

ثم ذكر الشيخ من أدلة القرآن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾: الاستفهام للتقرير؛ أي: قد علمت يا محمد وتيقنت. ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه إحاطة علمه بالعالم العلوي والعالم السفلي. وهذه مرتبة العلم.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: الذي في السماء والأرض من معلوماته. ﴿فِي كِتَابٍ﴾ أي: مكتوب عنده في أم الكتاب. وهذه مرتبة الكتابة. ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: إن إحاطة علمه بما في السماء والأرض، وكتابته، يسيرٌ عليه.

والشاهد من الآية الكريمة: أن فيها إثبات علم الله بالأشياء، وكتابتها في اللوح المحفوظ، وهذا هو ما تتضمنه الدرجة الأولى

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد في المسند (٤٠٩/٤)، وهنّاد في الزهد (٣٠٤/١)، وعبد بن حميد في مسنده (ص ٢١٤)، والطبراني في الكبير (١١/١٢٣)، والحاكم في المستدرک (٣/٦٢٣)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/٦٧٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٣٧٤)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

واستدل الشيخ أيضاً بقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ من قحط مطر، وضعف نبات، ونقص ثمار.

﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ بالآلام، والأسقام، وضيق العيش.

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أي: إلا وهي مكتوبة في اللوح المحفوظ.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي: قبل أن نخلقها ونوجدّها.

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: إن إثباتها في الكتاب على كثرتها يسيرٌ

على الله سبحانه.

والشاهد من الآية الكريمة: أن فيها دليلاً على كتابة الحوادث في اللوح

المحفوظ قبل وقوعها، ويتضمن ذلك علمه بها قبل الكتابة؛ فهي دليل على

مرتبتي العلم والكتابة.

ثم بعد ذلك أشار الشيخ رحمه الله إلى أن التقدير نوعان:

تقدير عامٌ شامل لكل كائن، وهو الذي تقدم الكلام عليه بأدلتها، وهو

المكتوب في اللوح المحفوظ.

وتقدير خاص، وهو تفصيل للقدّر العام، وهو ثلاثة أنواع:

تقدير عمري، وتقدير حولي، وتقدير يومي.

هذا معنى قول الشيخ: (وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ

مُجْمَلَةٍ) أي: تقديرًا عامًا، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، يَعُمُّ جميع المخلوقات..

(وَتَفْصِيلًا) أي: تقديرًا خاصًا مفصلاً للتقدير العام، وهو:

١- التقدير العمري، كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي شَأْنِ مَا يُكْتَبُ عَلَى الْجَنِينِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ مِنْ أَرْبَعِ الْكَلِمَاتِ: رِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، وَعَمَلُهُ، وَشَقَاوَتُهُ أَوْ سَعَادَتُهُ^(١).

٢- تقدير حولي، وهو ما يقدر في ليلة القدر من وقائع العام، كما في قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

٣- تقدير يومي، وهو ما يقدر من حوادث اليوم؛ من حياة وموت، وعزل وذل... إلى غير ذلك؛ كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لَوْحًا مَحْفُوظًا مِنْ دُرَّةٍ بَيضاء، صَفَحَاتِهَا مِنْ يَاقُوتَةٍ حُمْراءَ، فَلَمَّهُ نُورٌ، وَكَتَبَهُ نُورٌ، اللَّهُ فِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةِ لَحْظَةٍ؛ يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيُمِيتُ وَيُحْيِي، وَيُعِزُّ وَيَذِلُّ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ؛

(١) أخرجه البخاري (٣١٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤)، ومسلم (١) (٢٦٤٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلَاقَةٌ مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةٌ مِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكِتَابِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ؛ فَيَذْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَيَذْخُلُهَا».

فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. رواه عبد الرزاق، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم^(١).

وقوله: (فَهَذَا التَّقْدِيرُ) أي: الذي سبق بيانه بنوعيه العام والخاص (قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا) أي: المبالغون في نفي القدر، فينكرون علم الله بالأشياء قبل وجودها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ وغيره، ويقولون: إن الله أمر ونهى وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، فالأمر أنْفٌ - أي: مستأنف - لم يسبق في علم الله وتقديره! وهؤلاء كفَّره الأئمة، لكنهم انقضوا؛ ولهذا قال الشيخ: (وَمُنْكَرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ) وبقيت الفرقة التي تقر بالعلم، ولكن تنفي دخول أفعال العباد في القدر، وتزعم أنها مخلوقة لهم استقلالاً، لم يخلقها الله ولم يُردِّها، كما يأتي بيانه.



(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/٢٦٧)، والطبري في تفسيره (٢٧/١٣٥)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/٤٩٢)، والطبراني في الكبير (١٢/٧٢)، والحاكم في المستدرک (٢/٥١٦) وصحَّحه، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/٧٤٢)، وأبو نُعَيْم في الحلية (١/٣٢٥).

(ب) الدرجة الثانية وما تتضمنه

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، مَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

الشرح

هذا بيان للمرتبة الثالثة والمرتبة الرابعة من مراتب القدر.

أشار إلى الثالثة بقوله: (فَهِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ) والنافذة: هي الماضية التي لا رادَّ لها. والشاملة: هي العامة لكل شيء؛ من الموجودات والمعدومات.

وقوله: (وَهُوَ: الْإِيمَانُ) أي: ومعنى الإيمان بهذه المرتبة اعتقاد: (بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ) أي: وجد، (وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ) أي: لم يوجد، (وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ) أي: لا يحصل شيء من ذلك إلا وقد شاءه الله سبحانه، (لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ) وقوعه كونًا وقدرًا، (وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ

وَالْمَعْدُومَاتِ)؛ لدخولها تحت عموم (كُلُّ شَيْءٍ)، فالله قد أخبر في آيات كثيرة أنه على كل شيء قدير.

وقوله: (مَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ) هذا فيه إشارة إلى المرتبة الرابعة، وهي مرتبة الخلق والإيجاد؛ فكل ما سوى الله فهو مخلوق، وكل الأفعال خيرها وشرها صادرة عن خلقه وإحداثه لها؛ (لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ).

ولما فرغ الشيخ من ذكر مراتب القدر، نبّه على مسائل تتعلق بهذا الموضوع:

المسألة الأولى: أنه لا تعارض بين القدر والشرع.

المسألة الثانية: لا تعارض بين تقدير الله وقوع المعاصي وبُغضه لها.

المسألة الثالثة: لا تعارض بين تقدير الله لأفعال العباد وكونهم

يفعلونها باختيارهم.



٢، ١- لا تعارض بين القدر والشرع،

ولا بين تقديره للمعاصي وبغضه لها

وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفُسَادَ.

الشَّرْحُ

لما قرر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ القدر بمراتبه الأربع: العلم، والكتابة، والمشية والإرادة، والخلق والإيجاد، وأنه ما من شيء يحدث إلا وقد علمه الله، وكتبه، وشاء وأراد، وأوجده؛ يَبَيِّنُ هنا أنه لا تعارض بين ذلك وبين كونه أمر العباد بطاعته، ونهاهم عن معصيته، ولا بين تقديره وقوع المعصية وبُغْضِها.

فقوله: (وَمَعَ ذَلِكَ) أي: مع كونه سبحانه هو الذي علم الأشياء وقدرها، وكتبها، وأرادها، وأوجدها (فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ) كما دلت على ذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، أمر فيها بالطاعة، ونهى عن المعصية، ولا تعارض في ذلك بين شرعه وقدره كما يظنه بعض الضَّالِّين الذين يعارضون بين الشرع والقدر.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في هذا الموضوع في رسالته التدمرية: (وَأَهْلُ الضَّالَالِ الْخَائِضُونَ فِي الْقَدَرِ انْقَسَمُوا إِلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ: مَجُوسِيَّةٍ، وَمُشْرِكِيَّةٍ، وَإِبِلِيسِيَّةٍ:

فَالْمَجُوسِيَّةُ: الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَدْرِ اللَّهِ، وَإِنْ آمَنُوا بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ؛ فَعَلَايَتُهُمْ أَنْكُرُوا الْعِلْمَ وَالْكِتَابَ، وَمُقْتَصِدُوهُمْ أَنْكُرُوا عُمُومَ مَشِيئَتِهِ وَخَلْقِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُعْتَرِلَةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ.

وَالْفِرْقَةُ الثَّانِيَّةُ: الْمَشْرِكِيَّةُ الَّذِينَ أَقَرُّوا بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَأَنْكُرُوا الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فَمَنْ اخْتَجَّ عَلَى تَعْطِيلِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ بِالْقَدَرِ، فَهُوَ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَهَذَا قَدْ كَثُرَ فِيمَنْ يَدْعِي الْحَقِيقَةَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ.

وَالْفِرْقَةُ الثَّالِثَةُ: وَهُمْ الْإِبْلِسِيَّةُ الَّذِينَ أَقَرُّوا بِالْأَمْرَيْنِ، لَكِنْ جَعَلُوا هَذَا مُتَنَاقِضًا مِنَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَطَعَنُوا فِي حِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، كَمَا يُذَكِّرُ ذَلِكَ عَنْ إِبْلِيسَ مُقَدِّمِهِمْ؛ كَمَا نَقَلَهُ أَهْلُ الْمَقَالَاتِ، وَنَقَلَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَذَا بِمَا تَقَوْلُهُ أَهْلُ الضَّلَالِ، وَأَمَّا أَهْلُ الْهُدَى وَالْفَلَاحِ فَيُؤْمِنُونَ بِهَذَا وَهَذَا، وَيُؤْمِنُونَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبُّهُ، وَمَلِكُهُ، وَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ). اهـ^(١).

وقوله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ) أي: يحب من اتَّصَفَ بالصفات الحميدة؛ كالتقوى والإحسان والقسط.

وقوله: (وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) كما أخبر بذلك في آيات كثيرة؛ لما اتصفوا به من الإيثار والعمل الصالح.

(١) انظر: الرسالة التدمرية، ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١١١).

وقوله: (وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) أي: لا يرضى عن اتصف بالصفات التي يبغضها؛ كالكفر، والفسوق، وسائر الصفات الذميمة.

وقوله: (وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ) وهي ما تنهى قُبْحُهُ من الأقوال والأفعال.

وقوله: (وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ)؛ لقبحهما، ولما فيهما من المضرة على العباد والبلاد.

ويريد الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بهذا الكلام: الرَّدَّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِرَادَةَ وَالْمَحَبَّةَ بَيْنَهُمَا تَلَازِمٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ شَيْئًا فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَإِذَا شَاءَ شَيْئًا فَقَدْ أَحَبَّهُ! وهذا قول باطل، والقول الحق أنه لا تَلَازِمٌ بَيْنَ الْإِرَادَةِ وَالْمَحَبَّةِ، أَوْ بَيْنَ الْمَشِيئَةِ وَالْمَحَبَّةِ، أَعْنِي: الْإِرَادَةُ وَالْمَشِيئَةُ الْكُونِيَّةُ؛ فَقَدْ يَشَاءُ اللهُ مَا لَا يُحِبُّهُ، وَقَدْ يُحِبُّ مَا لَا يَشَاءُ وَجُودَهُ.

مثال الأول: مشيئة وجود إبليس وجنوده، ومشيئته العامة لما في الكون، مع بغضه لبعضه.

ومثال الثاني: محبته لإيمان الكفار، وطاعات الكفار، ولم يشأ وجود ذلك منهم، ولو شاء لوجد.



٣- لا تنافي بين إثبات القدر واسناد أفعال العباد إليهم حقيقة وأنهم يفعلونها باختيارهم

وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللَّهُ خَلَقَ أَفْعَالَهُمْ.

وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ.
وِلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللَّهُ خَالِقُهُمْ وَقَدَرْتَهُمْ وَإِرَادَتَهُمْ؛
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴿[سورة التكويد: ٢٨-٢٩].

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ»^(١)، وَيَعْلَوْنَ فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ،
حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ حِكْمَهَا
وَمَصَالِحَهَا.

(١) ورد هذا الحديث بألفاظ متقاربة عن جمع من الصحابة؛ منهم: ابنُ عمر، وحذيفة،
وجابر، وأنس، وأبو هريرة، وابن عباس، وسهل بن سعد، وعائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم. أخرجه
أبو داود (٤٦٩١، ٤٦٩٢)، وابن ماجه (٩٢)، وأحمد في المسند (٤١٥/٩، ٢٥٢/١٠)،
والبزار في مسنده (٣٣٨/٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١٤٩/١)، وابن المستفاض
في القدر (ص ١٧٣ - ١٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥/٣)، والصغير (٣٦٨/١)،
٧١/٢)، والحاكم في المستدرک (١٥٩/١)، والبيهقي في الكبرى (٣٤٢/١٠) عَنْ
ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنْ مَرَضُوا فَلَا
تَعُودُوا لَهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوا لَهُمْ».

الشَّرح

أراد الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ بهذا الكلام أن يبين أنه لا تنافي بين إثبات القدر بجميع مراتبه السابقة وَكَوْنِ العباد يفعلون باختيارهم، ويعملون بإرادتهم. وقصده بهذا: الرَّدُّ على مَنْ زعم أن إثبات ذلك يلزم منه التناقض، ومن ثم ذهب طائفة منهم إلى الغلو في إثبات القدر حتى سلبوا العبد قدرته واختياره!

وذهبت الطائفة الثانية إلى الغلو في إثبات أفعال العباد واختيارهم، حتى جعلوهم هم الخالقين لها، ولا تعلق لها بمشيئة الله، ولا تدخل تحت قدرته! ويقال للطائفة الأولى: الجبرية؛ لأنهم يقولون: إن العبد مجبرٌ على ما يصدر منه، لا اختيار له فيه!

ويقال للطائفة الثانية: القدرية النفاة؛ لأنهم ينفون القدر!

فقول الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً) رَدُّ على الطائفة الأولى، وهم الجبرية؛ لأنهم يقولون: إن العباد ليسوا فاعلين حقيقة، وإسناد الأفعال إليهم من باب المجاز!

وقوله: (وَاللَّهُ خَلَقَ أَعْمَالَهُمْ) رَدُّ على الطائفة الثانية: القدرية النفاة؛ لأنهم يقولون: إن الله لم يخلق أفعال العباد، وإنما هم خلقوها استقلالاً دون مشيئة الله وتقديره لها!

وقوله: (وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ. وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ) رَدُّ على الجبرية، أي: ليس العباد بمجبرين

على تلك الأعمال؛ لأنه لو كان كذلك لما صح وصفهم بها؛ لأن فعل المجبر لا يُنسبُ إليه، ولا يوصفُ به، ولا يستحق عليه الثواب أو العقاب.

وقوله: (وَاللَّهُ خَالِقُهُمْ وَقَدَرْتَهُمْ وَإِرَادَتُهُمْ) ردُّ على القدرية النفاة؛ حيث زعموا أن العباد يخلقون أفعالهم بدون إرادة الله ومشيئته كما سبق.

ثم استدل الشيخ في الرد على الطائفتين بقوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۖ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

فقوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ فيه الرد على الجبرية؛ لأنه أثبت للعباد مشيئته، وهم يقولون: لا مشيئة لهم!

وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فيه الرد على القدرية القائلين بأن مشيئة العبد مستقلة بإيجاد الفعل من غير توقف على مشيئة الله! وهذا باطل؛ لأن الله علّق مشيئة العباد على مشيئته سبحانه، وربطها بها.

قوله: (وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ) وهي عموم مشيئته وإرادته لكل شيء، وعموم خلقه لكل شيء، وأن العباد فاعلون حقيقة، والله خالقهم وخالق أفعالهم.

وقوله: (يُكذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ) النفاة؛ حيث يزعمون أن العبد يخلق فعل نفسه، بدون مشيئة الله وإرادته!

وقوله: (الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ)؛ لمشابهتهم المجوس، الذين يثبتون خالقين؛ هما: النور، والظلمة؛ فيقولون: إن الخير من

فعل النور، والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثنوية! وكذلك هؤلاء القدرية جعلوا خالقاً مع الله؛ حيث زعموا أن العباد يخلقون أفعالهم بدون إرادة الله ومشيئته، بل يستقلون بخلقها!

ولم يثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سباهم مجوس هذه الأمة؛ لتأخر ظهورهم عن وقت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأكثر ما يجيء من ذمهم إنما هو موقوف على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقوله: (وَيَغْلُوا فِيهَا) أي: هذه الدرجة من القدر. والغلو هو: الزيادة في الشيء عن الحد المطلوب^(١).

وقوله: (قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ): فاعل يغلو، والمراد بهم: الجبرية، الذين قالوا: إن العبد مجبرٌ على فعله!

وقوله: (حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ)، فالأولون غَلَوْا في إثبات أفعال العباد حتى أخرجوها عن مشيئة الله، وهؤلاء غلوا في نفي أفعال العباد حتى سلبوهم القدرة والاختيار!

وقوله: (وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ حِكْمَهَا وَمَصَالِحَهَا) جمع حكمة ومصلحة، أي: أن الجبرية في مذهبهم هذا حينما نفوا أفعال العباد وسلبوهم القدرة والاختيار؛ نفوا حكمة الله في أمره ونهيه، وثوابه وعقابه، فقالوا: إنه يثيب أو يعاقب العباد على ما ليس من فعلهم، ويأمرهم بما لا يقدرُونَ عليه! فاتهموا الله بالظلم والعبث! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(١) انظر: العين (٤/٤٣٥)، وتهذيب اللغة (٨/١٥٣)، ولسان العرب (٨/١٥)، وتفسير الطبري (٢٣/٢١٩).

حقيقة الإيمان، وحكم مرتكب الكبيرة

فصل

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ.
وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ؛ بَلِ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْعَا بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٨]، وَقَالَ: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَفُتِنَلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ① إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ٩-١٠].

وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا يُحْلَدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزَلَةُ.

بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ الآية [سورة النساء: ٩٢]، وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [سورة الأنفال: ٢]، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(١). وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِضُ الْإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسْتَقْبَحَ بِكَبِيرَتِهِ؛ فَلَا يُعْطَى الْإِسْمَ الْمَطْلُوقَ، وَلَا يُسَلَبُ مَطْلُوقُ الْإِسْمِ.

الشرح

قوله: (وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ) أي: القواعد التي بُنيت عليها عقيدتهم.

(أَنَّ الدِّينَ) هو لغة: الذل والانقياد. وشرعاً: هو ما أمر الله به.

(وَالْإِيمَانُ) لغة: التصديق^(٢).

وشرعاً: هو ما ذكره الشيخ بقوله: (قَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ) هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة: أنه قول وعمل^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (١٠٠) (٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: لسان العرب (٢١/١٣)، ومقاييس اللغة (١٣٣/١)، ومختار الصحاح (ص ١١)، والنهاية في غريب الحديث (٦٩/١). وانظر مبحثاً في معنى الإيمان في اللغة في: كتاب الإيمان الأوسط (ص ٧٧) لشيخ الإسلام ابن تيمية، والإيمان الكبير (ص ٢٧٥ وما بعدها).

(٣) انظر: لمعة الاعتقاد (ص ٢٣)، ومجموع الفتاوى (٥٠٥/٧)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٨٤).

فالقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد^(١)، وقول اللسان هو التكلُّم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نية وإخلاص، وعمل الجوارح أي: الأعضاء؛ كالصلاة والحج والجهاد^(٢).

والفرق بين أقوال القلب وأعماله: أن أقواله هي العقائد التي يعتبر فيها ويعتقدها، وأما أعمال القلب فهي حركته التي يحبها الله ورسوله، وهي محبة الخير وإرادته الجازمة، وكراهية الشر، والعزم على تركه.

وأعمال القلب تنشأ عنها أعمال الجوارح وأقوال اللسان، ومن ثم صارت أقوال اللسان وأعمال الجوارح من الإيمان.

أقوال الناس في تعريف الإيمان،

١- عند أهل السنة والجماعة: أنه اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالأركان.

٢- عند المرجئة: أنه اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان فقط.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٢/ ٤٠ و ١٨٦/ ٧، ٦٧٢): (وأصل الإيمان قول القلب الذي هو التصديق)، وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي مَدَارِجِ السَّالِكِينَ (١/ ١٠٠): (حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد...). وانظر: الصلاة وحكم تاركها (ص ٧٠)، والدرر السنية (١/ ٤٧٩).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٧/ ١٧٠، ١٢/ ٤٧٢): (ويدخل في القول: قول القلب واللسان، وفي العمل: عمل القلب والجوارح). وانظر: عدة الصابرين (ص ٨٨).

٣- عند الكرامية^(١): أنه نطق باللسان فقط.

٤- عند الجبرية: أنه الاعتراف بالقلب، أو مجرد المعرفة في القلب.

٥- عند المعتزلة: أنه اعتقاد القلب، ونطق اللسان، وعمل الجوارح.

والفرق بينهم -أي: المعتزلة- وبين أهل السنة: أن مرتكب الكبيرة يُسلب اسم الإيمان بالكلية ويخلد في النار عندهم، وعند أهل السنة لا يُسلب الإيمان بالكلية، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، ولا يخلد في النار إذا دخلها. وكل هذه أقوال باطلة، والحق ما قاله أهل السنة والجماعة؛ لأدلة كثيرة.

وقوله: (وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ) أي: ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان يتفاضل بالزيادة والنقصان؛ فتزيده الطاعة، وينقص بالمعصية، ويدل على ذلك أدلة كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وغير ذلك من الأدلة.

وقوله: (وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ) أي: وأهل السنة والجماعة مع أنهم يرون أن الأعمال

(١) هو محمد بن كرام، بفتح الكاف وتشديد الراء، وهو الذي تُنسب إليه الفرقة الكرامية، وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول ﷺ وأصحابه، وكان يقول: الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد، مجرد عن عقد قلب وعمل جوارح. تُوفي سنة ٢٥٥ هـ. انظر: المنتظم (٩٧/١٢)، وتاريخ دمشق (١٢٧/٥٥)، والسيرة للذهبي (٥٢٣/١١)، والبداية والنهاية (٢٠/١١)، والأنس للجليل (٢٩٦/١)، وشذرات الذهب (١٣١/٢).

داخلة في مسمى الإيمان، وأنه يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية؛ هم مع ذلك لا يحكمون بالكفر على من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة بمطلق ارتكابه المعاصي التي هي دون الشرك والكفر.

(كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ)؛ حيث قالوا: مَنْ فعل كبيرة فهو في الدنيا كافر، وفي الآخرة مخلدٌ في النار لا يخرج منها!

فأهل السنة يرون (الأخوةَ الإيمانيَّةَ ثابِتَةً مَعَ الْمَعَاصِي)، فالعاصي أخٌ لنا في الإيمان. واستدل الشيخ على ذلك بقوله تعالى في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأْتِبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ﴾، المعنى: أن الجاني إذا عفا عنه المجني عليه أو وليُّه عن القصاص، ورضي بأخذ المال في الدية، فعلى مستحق المال أن يطلبه بالمعروف من غير عنف، وعلى مَنْ عليه المال أن يؤديه إليه من غير ممانعة.

وجه الاستدلال من الآية: أنه سُمي القاتل أَخًا للمقتول، مع أن القتل كبيرة من كبائر الذنوب، ومع هذا لم تَزَلْ معه الأخوة الإيمانية.

واستدل الشيخ أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ الآيتين.

وجه الاستدلال من الآيتين الكريمتين: أنه ساهم مؤمنين مع وجود الاقتتال والبغي بينهم، وساهم إخوة للمؤمنين بقوله: ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

ومعنى الآية إجمالاً: أنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين فعلى المسلمين أن يسعوا في الصلح بينهم، ويدعوهم إلى حكم الله، فإن حصل بعد ذلك

التعدي من إحدى الطائفتين على الأخرى ولم تقبل الصلح، كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت تلك الطائفة عن بغيتها وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليها للأخرى.

ثم أمر الله سبحانه المسلمين أن يعدلوا في كل أمورهم بعد أمرهم بهذا العدل الخاص بالطائفتين المقتلتين، فقال: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي: اعدلوا؛ إن الله يحب العادلين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالإصلاح، والمعنى: إنهم يرجعون إلى أمر واحد، هو الإيمان؛ فهم إخوة في الدين.

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ يعني: كل مسلمين تخصما وتقاتلا. وتخصيص الاثنين بالذكر؛ لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوقهما بطريق الأولى.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في كل أموركم؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ بسبب التقوى.

وقوله: (وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمَلِيَّ اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكَلِّيَّةِ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزَلَةُ) أي: ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم (لَا يَسْلُبُونَ) أي: لا ينفون عن (الْفَاسِقِ) الفسق: هو الخروج عن

طاعة الله^(١)، والمراد بالفاسق هنا: الذي يرتكب بعض الكبائر؛ كشرب الخمر، والزنا، والسرقه، مع اعتقاد حرمة ذلك.

(المِلِّيُّ) أي: الذي على ملة الإسلام، ولم يرتكب من الذنوب ما يوجب كفره. فأهل السنة والجماعة لا يسلبونه الإسلام بالكلية فيحكمون عليه بالكفر كما تقول الخوارج في الدنيا!

وقوله: (وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ) أي: يحكمون عليه بالخلود في النار في الآخرة وعدم خروجه منها إذا دخلها (كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ) والخوارج؛ فالمعتزلة يرون أن الفاسق لا يُسَمَّى مسلماً ولا كافراً، بل هو عندهم بالمنزلة بين المنزلتين، هذا حكمه عندهم في الدنيا، وأما حكمه عندهم في الآخرة فهو مَخْلَدٌ في النار!

والأدلة على بطلان هذا المذهب كثيرة، وقد مر بعضها، وسيأتي ذكر بقيتها.

ثم بيّن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ الحُكْمَ الصحيح الذي ينطبق على الفاسق المِلِّيِّ مؤيداً بأدلتها من الكتاب والسنة، فقال: (بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ) أي: مطلق الإيمان الذي يدخل فيه الإيمان الكامل والإيمان الناقص، كما في قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾، فإن من أعتق رقبة مؤمنة وإن كان المعتق فاسقاً فيما يُشترط فيه إيمان الرقبة المعتقة - ككفارة الظهر، والقتل -؛

(١) انظر مادة (فسق) في: العين (٥/٨٢)، وتهذيب اللغة (٨/٣١٥)، والصحاح (٤/١٥٤٣)، ومقاييس اللغة (٤/٥٠٢)، ولسان العرب (١٠/٣٠٨).

أجزأه ذلك العتق باتفاق العلماء؛ لأن ذلك يدخل في عموم الآية، وإن لم يكن المعتق من أهل الإيمان الكامل.

وقوله: (وَقَدْ لَا يَدْخُلُ) أي: الفاسق المِلِّيَّ (فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمَطْلُوقِ) أي: إذا أُريدَ بالإيمان الكامل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية؛ لأن المراد بالإيمان المذكور في الآية الكريمة الإيمان الكامل، فلا يدخل فيه الفاسق؛ لأن إيمانه ناقص. ولنرجع إلى تفسير الآية الكريمة:

﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر؛ تثبت الحكم للمذكور، وتنفيه عما سواه ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: الإيمان الكامل ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ أي: ذكرت عظمته وقدرته، وما خوف به من عصاه ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: خافت. ﴿وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ أَيْتُهُ﴾ أي: قرئت آياته المنزلة، أو ذكرت آياته الكونية ﴿زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا﴾ أي: زاد إيمانهم بسبب ذلك ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يفوضون جميع أمورهم إليه، لا إلى غيره.

ثم ذكر الشيخ دليلاً من السنة على أن الفاسق المِلِّيَّ لا يدخل في اسم الإيمان الكامل، وهو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» أي: كامل الإيمان، فالمنفي هنا عن الزاني والسارق والشارب هو كمال الإيمان، لا جميع الإيمان؛ بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر.

فقد دل الحديث على أن هؤلاء حين فعلهم المعصية قد انتفى الإيمان الكامل عنهم، وقد دلت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة على أنهم غير مرتدين بذلك؛ فعلم أن الإيمان المنفي في هذا الحديث إنما هو كمال الإيمان الواجب.

وقوله: ((وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً)) النُّهْبَةُ بضم النون: هي الشيء المنهوب، والنهب: أخذ المال بالغلبة والقهر^(١).

(ذَاتَ شَرَفٍ) أي: قدر. وقيل: ذات استشراف؛ يستشرف الناس إليها، ناظرين إليها، رافعين أبصارهم.

ثم إن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ذكر النتيجة للبحث السابق، واستخلص الحكم بقوله في حق الفاسق المَلِيٍّ: (وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ)، وهذا هو الحكم العادل؛ جمعا بين النصوص التي نفت الإيمان عنه؛ كحديث: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»، والنصوص التي أثبتت الإيمان له، وآية القصاص، وآية حكم البغاة السابقتين.

وبناءً على ذلك (فَلَا يُعْطَى الْإِسْمَ الْمَطْلُوقَ) أي: اسم الإيمان الكامل. (وَلَا يُسَلَّبُ مُطْلَقَ الْإِسْمِ) أي: الإيمان الناقص فيحكم عليه بالخروج من الإيمان كما تقوله المعتزلة والخوارج! والله أعلم.

فالإيمان المطلق هو الإيمان الكامل، ومطلق الإيمان هو الإيمان الناقص.

(١) انظر: العين (٤/ ٥٩)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٧٣)، والصحاح (١/ ٢٢٩)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣٦٠).

الواجب نحو أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وذكر فضائلهم

فصل

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَالسِّتَةُ لِأَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا
مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ
وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحشر: ١٠]،
وَطَاعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،
لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفُهُ»^(١).

الشرح

أي: من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة (سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ) من الغِلِّ
والحقد والبغض.

وسلامة (السِّتَةُ) من الطعن واللعن والسب (لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ لفضلهم وسبقهم، واختصاصهم بصحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
ولما لهم من الفضل على جميع الأمة؛ لأنهم الذين تحملوا الشريعة عنه

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
وأخرجه مسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبلغوها لمن بعدهم، ولجهادهم مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومناصرتهم له.

وغرض الشيخ من عقد هذا الفصل: الردُّ على الرافضة والخوارج الذين يسبون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ويبغضونهم، ويحجدون فضائلهم، وبيان براءة أهل السنة والجماعة من هذا المذهب الخبيث، وأنهم مع صحابة نبيهم كما وصفهم الله في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: بعد المهاجرين والأنصار، وهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة من عموم المسلمين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ المراد بالأخوة هنا: أخوة الدين؛ فهم يستغفرون لأنفسهم ولمن تقدمهم من المهاجرين والأنصار ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ أي: غشًا وبُغضًا وحسدًا ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: لأهل الإيمان، ويدخل في ذلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ دخولًا أوليًا؛ لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم.

قال الإمام الشوكاني: (فَمَنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ لِلصَّحَابَةِ عَلَى الْعُمُومِ، وَيَطْلُبُ رِضْوَانَ اللَّهِ لَهُمْ؛ فَقَدْ خَالَفَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنْ وَجَدَ فِي قَلْبِهِ غِلًّا لَهُمْ فَقَدْ أَصَابَهُ نَزْعٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَحَلَّ بِهِ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ عِصْيَانِ اللَّهِ بِعَدَاوَةِ أَوْلِيَائِهِ، وَخَيْرُ أُمَّةٍ نَبِيَّهْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَانْفَتَحَ لَهُ بَابٌ مِنَ الْخِذْلَانِ يَفِدُهُ بِهِ عَلَى نَارِ جَهَنَّمَ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكَ نَفْسَهُ بِاللُّجُوءِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَالِاسْتِغَاثَةِ بِهِ بِأَنْ يَنْزِعَ عَنْ قَلْبِهِ مَا طَرَقَهُ مِنَ الْغِلِّ لِحَيْرِ الْقُرُونِ، وَأَشْرَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَإِنْ جَاوَزَ مَا يَحِدُّهُ مِنَ الْغِلِّ إِلَى شَتَمِ أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَقَدْ انْقَادَ لِلشَّيْطَانِ بِزِمَامٍ، وَوَقَعَ فِي غَضَبِ اللَّهِ وَسُخْطِهِ، وَهَذَا الدَّاءُ الْعُضَالُ إِنَّمَا يُصَابُ بِهِ مَنْ ابْتُلِيَ بِمُعَلِّمٍ مِنَ الرَّافِضَةِ، أَوْ

صَاحِبٍ مِنْ أَعْدَاءِ خَيْرِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ تَلَاعَبَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْأَكَاذِيبَ الْمُخْتَلِفَةَ، وَالْأَقَاصِيصَ الْمُفْتَرَاةَ، وَالْخُرَافَاتِ الْمَوْضُوعَةَ، وَصَرَفَهُمْ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ). اهـ^(١).

والشاهد من الآية الكريمة: أن فيها فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لسبقهم بالإيمان، وفضل أهل السنة الذين يَتَوَلَّوْنَهُمْ، وذم الذين يعادونهم. وفيها: مشروعية الاستغفار للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والترضي عنهم. وفيها: سلامة قلوب أهل السنة وألسنتهم لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ففي قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ سلامة الألسنة.

وفي قولهم: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ سلامة القلوب. وفي الآية: تحريم سبهم وبغضهم، وأنه ليس من فعل المسلمين، وأن من فعل ذلك لا يستحق من الفيء شيئاً.

وقوله: (وَطَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ) أي: أن أهل السنة يطيعون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والكف عن سبهم وتنقصهم؛ حيث نهاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك بقوله: ((لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي)) أي: لا تنتقصوا ولا تشتموا «أَصْحَابِي» جمع صاحب، ويقال لمن

صاحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صحابي، وهو من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به، ومات على ذلك^(١).

«فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ» هذا قَسَمٌ من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يريد به تأكيد ما بعده.

«لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا» جملة الشرط. وأُحُدٌ: جبل معروف في المدينة، سُمِّيَ بذلك؛ لتوحده عن الجبال. و«ذَهَبًا»: منصوب على التمييز.

«مَا بَلَغَ مُدُّ أَحَدِهِمْ» المد مكيال، وهو ربع الصاع النبوي «وَلَا نَصِيفُهُ» لغة في النصف، كما يقال: ثمين بمعنى الثمن.

والمعنى: أن الإنفاق الكثير في سبيل الله من غير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لا يعادل الإنفاق القليل من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وذلك أن الإيمان الذي كان في قلوبهم حين الإنفاق في أول الإسلام، وقلة أهله، وكثرة الصوارف عنه، وضعف الدواعي إليه لا يمكن أن يحصل لأحد مثله ممن بعدهم.

والشاهد من الحديث: أن فيه تحريم سب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبيان فضلهم على غيرهم.

وأن العمل يتفاضل بحسب نية صاحبه، وبحسب الوقت الذي أدي فيه. والله أعلم.

وفي الحديث: أن من أحب الصحابة رضي الله عنهم وأثنى عليهم فقد أطاع الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن سبهم وأبغضهم فقد عصى الرسول صلى الله عليه وسلم.



فضل الصحابة، وموقف أهل السنة والجماعة منه،

وبيان تفاضلهم

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.
وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صَلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ - وَقَاتَلَ، عَلَى
مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ.

وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ
- وَكَانُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ - : «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»^(١).
وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢)، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ
وَأَرْبَعِ مِائَةٍ^(٣).

وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَالْعَشْرَةِ^(٤)،

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (١٦١) (٢٤٩٤) من حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٦٣) (٢٤٩٦) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: «أَخْبَرَنِي أُمُّ مُبَشَّرٍ،
أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مِنْ أَصْحَابِ
الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا. قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ:
﴿وَلِنْ مَنكُم إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ
نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّتًا﴾ [مريم: ٧٢].

(٣) أخرجه مسلم (٦٧) (١٨٥٦) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ أَلْفًا وَأَرْبَعِ مِائَةٍ،
فَبَايَعْنَاهُ وَعُمَرُ أَخَذَ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ سَمُرَةٌ، وَقَالَ: بَايَعْنَاهُ عَلَى الْأَنْفَرِ، وَلَمْ نُبَايِعْهُ
عَلَى الْمَوْتِ».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٧)، والنسائي في الكبرى (٨١٣٨)، =

وَنَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ^(١)، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.
وَيَقْرُونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النُّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
وغيره: مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ^(٢).
وَيُثَلَّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَثَارُ، وَكَمَا
أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ^(٣).

= وابن ماجه (١٣٣)، وأحمد (٢٠٩/٣)، ولفظه عند الترمذي: عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ».

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١٨٧) (١١٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افْتَقَدَ نَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ. فَأَتَاهُ، فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، مُنَكَّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ! فَأَتَى الرَّجُلُ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذًا وَكَذَا، فَقَالَ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ: فَرَجَعَ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بَبْشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

(٢) ثبت ذلك من حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه أحمد في المسند (٢٠١/٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٠١)، وروى أبو داود طرفاً منه (٤٦٢٩) عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: «قَالَ عَلِيٌّ: خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ: عُمَرُ، وَلَوْ شِئْتُ أَخْبَرْتُكُمْ بِالثَّالِثِ لَفَعَلْتُ».

وأخرج البخاري (٣٦٧١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَقِيقَةِ، قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

(٣) أخرج البخاري قصة البيعة بكاملها، واتفق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على تقديم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحديث الذي رواه في صحيحه عن عمرو بن ميمون (٣٧٠٠).

مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَنُوا، أَوْ رُبُّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا، لَكِنْ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ.

الشَّرْحُ

بَيَّنَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ مِنْ كَلَامِهِ تَفَاضُلَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ فِيمَا سَبَقَ فَضْلَهُمْ عَمُومًا، وَمَوْقِفَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ ذَلِكَ. فَقَوْلُهُ: (وَيَقْبَلُونَ) أَيُّ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ (مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ) أَيُّ: إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ (مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ)، وَكَفَى بِهِذِهِ الْمَوَادِّ الثَّلَاثَةُ شَاهِدًا عَلَى فَضْلِهِمْ.

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْفَضْلِ؛ بَلْ بِحَسَبِ سَبْقِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ وَالْهَجْرَةِ، وَبِحَسَبِ مَا قَامُوا بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ تَجَاهَ نَبِيِّهِمْ وَدِينِهِمْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَفْضَلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صَلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ - وَقَاتَلَ، عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ)؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَمَاهُ فَتَحًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وَذَلِكَ هُوَ الْمَشْهُورُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفَتْحِ صَلْحَ الْحُدَيْبِيَّةِ؛ لِأَنَّ سُورَةَ الْفَتْحِ نَزَلَتْ عَقِبَهُ.

وَالْحُدَيْبِيَّةُ: بئر قرب مكة، وقعت عنده البيعة تحت شجرة كانت هناك، حينما صد المشركون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنْ

دخول مكة، فبايعوه على الموت، وُسِّمَتِ هذه البيعةُ فتحًا؛ لما حصل بسببها من الخير والنصر للمسلمين^(١).

والدليل على تفضيل هؤلاء قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا﴾ [الحديد: ١].

وهؤلاء هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال: (وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ) المهاجرون جمع مهاجر، والمراد بهم: الذين هاجروا من مكة إلى المدينة. والهجرة لغة: الترك، وشرعًا: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام^(٢).

والأنصار: أي الذين ناصروا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم الأوس والخزرج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، سَمَّاهُمُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الاسم.

(١) انظر قصة صلح الحديبية في: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٨-٣٢٣)، والروض الأنف (٧/ ٧٦)، وتاريخ الطبري (٣/ ٧١)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٣١٢-٣٣٧). وانظر: بيعة الشجرة في: البخاري (٤١٦٩)، ومسلم (١٨٦٠). وانظر: دلائل النبوة للبيهقي (٤/ ١٣٥)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٣١٥)، والروض الأنف (٧/ ٨٢)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٣١٩).

(٢) انظر الهجرة في اللغة في: النهاية في غريب الأثر (٥/ ٢٤٣)، ولسان العرب (٥/ ٢٥٠)، ومختار الصحاح (ص ٢٨٨).

وانظر الهجرة في الشرع في: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٥٩٢)، والكافي (١/ ١٨٧)، والمغني (٩/ ٢٣٦)، ومجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٤)، وفتح الباري (١/ ١٦)، وفتح القدير (١/ ٢١٨).

والدليل على تفضيل المهاجرين على الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أن الله قدمهم في الذكر؛ كما قال تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٨-٩]؛ فدللت هذه الآيات الكريمة على فضل المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعلى تقديم المهاجرين على الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الفضل؛ لتقديمهم في الذكر، ولما قاموا به من ترك بلادهم وأموالهم وأولادهم؛ طلباً للأجر، ونصرة لله ولرسوله، وصدقهم في ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال: (وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثَ مِئَةٍ وَبِضْعَةِ عَشَرَ -: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»)، كما جاء في الصحيحين في قصة حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبدر: قرية مشهورة على نحو أربع مراحل من المدينة، حصلت عندها الواقعة التي أعز الله بها الإسلام، وسمي يوم بدر يوم الفرقان.

وقوله: (وَكَانُوا ثَلَاثَ مِئَةٍ وَبِضْعَةِ عَشَرَ) هكذا ورد عددهم في صحيح البخاري^(١).

(١) انظر أخبار غزوة بدر في: تاريخ الطبري (٢/ ٢٦٥)، وسيرة ابن هشام (١/ ٦٠٦)، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٤٦٩)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢٣)، والروض الأنف (٥/ ٥٩)، والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٣٨٠)، ونور اليقين (ص ٩٧).

وقوله: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَضَرْتُ لَكُمْ» قال ابن القيم في الفوائد: (أشكل على كثير من الناس معناه...) ثم ذكر الأقوال في ذلك، ثم قال: (فالذي نظن في ذلك -والله أعلم-: أن هذا خطاب لقوم قد علم الله سبحانه أنهم لا يفارقون دينهم، بل يموتون على الإسلام، وأنهم قد يقارفون ما يقارفه غيرهم من الذنوب، ولكن لا يتركهم سبحانه مُصِرِّينَ عليها، بل يوفِّقهم لتوبة نَصُوحٍ، واستغفار، وحسنات تمحو أثر ذلك، ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم؛ لأنه قد تحقق ذلك فيهم، وأنهم مغفور لهم، ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم، كما لا يقتضي أن يعطلوا الفرائض وثوقاً بالمغفرة، فلو كانت قد حصلت بدون الاستمرار على القيام بالأوامر لما احتاجوا بعد ذلك إلى صلاة ولا حج ولا زكاة ولا جهاد، وهذا مُحَالٌ). انتهى^(١).

قال: (لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ) هذا الكلام في شأن أهل بيعة الرضوان، وهي البيعة التي حصلت في الحُدَيْبِيَّةِ حين صد المشركون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن دخول مكة، كما سبق بيانه قريباً.

وقد ذكر لهم الشيخ مزيتين:

الأولى: أنه لا يدخل النار أحدٌ منهم. ودليل ذلك ما في صحيح مسلم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»^(٢).

(١) انظر: الفوائد (ص ١٦).

(٢) سبق تخريجه (ص ٢٥٠).

الثانية: أن الله قد رضي عنهم، وهذا صريح القرآن؛ كما في قوله تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وقوله: (وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ) هذا بناءً على الصحيح في

عددهم، والله أعلم.

وقوله: (وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَالْعَشْرَةِ،

وَنَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ) أي: يشهد أهل السنة والجماعة بالجنة لمن شهد له الرسول بذلك، أما من لم يشهد له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة فلا يشهدون له؛ لأن في هذا تقوُّلاً على الله، لكن يرجون للمحسنين، ويخافون على المسيئين. وهذا أصل من أصول العقيدة.

وقوله: (كَالْعَشْرَةِ) هم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن

ابن عوف، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة بن الجراح، وطلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وقد صحت الأحاديث بالشهادة لهؤلاء بالجنة.

وقوله: (وَنَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ) هو خطيب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وبشارته بالجنة ثابتة في صحيح البخاري عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقوله: (وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ) أي: غير من ذكر ممن أخبر النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم في الجنة؛ كعُكَّاشَةَ بْنِ مُحْصِنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)،

(١) أخرجه البخاري [٥، ٥٧، ٥٧٥٢ مطوَّلاً]، و (٣٤١٠، ٦٤٧٢، ٦٥٤١ مختصراً)،

ومسلم (٢٢٠)، وفيه: «... فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، فَقَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ».

وعبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)، وغيرهما.

قوله: (وَيُقَرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَغَيْرِهِ) أي: يعترف أهل السنة والجماعة ويعتقدون (بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ) أي: ما ثبت بطريق التواتر، والتواتر هو أقوى الأسانيد، (عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَغَيْرِهِ) من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلَّثُونَ بِعُثْمَانَ) أي: يجعلونه الثالث في الترتيب، (وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ) أي: يجعلونه الرابع (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ).

وفي هذه الرواية المتواترة عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَدُّ عَلَى الرافضة الذين يفضلون عليًّا على أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويقدمونه عليهما في الخلافة، فيطعنون في خلافة الشيخين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا!

وهذا البحث يتضمن مسألتين:

الأولى: مسألة الخلافة، الثانية: مسألة التفضيل.

فأما مسألة الخلافة: فقد أجمع أهل السنة والجماعة - بما فيهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - على أن الخليفة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وأما مسألة التفضيل: فقد أجمعوا على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر، ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كما تواتر به النقل عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (١٤٧) (٢٤٨٣) عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: «مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِحَيٍّ يَمْنِي: إِنَّهُ فِي الْجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَلَامٍ».

واختلفوا في عثمان وعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيهما أفضل؟ وقد ذكر الشيخ هنا في المسألة ثلاثة أقوال، حيث يقول: (فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا، لَكِنْ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ).

هذا حاصل الخلاف في المسألة: تقديم عثمان، تقديم عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، التوقف عن تقديم أحدهما على الآخر.

وأشار الشيخ إلى ترجيح الرأي الأول، وهو تقديم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛
لأمر:

الأمر الأول: أن هذا هو الذي دلت عليه الآثار الواردة في مناقب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأمر الثاني: إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على تقديم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البيعة، وما ذاك إلا أنه أفضل؛ فترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

الأمر الثالث: أنه استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كما سبق أنهم قدّموه في البيعة. قال عبد الرحمن بن عوف لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ النَّاسِ، فَلَمْ أَرَهُمْ يَعْدِلُونَ بِعُثْمَانَ»^(١).

قال أبو أيوب: «مَنْ لَمْ يُقَدِّمْ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ؛ فَقَدْ أَزْرَى بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٧٢٠٧) من حديث المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٢٤٩/١)، وأبو نعيم في الحلية (٢٧/٧)، والخلال =

فهذا دليل على أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل؛ لأنهم قَدَّموه باختيارهم بعد
تساورهم، وكان عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ جملة مَنْ بايعه، وكان يقيم الحدود بين
يديه.



= في السنة (٣٧٥ / ٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٠٦ / ٣٩)، وذكره الذهبي في
سير أعلام النبلاء (٢٥٤ / ٧) عن سفيان الثوري.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ فِي منهاج السنة النبوية (٥٣٣ / ١): (قال غير واحد من السلف
والأئمة؛ كأيوب السَّخْتِيَّانِي، وأحمد بن حنبل، والدارقطني، وغيرهم: مَنْ لَمْ يُقَدِّمْ عُثْمَانَ
عَلَى عَلِيٍّ فَقَدْ أَرَزَى بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ). اهـ. وانظر: السنة للخلال (٣٧٤ / ٢) -
(٣٧٨)، وشرح الطحاوية (ص ٥٤٨).

حكم تقديم علي رضي الله عنه على غيره من الخلفاء الأربعة في الخلافة

وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَكِنَّ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعَدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ!

الشَّرْحُ

أبدى الشيخ رحمه الله موازنة بين المسألتين: مسألة تقديم عليٍّ على عثمان رضي الله عنهما في الفضل، ومسألة تقديم عليٍّ رضي الله عنه على غيره في الخلافة؛ من حيث ما يترتب على ذلك التقديم من خطورة، فبيّن أن مسألة تفضيل عليٍّ على عثمان رضي الله عنهما لا يُضَلَّلُ - أي: لا يُحكم بضلال - من قال بها؛ نظرًا لوجود الخلاف فيها بين أهل السنة، وإن كان الراجح تفضيل عثمان رضي الله عنه.

قال رحمه الله: (لَكِنَّ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ) أي: يُحكم بضلال مَنْ خالف فيها فرأى تقديم عليٍّ رضي الله عنه في الخلافة على عثمان رضي الله عنه أو غيره من الخلفاء الذين سبقوه، أو قدّم عليًّا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الفضيلة.

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لفضله وسابقته، وتقديم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له على جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على بيعته.

ثم الخليفة من بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عُمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لفضله وسابقته، وعهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليه، واتفاق الأمة عليه بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم الخليفة بعد عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لتقديم أهل الشورى له، واتفاق الأمة عليه.

ثم بعد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الخليفة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لفضله، وإجماع أهل عصره عليه.

فهؤلاء هم الخلفاء الأربعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، المشار إليهم في حديث العرْباض ابن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي»^(١).

ولهذا قال الشيخ: (وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ) يعني: الأربعة المذكورين.

(فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارٍ أَهْلِهِ)؛ لمخالفته النص والإجماع من غير حجة ولا برهان، وذلك كالرافضة الذين يزعمون أن الخلافة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحاصل في مسألة تقديم عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على غيره من الخلفاء الثلاثة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

- ١ - مَنْ قَدَّمَهُ فِي الْخِلَافَةِ فَهُوَ ضَالٌّ بِالِاتِّفَاقِ.
- ٢ - مَنْ قَدَّمَهُ فِي الْفَضِيلَةِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَهُوَ ضَالٌّ أَيْضًا.
- ٣ - مَنْ قَدَّمَهُ عَلَى عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْفَضِيلَةِ فَلَا يُضَلَّلُ، وَإِنْ كَانَ هَذَا خِلَافَ الرَّاجِحِ.



مكانة أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عند أهل السنة والجماعة

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»^(١)، وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمَّهُ - وَقَدْ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنْ بَغَضَ قُرَيْشٌ يَحْفُو بَنِي هَاشِمٍ -، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ لِلَّهِ، وَلِقَرَابَتِي»^(٢)، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاضْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاضْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاضْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاضْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(٣).

الشرح

يَبْنِي الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا مَكَانَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَنَّهُمْ (يُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَأَهْلَ الْبَيْتِ هُمْ آلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ حَرَمَتْ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ، وَهُمْ: آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ الْعَبَّاسِ، وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ، وَأَزْوَاجُ النَّبِيِّ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٤٠٨) مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٧٥٨)، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكَبَرِيِّ (٥١ / ٥)، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (٢٠٧ / ١)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (٣٨٢ / ٦)، وَالْبَزَارُ فِي مُسْنَدِهِ (١٣١ / ٦)، وَالْمَرْوَزِيُّ فِي تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ (٤٥٣ / ١)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٦٧٢)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٣٧٥ / ٣).

مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ بْنِ رُبَيْعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٢٧٦) مِنْ حَدِيثِ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبناته من أهل بيته؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٣].

فأهل السنة يحبونهم ويحترمونهم ويكرمونهم؛ لأن ذلك من احترام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإكرامه، ولأن الله ورسوله قد أمرا بذلك؛ قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، وجاءت نصوص من السنة بذلك، منها ما ذكره الشيخ، وذلك إذا كانوا متبعين للسنة، مستقيمين على الملة كما كان عليه سلفهم؛ كالعباس وبنيه، وعلي وبنيه، أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين، فإنه لا تجوز محبته ولو كان من أهل البيت.

وقوله: (وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ) أي: يحبونهم، من الولاية بفتح الواو، وهي المحبة^(١).

وقوله: (وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ) أي: يعملون بها ويطبقونها. (حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ) الغدير هنا: هو مجمع السيل، (وخُمٍّ) قيل: اسم رجل نُسب الغدير إليه. وقيل: هو الغيضة، أي: الشجر الملتف، نُسب هذا الغدير إليها؛ لأنه واقع فيها.

وهذا الغدير كان في طريق المدينة، مر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عودته من حجة الوداع، وخطب فيه، فكان من خطبته ما ذكره الشيخ: ((أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي

(١) الولاية بالكسر: السلطان، والولاية بالفتح والكسر: النصر، والولي ضد العدو، يقال منه: تَوَلَّاهُ، وكل من ولي أمر واحد فهو وليه، والمولى: المعتق والمعتق. انظر: مختار الصحاح (ص ٣٠٦)، ولسان العرب (١٥/٤٠٦)، والمصباح المنير (٢/٦٧٢).

أَهْلِ بَيْتِي» أي: أذكركم ما أمر الله به في حق أهل بيتي؛ من احترامهم، وإكرامهم، والقيام بحقوقهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

(وَقَدْ اشْتَكَى إِلَيْهِ) أي: أخبره بما يكره.

(أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَحْفُو بَنِي هَاشِمٍ) الجفاء: ترك البر والصلة.

(فَقَالَ) أي: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ» هذا قَسَمٌ منه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا يُؤْمِنُونَ» أي: الإيمان الكامل الواجب «حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي» أي: لأمرين:

الأول: التقرب إلى الله بذلك؛ لأنهم من أوليائه.

الثاني: لكونهم قرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي ذلك إرضاء له،

وإكرام له.

(وَقَالَ) النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبيِّنًا فضل بني هاشم الذين هم قرابته: «إِنَّ

اللَّهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ» أي: اختار. والصفوة: الخيار «بَنِي إِسْمَاعِيلَ» بن

إبراهيم الخليل عَلَيْهِمَا السَّلَام.

«وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ» اسم قبيلة، أبوهم كنانة بن

خزيمة.

«وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا»، وهم أولاد مُضَر بن كنانة.

«وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ»، وهم بنو هاشم بن عبد مناف.

«وَأَصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»؛ فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيِّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مُضَر ابن نِزار بن مَعَدَّ بن عدنان.

والشاهد من الحديث: أن فيه دليلاً على فضل العرب، وأن قريشاً أفضل العرب، وأن بني هاشم أفضل قريش، وأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل بني هاشم؛ فهو أفضل الخلق نفساً، وأفضلهم نسباً. وفيه فضل بني هاشم الذين هم قرابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



مكانة أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عند أهل السنة والجماعة

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهِنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ، خُصُوصًا حَدِيثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُمُّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاصِدَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ.

وَالصَّدِيقَةُ بِنْتُ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»^(١).

الشرح

ذكر الشيخ رحمه الله تعالى في هذه الجملة عقيدة أهل السنة والجماعة في أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: (وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أي: يحبونهم ويوقرونها؛ لأنهن (أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ)؛ في الاحترام والتوقير، وتحريم نكاحهن على الأمة. أما بقية الأحكام فحكمهن حكم الأجنبية؛ من حيث تحريم الخلوة بهن، والنظر إليهن؛ قال تعالى: ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا

(١) أخرجه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴿[الأحزاب: ٥٣]؛ فهن أمهات المؤمنين في الاحترام والتحريم، لا في المحرمية.

وقد تُوفِّيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تسع؛ وهن: (عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وصفية، وميمونة، وأم حبيبة، وسودة، وجويرية).

وأما خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقد تزوجها قبل النبوة، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وتزوج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زينب بنت خزيمة الهلالية ولم تلبث إلا يسيراً ثم تُوفِّيَتْ.

هؤلاء جملة من دخل بهن من النساء، وهن إحدى عشرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

(وَيُؤْمِنُونَ) أي: أهل السنة والجماعة (بَأَنَّهِنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ) في هذا شرف لهن، وفضيلة جليلة (خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، فلها من المزايا والفضائل الشيء الكثير، وقد ذكر الشيخ منها:

١- أنها أُمُّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، فكل أولاده منها، ما عدا إبراهيم؛ فمن مارية القبطية.

٢- أنها أول مَنْ آمَنَ بِهِ مطلقاً، على قول، وهو الذي ذكر الشيخ هنا، أو هي أول من آمن به من النساء على القول الآخر.

٣- هي أول مَنْ عَاضَدَهُ، وَأَعَانَهُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ، وكانت نصرتها له في أعظم أوقات الحاجة.

٤- أنها كان لها منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنزلة العالية؛ فكان يحبها، ويذكرها كثيراً، ويشني عليها.

(وَالصَّدِيقَةُ بِنْتُ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) يعني: عائشة بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
والصَّدِيق: هو المبالغ في الصدق، وقد لُقِّبَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
بذلك.

ولعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فضائل كثيرة؛ منها:

أنها أحب أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه، وأنه لم يتزوج بكراً غيرها،
وأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ينزل عليه الوحي في لحافها، وأن الله برَّأها مما رماها
به أهل الإفك، وأنها أفقه نسائه، وكان أكابر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا أشكل
عليهم الأمر استفتوها، وأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوِّفِّي في بيتها، بين سحرها
ونحرها، ودُفِن في بيتها... إلى غير ذلك من فضائلها.

وقد ذكر الشيخ من فضائلها هنا: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فيها: «فَضْلُ
عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»، والثريد: هو أفضل
الأطعمة؛ لأنه: خبز ولحم، والخبز من البُر وهو أفضل الأقوات، واللحم
أفضل الإدام، فإذا كان اللحم سيد الإدام، والبُرُّ سيد القوت، ومجموعها
الثريد؛ كان الثريد أفضل الطعام.



تبرؤ أهل السنة والجماعة مما يقوله المبتدعة

في حق الصحابة، وأهل البيت

وَيَتَّبِعُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُنْغَضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ،
وَطَرِيقَةَ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْأَنَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي
مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُبِرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ
مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ
كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ
وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ -إِنْ صَدَرَ-، حَتَّى إِنْهُمْ يُغْفَرُ
لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو
السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ خَيْرُ
الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمَدَّةَ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلٍ أُحْدِ ذَهَبًا مِنْ
بَعْدَهُمْ^(١).

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى
بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتِلَى بِبِلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
وأخرجه مسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الْأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ:
إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَوْا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ؟!

ثُمَّ إِنَّ الْقَدَرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزَرَ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ
فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ،
وَالْهَجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنْ
الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ،
وَأَنَّهُمْ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ.

الشرح

يَبَيِّنُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا:

أولاً: موقف أهل السنة والجماعة من الصحابة وأهل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،
وَأَنَّهُ مَوْقِفُ الْإِعْتِدَالِ وَالْوَسْطِ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَالْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ،
يَتَوَلَّوْنَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا سِيَّمَا السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَيَتَوَلَّوْنَ أَهْلَ الْبَيْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَيَعْرِفُونَ قَدْرَ
الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَفَضْلَهُمْ وَمَنَاقِبَهُمْ، وَيَرْعُونَ حَقَّ أَهْلِ الْبَيْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ لَهُمْ.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرِّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ
وَيَسُبُّونَهُمْ) الَّذِينَ يَسُبُّونَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَيَطْعَنُونَ فِيهِمْ، وَيَغْلُونَ فِي حَقِّ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَهْلِ الْبَيْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَطَرِيقَةُ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ) الذين ينصبون العداوة لأهل البيت ويكفرونهم ويطعنون فيهم، وقد سبق بيان مذهب أهل السنة والجماعة في الصحابة وأهل البيت رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ولكن الغرض من ذكره هنا مقارنته بالمذاهب المنحرفة المخالفة له.

ثانياً: بيّن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ موقف أهل السنة والجماعة من الاختلاف الذي وقع بين الصحابة في وقت الفتنة، والحروب التي حصلت بينهم، وموقفهم مما يُنسب إلى الصحابة من مساوئ ومثالب اتخذها أعداء الله سبباً للوقعة فيهم، والنيل منهم، كما حصل من بعض المتأخرين والكتّاب العصريين الذين جعلوا أنفسهم حكماً بين أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصوّبوا وخطّوا بلا دليل، بل باتباع الهوى، وتقليد المغرضين الذين يحاولون الدس على المسلمين بتشكيكهم بتاريخهم المجيد، وسلفهم الصالح الذين هم خير القرون؛ لينفذوا من ذلك إلى الطعن في الإسلام، وتفريق كلمة المسلمين!

وما أحسن ما ذكره الشيخ هنا من تجلية الحق، وإيضاح الحقيقة؛ فقد ذكر أن موقف أهل السنة مما نُسب إلى الصحابة وما شجر بينهم -أي: تنازعوا فيه - يتلخص في أمرين:

الأمر الأول: أنهم (يُمَسِّكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ) أي: يَكُفُّونَ عن البحث فيه، ولا يخوضون فيه؛ لما في الخوض في ذلك من توليد الإحن والحقْد على أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك من أعظم الذنوب، فطريق السلامة هو السكوت عن ذلك، وعدم التحدث به.

الأمر الثاني: الاعتذار عن الآثار المروية في مساوئهم؛ لأن في ذلك دفاعاً عنهم، وردّاً لكيد أعدائهم.

وقد ذكر أن جملة الاعتذارات تتلخص فيما يلي:

١- (إِنَّ هَذِهِ الْأَثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ) قد افتراه أعداؤهم؛ ليشوهوا سمعتهم، كما تفعله الرافضة قبحهم الله. والكذب لا يُلْتَفَتُ إليه.

٢- هذه المساوي المروية (مِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ، وَنُقِصَ، وَغَيْرَ عَنْ وَجْهِهِ) ودخله الكذب، فهو محَرَّفٌ لا يُعْتَمَدُ عليه؛ لأن فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ معلوم، وعدالتهم متيقنة، فلا يُتْرَكُ المعلوم المتيقن لأمرٍ محَرَّفٍ مشكوكٍ فيه.

٣- (وَالصَّحِيحُ مِنْهُ) أي: من هذه الآثار المروية (هُمْ فِيهِ مَعْدُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ)، فهو من موارد الاجتهاد التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد؛ لما في الصحيحين عن أبي هريرة وعمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»^(١).

٤- أنهم بشر؛ يجوز على أفرادهم ما يجوز على البشر من الخطأ، فأهل السنة: (لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ)

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٥) (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ) لكن ما يقع منهم من ذلك فله مكفرات عديدة؛ منها:

(أ) أن (لَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةً مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ) فما يقع من أحدهم يُعْتَفَرُ بجانب ما له من الحسنات العظيمة، كما في قصة حاطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما وقع منه ما وقع في غزوة الفتح عُفِرَ له بشهوده وقعة بدر. (حَتَّى إِتَّهَمُوا يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ)، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

(ب) أنهم تُضَاعَفَ لهم الحسنات أكثر من غيرهم، ولا يساويهم أحد في الفضل، (وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلٍ أُحْدِ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ)، أخرجه الشيخان وغيرهما أحاديث عن أبي هريرة، وابن مسعود، وعمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خَيْرُ أُمَّتِي قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...» الحديث^(١). والقرون: جمع قرن. والقرن: أهل زمان واحد متقارب، اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة. ويطلق القرن على المدة من الزمان.

(ج) كثرة مكفرات الذنوب لديهم؛ فإنهم يتوفر لهم من المكفرات ما لم يتوفر لغيرهم. (ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ،

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ) أي: الأعمال الصالحة التي أسبقها قبله، (أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتِلَى بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ) أي: امتحن وأصيب بمصيبة محي عنه ذلك الذنب بسببها؛ كما في الصحيح أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ، وَلَا آدَى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ». متفق عليه^(١). والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أُولَى النَّاسِ بِذَلِكَ.

قال: (فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ) أي: الواقعة منهم فعلاً، وأن لديهم رصيذاً من الأعمال الصالحة التي تُكفِّرُها، (فَكَيْفَ الْأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ) الاجتهاد: هو بذل الطاقة في معرفة الحكم الشرعي. (إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَوْا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ)، كما سبق بيان دليل ذلك قريباً. وإذن فما يصدر من الصحابي من خطأ - على قَلْبِهِ - هو بين أمرين:

الأول: أن يكون صدر عن اجتهاد، وعنده من الأعمال والفضائل والسوابق الخيرة ما يكفِّره ويمحوه.

وقوله: (ثُمَّ إِنَّ الْقَدَرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلٍ بَعْضُهُمْ قَلِيلٌ نَزَرَ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهَجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ)، هو كالتلخيص لما سبق، وبيان فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إجمالاً، وهي:

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٥٢) (٢٥٧٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- ١- الإيمان بالله ورسوله، وهو أفضل الأعمال.
- ٢- الجهاد في سبيل الله، وهي من أفضل الأعمال.
- ٣- الهجرة في سبيل الله، وهي من أفضل الأعمال.
- ٤- النصر لدين الله؛ قال تعالى فيهم: ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].
- ٥- العلم النافع، والعمل الصالح:
- ٦- أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، فأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير الأمم؛ كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وخير هذه الأمة صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...» الحديث^(١).
- ٧- أنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله؛ كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَنْتُمْ تَوْفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا، وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ». رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم في مستدركه^(٢).



(١) سبق تخريجه (ص ٢٧٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٠١) من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وقال: (هذا حديث حسن)، وأخرجه النسائي في الكبرى (١١٣٦٧)، وابن ماجه (٤٢٨٨)، وأحمد في المسند (٢٢٨/٣٣)، والدارمي (٢٨٠٢)، والحاكم في المستدرک (٩٤/٤)، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). ورواه عبد بن حميد في مسنده [ح ٤١١ (١٥٦/١)]. وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهو حديث حسن صحيح... وله شاهد مرسل عن قتادة عند الطبري، ورجاله ثقات). (الفتح ٨/٢٢٥).

مذهب أهل السنة والجماعة في كرامات الأولياء

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصَدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأثيرَاتِ؛ كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الْأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الشرح

قوله: (وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ) أي: من أصول عقيدتهم (التَّصَدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ) الكرامات: جمع كرامة، وهي: (مَا يُجْرِي اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ)، فالكرامة: أمر خارق للعادة، أي: لمألوف الآدميين^(١). والأولياء: جمع ولي، وهو المؤمن المتقي؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. سُمِّيَ وليًّا؛ اشتقاقًا من الولاء، وهو المحبة والقرب، فوليُّ الله: مَنْ وَالى الله بموافقته في محبوباته، والتقرب إليه بمَرْضَاتِهِ.

وكرامات الأولياء حقٌّ، وقد دل عليها الكتاب والسنة والآثار المتواترة عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين.

(١) انظر تعريف الكرامة في اللغة: لسان العرب (١٢/ ٥١٠)، وأساس البلاغة (١/ ٥٤١)، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٨٤)، والتعريفات للجرجاني (٢٣٥)، والتعاريف للمناوي (ص ٦٠١). وانظر أيضًا: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٥٨).

والناس في كرامات الأولياء على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: مَنْ ينفِها مِنَ المبتدعة؛ كالمعتزلة، والجهمية، وبعض الأشاعرة، وشُبّهَتْهم: أَنَّ الخوارق لو جاز ظهورها على أيدي الأولياء لالتبس النبي بغيره؛ إذ الفرق بين النبي وغيره هو المعجزة التي هي خرق العادة!

الصنف الثاني: مَنْ يَغْلُو فِي إثبات الكرامة من أصحاب الطرق الصوفية والقبوريين، الذين يدجلون على الناس ويأتون بخوارق شيطانية؛ كدخول النار، وضرب أنفسهم بالسلاح، وإمساك الثعابين، وغير ذلك مما يَدَّعونه لأصحاب القبور من التصرفات التي يسمونه كراماتٍ!

الصنف الثالث: الذين ذكرهم الشيخ هنا، وهم أهل السنة والجماعة؛ فيؤمنون بكرامات الأولياء، ويثبتونها على مقتضى ما جاء في الكتاب والسنة.

وَيُرَدُّونَ عَلَى مَنْ نفاها بحجة منع الاشتباه بين النبي وغيره: بَأَن هُنَاكَ فَوَارِقَ عَظِيمَةً بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ غَيْرُ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، وَأَنَّ الْوَلِيَّ لَا يَدَّعِي النَّبُوَّةَ، وَلَوْ ادَّعَاهَا لَخَرَجَ عَنِ الْوَلَايَةِ وَصَارَ مَدْعِيًا كَذَابًا، لَا وَلِيًّا، وَمِنْ سُنَّةِ اللَّهِ أَنْ يَفْضَحَ الْكَاذِبَ، كَمَا حَصَلَ لِمُسَيْلِمَةَ الْكَذَابِ وَغَيْرِهِ.

وَيُرَدُّونَ عَلَى مَنْ غَلَا فِي إِثْبَاتِهَا فَادَّعَاهَا لِلْمَشْعُودِينَ وَالدَّجَالِينَ: بَأَن هَؤُلَاءَ لَيْسُوا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، وَإِنَّمَا هُمْ أَوْلِيَاءُ لِلشَّيْطَانِ، وَمَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ إِمَّا كَذِبٌ وَتَدْجِيلٌ، أَوْ فِتْنَةٌ لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ وَاسْتِدْرَاجٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضوع كتاب جليل، اسمه:
«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»^(١).

وفي قوله: (فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأثيرَاتِ)
إشارة إلى أن الكرامة منها ما يكون من باب العلم والكشف؛ بأن يسمع العبد
ما لا يسمعه غيره، أو يرى ما لا يراه غيره يقظةً أو منامًا، أو يعلم ما لا يعلمه
غيره. ومنها ما هو من باب القدرة والتأثير.

مثال النوع الأول: قول عمر: (يا سارية، الجبل) وهو بالمدينة، وسارية في
المشرق^(٢)، وإخبار أبي بكر بأن بيطن زوجته أنثى^(٣)، وإخبار عمر بمن يخرج
من ولده فيكون عادلاً، وقصة صاحب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلمه بحال الغلام.

ومثال النوع الثاني: قصة الذي علم من الكتاب وإتيانه بعرش بلقيس إلى
سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقصة أهل الكهف، وقصة مريم، وقصة خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ،
مطبوع والله الحمد بشرح شيخنا العلامة صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
- حفظه الله - في مجلدين، مكتبة الإمام الذهبي بالكويت.

(٢) هو سارية بن زينم بن عمرو الدؤلي، له صحبة، وكان أميرًا في بعض حروب الفرس.
وروى هذا الأثر اللالكائي في كرامات الأولياء (ص ١٢٠)، والبيهقي في الاعتقاد
(ص ٣١٤)، وذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص ١٦٢)، وابن عساكر في تاريخ
دمشق (٢٠ / ١٩، ٢٠)، وشيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية (٨ / ١٩٧)، والحافظ ابن
حجر في الإصابة في تمييز الصحابة (٦ / ٣).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (١٤٣٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩ / ١٠١)، والبيهقي
في الكبرى (٦ / ١٦٩)، واللالكائي في كرامات الأنبياء (ص ١١٦) من طريق عروة بن
الزبير، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفيه أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَرَاهَا جَارِيَةً».

لما شرب السم ولم يحصل له منه ضرر^(١).

وقوله: (كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الْأُمَّةِ) يشير بذلك إلى الكرامات التي وقعت وذكرت في القرآن الكريم وغيره من النقول الصحيحة.

فمما ذكره الله في القرآن الكريم عن سالف الأمم: ما ذكره الله عن حمل مريمَ بلا زوج، وما ذكر في سورة الكهف من قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقصة ذي القرنين.

و(كَالْمَأْثُورِ) أي: المنقول بالسند الصحيح عن (صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ) أي: أُولَها من الصحابة والتابعين؛ كرؤية عمر لجيش سارية وهو على منبر المدينة، وجيش سارية بنهاوند بالمشرق، وندائه له: (يا ساريةُ، الجبلُ)، فسمعه سارية، وانتفع بهذا التوجيه، وسلم من كيد العدو.

وقوله: (وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) أي: لا تزال الكرامات موجودة في هذه الأمة إلى يوم القيامة ما وجدت فيهم الولاية بشروطها، والله أعلم.



(١) أخرجه أبو يعلى (١٣/١٤١)، والطبراني في الكبير (٤/١٠٥). وانظر ترجمة خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سير أعلام النبلاء للذهبي (١/٣٦٦)، وصفة الصفوة (١/٦٥٠).

فَصْلٌ

في صفات أهل السنة والجماعة، ولهم سُموا بذلك

ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: اتَّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتَّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَاتَّبَاعُ
وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ
وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١).

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢)، وَيُؤَثِّرُونَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ،
وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ؛ وَلِهَذَا سُمُوا أَهْلَ

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)،
(٣٧٣/٢٨)، والدارمي (٩٦)، وابن حبان في صحيحه (١٧٨/١)، وابن أبي عاصم
في السنة (٣٠/١، ٤٩٦/٢)، والمروزي في السنة (٢٦/١)، والطبراني في الكبير
(٢٤٩/١٨)، وفي الأوسط (٢٨/١)، والحاكم في المستدرک (١٧٤/١)، والبيهقي في
الكبرى (١١٤/١٠) وشعب الإيمان (٦٧/٦) من حديث العزباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) هذا جزء من خطبة الحاجة التي كان يقولها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين يدي حاجته، أخرجه
مسلم مختصرة من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٨٦٧)، ومن حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٨٦٨)،
ووردت مطولة ومختصرة من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الإمام أحمد في المسند
(٢٣٤/٢٣)، وأبي داود في سننه (١٠٩٧)، والترمذي في سننه (١١٠٥)، والنسائي في
الكبرى (١٧٩٩، ٥٨٦١)، وابن ماجه (١٨٩٢)، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شرح
لها في جزء لطيف، طبعته دار الأضحى بالأردن.

الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الْاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ.
وَالْإِجْمَاعُ هُوَ الْأَصْلُ الثَّلَاثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ.
وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ
بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ بِمَا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.
وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ
الِاخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَ فِي الْأُمَّةِ.

الشرح

لَمَّا ذَكَرَ الشَّيْخُ طَرِيقَةَ أَهْلِ السَّنَةِ فِي مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ، ذَكَرَ فِي هَذَا الْفَصْلِ
وَالَّذِي بَعْدَهُ طَرِيقَتَهُمْ فِي عُمُومِ الدِّينِ؛ أَصُولَهُ وَفُرُوعَهُ، وَأَوْصَافَهُمُ الَّتِي
تُمَيِّزُوهَا عَنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْمُخَالَفَاتِ، فَمِنْ صِفَاتِهِمْ:

١- (اتَّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا) أَي: سُلُوكُ
طَرِيقِهِ، وَالسَّيْرُ عَلَى مِثْلِهِ (بَاطِنًا وَظَاهِرًا) بِخِلَافِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُ
فِي الظَّاهِرِ دُونَ الْبَاطِنِ.

وَأَثَارُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سُنَّتُهُ، وَهِيَ مَا رُويَ عَنْهُ وَأُثِرَ عَنْهُ مِنْ قَوْلٍ،
أَوْ فِعْلٍ، أَوْ تَقْرِيرٍ^(١)، لَا أَثَارَهُ الْحَسِيَّةِ؛ كَمَا وَضَعَ جُلُوسَهُ وَنَوْمَهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ؛
لِأَنَّهُ تَتَّبَعَ ذَلِكَ سَبَبٌ لِلْوُقُوعِ فِي الشَّرْكِ، كَمَا حَصَلَ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ.

٢- ومن صفات أهل السنة: (اتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ)؛ لِما خصَّهم الله به من العلم والفقه؛ فقد شاهدوا التنزيل، وسمعوا التأويل، وتلقَّوا عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدون واسطة؛ فهُم أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ، وَأَحَقُّ بِالِاتِّبَاعِ بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَاتَّبَاعُهُمْ يَأْتِي بِالدرجة الثانية بعد اتِّبَاعِ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حجة يجب اتباعها إذا لم يوجد نصٌّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّ طريقهم أسلم وأعلم وأحكم، لا كما يقول بعض المتأخرين: (إنَّ طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم)، فيتبعون طريقة الخلف، ويتركون طريقة السلف!

٣- ومن صفات أهل السنة: اتِّبَاعُ وصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث قال: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: (حسنٌ صحيح) (١).

وغرض الشيخ أن يبين أن أهل السنة والجماعة يتبعون طريقة الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على الخصوص، بعد اتِّبَاعِهِمُ لطريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على وجه العموم؛ لأنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصى باتِّبَاعِ طريقة الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وصية خاصة في هذا الحديث،

ففيه قَرَنَ سنة الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِسُنَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فدل على أن ما سَنَّهُ الخلفاء الراشدون أو أحدهم لا يجوز العدول عنه.

وقوله: (الخُلَفَاءُ الرَّاشِدِينَ) الخلفاء الراشدون هم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعُمَرُ، وعثمانُ، وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ووصفوا بالراشدين؛ لأنهم عَرَفُوا الحق واتبعوه، فالراشد هو من عَرَفَ الحق وعَمِلَ به، وضده الغاوي، وهو من عَرَفَ الحق ولم يعمل به.

وقوله: (المُهْدِيَيْنِ) أي: الذين هداهم الله إلى الحق.
«تَمَسَّكُوا بِهَا» أي: الزموها «وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» كناية عن شدة التمسك بها، والنواجذ: آخر الأضراس.
«وَأَيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ» هي: البدع؛ «فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». والبدعة لغة: ما ليس له مثال سابق^(١).

وشرعاً: ما لم يَدُلَّ عليه دليل شرعي. فكل مَنْ أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين، ولم يكن له دليل؛ هو بدعة وضلالة، سواء في العقيدة، أو في الأقوال، أو الأفعال.

٤- ومن صفات أهل السنة: أنهم يعظمون كتاب الله وسنة رسوله، ويجلونها، ويقدمونها في الاستدلال بهما، والاقتراء بهما على أقوال الناس وأعمالهم؛ لأنهم: (يَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ)؛ قال الله تعالى:

(١) انظر: العين (٢/ ٥٤)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٤٢)، والصحاح (٣/ ١١٨٣)، ومقاييس اللغة (١/ ٢٠٩).

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾

[النساء: ٨٧].

ويعلمون أن: (خَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الهدي بفتح الهاء وسكون الدال: السم، والطريقة، والسيرة. وقُرئ بضم الهاء وفتح الدال؛ أي: الدلالة والإرشاد^(١).

وقوله: (وَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ) أي: يقدمونه ويأخذون به، ويتركون ما عارضه من كلام الخلق أيًا كانوا؛ رؤساء أو علماء أو عبادًا.

(وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أي: سُنَّتَهُ وسيرته، وتعليمه وإرشاده.

(عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ) من الخلق، مهما عظمت مكانته إذا كان هديه يعارض هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

وقوله: (وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ) أي: لأجل تمسكهم بكتاب الله وإيثارهم لكلامه على كلام كل أحد، وتمسكهم بهدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقديمه على هدي كل أحد؛ سُمُّوا أهل الكتاب والسنة؛ لأجل

(١) انظر: تهذيب اللغة (٦/ ٢٠١)، والصحاح (٦/ ٢٥٣٣)، ومقاييس اللغة (٦/ ٤٢)، ولسان العرب (١٨/ ٥٥٣).

ذلك لُقّبوا بهذا اللقب الشريف، الذي يفيد اختصاصهم بهما دون غيرهم
 ممن حاد عن الكتاب والسنة من فِرَق أهل الضلال؛ كالمعتزلة، والخوارج،
 والروافض، ومَن وافقهم في أقوالهم أو في بعضها.

وقوله: (وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الْاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ،
 وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ) أي: كما سُمُّوا أهل
 الكتاب والسنة، سُمُّوا (أَهْلَ الْجَمَاعَةِ)، والجماعة: ضد الفرقة؛ لأن التمسك
 بالكتاب والسنة يفيد الاجتماع والاتلاف؛ قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ
 اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فالجماعة هنا هم المجتمعون على
 الحق.

٥- فمن صفات أهل السنة: الاجتماع على الأخذ بالكتاب والسنة،
 والاتفاق على الحق، والتعاون على البر والتقوى، وقد أثمر هذا وجود
 الإجماع، (وَالْإِجْمَاعُ هُوَ الْأَصْلُ الثَّلَاثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالِدِّينِ)
 وقد عرّف الأصوليون الإجماع بأنه: اتفاق علماء العصر على أمر ديني، وهو
 حجة قاطعة، يجب العمل به^(١).

وقوله: (هُوَ الْأَصْلُ الثَّلَاثُ) أي: بعد الأصلين الأولين؛ وهما: الكتاب،
 والسنة.

٦- من صفات أهل السنة أنهم: (يَزْنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ) الكتاب،
 والسنة، والإجماع (جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ، مِمَّا

(١) انظر مبحث الإجماع في: العدة في أصول الفقه (١/ ١٧٠)، وروضة الناظر وجنة المناظر
 (١/ ٣٦٧)، والإحكام للآمدي (١/ ١٩٥)، وشرح مختصر الروضة (٣/ ٥).

لَهُ تَعَلُّقٌ بِالَّذِينَ)، فَهُمْ يَجْعَلُونَ هَذِهِ الْأَصُولَ الثَّلَاثَةَ مِيزَانًا لِبَيَانِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ، فِيمَا يَصْدُرُ مِنَ النَّاسِ مِنْ تَصَرُّفَاتٍ؛ قَوْلِيَّةٍ أَوْ فِعْلِيَّةٍ، اعْتِقَادِيَّةٍ أَوْ عَمَلِيَّةٍ، (يَمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالَّذِينَ) مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ؛ كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ وَالْمَعَامَلَاتِ وَغَيْرِهَا.

أَمَّا مَا لَيْسَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِالَّذِينَ مِنْ الْأُمُورِ الْعَادِيَّةِ وَالْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِبَاحَةُ.

ثُمَّ بَيَّنَّ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ حَقِيقَةَ الْإِجْمَاعِ الَّذِي جَعَلَ أَصْلًا فِي الْاسْتِدْلَالِ، فَقَالَ: (وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ) أَيُّ: يُجْزَمُ بِحَصُولِهِ وَوُقُوعِهِ: (هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ)، لَمَّا كَانُوا قَلِيلِينَ مُجْتَمِعِينَ فِي الْحِجَازِ يُمْكِنُ ضَبْطُهُمْ، وَمَعْرِفَةُ رَأْيِهِمْ فِي الْقَضِيَّةِ؛ (إِذْ بَعْدَهُمْ كَثْرُ الْإِخْتِلَافِ، وَانْتِشَارُ فِي الْأُمَّةِ) أَيُّ: بَعْدَ السَّلَفِ الصَّالِحِ صَارَ الْإِجْمَاعُ لَا يَنْضَبِطُ؛ لِأَمْرَيْنِ:

أَوَّلًا: كَثْرَةُ الْإِخْتِلَافِ، بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ الْإِحَاطَةُ بِأَقْوَاهِمِ.

ثَانِيًا: انْتِشَارُ الْأُمَّةِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ بَعْدَ الْفَتْوحِ، بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ عَادَةً بُلُوغُ الْحَادِثَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَوُقُوفُهُ عَلَيْهَا؛ ثُمَّ لَا يُمْكِنُ الْجُزْمُ بِأَنَّهُمْ أَطَبَقُوا عَلَى قَوْلٍ وَاحِدٍ فِيهَا.

تَنْبِيهِهِ: إِنَّمَا اقْتَصَرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى ذِكْرِ الْأَصُولِ الثَّلَاثَةِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْأَصْلَ الرَّابِعَ وَهُوَ الْقِيَاسُ؛ لِأَنَّ الْقِيَاسَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، كَمَا اخْتَلَفُوا فِي أَصُولٍ أُخْرَى مَرَّجِعُهَا كِتَابُ الْأَصُولِ.

فَصْلٌ

في بيان مكملات العقيدة من مكارم الأخلاق،

ومحاسن الأعمال التي تحلى بها أهل السنة

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، عَلَى مَا تَوْجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجَمْعِ وَالْأَعْيَادِ مَعَ الْأُمَرَاءِ؛ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيَحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ.

وَيَدْبِنُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَأَنْبِيَّانِ الْمَرْضُوعِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»^(١)، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمِثْلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهَرِ»^(٢).

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرِّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ،

الشَّرْحُ

هذا الفصل كالمتمم للفصل الذي قبله، فيه بيان لصفات أهل السنة التي هي من مكملات العقيدة.

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقوله: (ثُمَّ هُمْ) أي: أهل السنة (مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ) أي: التي مر ذكرها، أي: مع قيامهم بها علماً وعملاً، يتحلون بصفات هي من مكملاتها وثمراتها؛ فهم (يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) كما وصفهم الله بذلك في قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. والمعروف: هو اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح. والمنكر: اسمٌ جامع لكل ما يكرهه الله، وينهى عنه^(١).

قوله: (عَلَى مَا تُوَجِّهُهُ الشَّرِيعَةُ) أي: باليد، ثم باللسان، ثم بالقلب؛ تبعاً للقدرة والمصلحة، خلافاً للمعتزلة الذين يخالفون ما توجهه الشريعة في هذا؛ فيرون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الخروج على الأئمة! قوله: (وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ مَعَ الْأَمْرَاءِ) أي: ويعتقد أهل السنة وجوب إقامة هذه الشعائر مع ولاة أمور المسلمين (أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا) أي: سواء كانوا صالحين مستقيمين أو فُسَاقًا فُسُقًا لا يُخرجهم عن المِلَّة؛ وذلك لأن غرض المسلمين من ذلك هو جمع الكلمة، والابتعاد عن الفرقة والخلاف، ولأن الوالي الفاسق لا ينزل بفسقه، ولا يجوز الخروج عليه؛ لما يترتب على ذلك من ضياع الحقوق، وإراقة الدماء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَعَلَّهُ لَا يَكَادُ يُعْرِفُ طَائِفَةٌ خَرَجَتْ عَلَى ذِي سُلْطَانٍ، إِلَّا وَكَانَ فِي خُرُوجِهَا مِنَ الْفَسَادِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي أَرَاكَ). اهـ^(٢).

(١) انظر: فتح الباري (٤٤٨/١٠)، وعمدة القاري (٢٦٥/١٣)، وفيض القدير (٢٣٦/١)، وتحفة الأحوذى (٤٥٨/٥).

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية (٣/٣٩١)، وقاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاية الأمور (ص ٢٣).

وأهل السنة يخالفون في ذلك أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والشيعة الذين يرون قتال الولاة والخروج عليهم، إذا فعلوا ما هو ظلم أو ظنوه ظلمًا، ويرون ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

وقوله: (وَيَحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ) أي: ومن صفات أهل السنة أنهم يحافظون على حضور صلاة الفريضة مع الجماعة؛ جمعة أو غيرها؛ لأن ذلك من أعظم شعائر الإسلام، وطاعة الله ورسوله في ذلك، خلافًا للشيعة الذين لا يرون الصلاة إلا مع الإمام المعصوم، وخلافًا للمنافقين الذين يتخلفون عن صلاة الجماعة. وقد وردت أحاديث في فضل صلاة الجماعة والأمر بها، والنهي عن تركها، ليس هذا موضع ذكرها.

قوله: (وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ) أي: يرونها من الدين. وأصل النصيحة في اللغة: الخلوص. وشرعًا: هي إرادة الخير المنصوح له، وإرشاده إلى مصالحه.

فأهل السنة يريدون الخير للأمة، ويرشدونها إلى ما فيه صلاحها.

ومن صفات أهل السنة: التعاون على الخير، والتألم لألم المصابين منهم؛ فهم يعتقدون معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَأَنْبُنْيَانٍ الْمَرْصُوصِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ». رواه البخاري ومسلم^(١)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ،

وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهَرِ». رواه البخاري ومسلم وغيرهما^(١).

فالحديثان يمثلان ما ينبغي أن يكون عليه المسلمون من تعاون وتراحم، وأهل السنة يعملون بمقتضاهما.

وقوله: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ»، وقوله: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ» المراد بالإيمان هنا: الإيمان الكامل.

«كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ» هذا التمثيل يُقصد منه التقريب للفهم.
«يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» بيان لوجه الشَّبه.

«وَشَبَكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ» تمثيل آخر، يقصد منه التقريب للفهم.

قوله: «كَمَثَلِ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَى وَالسَّهَرِ» أي: بالنسبة إلى جميع أعضائه من حيث الشعور بالراحة أو التعب.

«تَوَادَّهِمْ» أي: محبة بعضهم لبعض، «وَتَعَاطُفِهِمْ» أي: عطف بعضهم على بعض.

«إِذَا اشْتَكَى»: تألم، «تَدَاعَى»: شارك بعضه البعض الآخر في الألم.
«سَائِرُ الْجَسَدِ»: باقيه. «بِالْحُمَى»: ما ينشأ عن الألم من حرارة الجسم.
«وَالسَّهَرِ»: عدم النوم.

وهذا الحديث خبرٌ معناه الأمر، أي: كما أنه إذا تألم بعض جسده سرى ذلك الألم إلى جميع جسده؛ فكذا المؤمنون ليكونوا كنفس واحدة، إذا أصاب

أَحَدَهُمْ مَصِيبَةٌ يَغْتَمُ جَمِيعُهُمْ، وَيَعْمَلُونَ عَلَى إِزَالَتِهَا. وَفِي هَذَا التَّشْبِيهِ تَقْرِيبٌ لِّلْفَهْمِ، وَإِظْهَارُ الْمَعَانِي فِي الصُّورِ الْمَرْثِيَةِ.

وَمِنْ صِفَاتِ أَهْلِ السَّنَةِ: ثَبَاتُهُمْ فِي مَوَاقِفِ الْإِمْتِحَانِ: (وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلَاءِ) الصَّبْرُ لُغَةً: الْحَبْسُ^(١)، وَمَعْنَاهُ هُنَا: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ، وَحَبْسُ اللِّسَانِ عَنِ التَّشْكِيِّ وَالتَّسَخُّطِ، وَحَبْسُ الْجَوَارِحِ عَنِ لَطَمِ الْخُدُودِ، وَشَقِّ الْجَيُوبِ^(٢).

(الْبَلَاءُ): الْإِمْتِحَانُ بِالمَصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ.

(وَالشُّكْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ) الشُّكْرُ: فَعْلٌ يَنْبِئُ عَنِ تَعْظِيمِ الْمُنْعِمِ؛ لِكَوْنِهِ مَنْعِمًا، وَهُوَ صَرَفُ الْعَبْدِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ فِي طَاعَتِهِ.
(الرَّخَاءُ): اتِّسَاعُ النِّعْمَةِ.

(وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ) الرِّضَا: ضِدُّ السَّخَطِ، وَالْقَضَاءُ لُغَةً: الْحُكْمُ^(٣).
وَعُرْفًا: إِرَادَةُ اللَّهِ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ^(٤).

(وَمُرِّ الْقَضَاءِ): مَا يَجْرِي عَلَى الْعَبْدِ مِمَّا يَكْرَهُهُ؛ كَالْمَرَضِ، وَالْفَقْرِ، وَأَذَى الْخَلْقِ، وَالْحَرِّ، وَالْبَرْدِ، وَالْآلَامِ.



(١) انظر: (ص ٨٧).

(٢) انظر: (ص ٨٧).

(٣) انظر: مادة: (ق ض ي) في: العين (١٨٥/٥)، وتهذيب اللغة (٢٠٧/٨)، والصحاح (٢٤٦٣/٦)، ومقاييس اللغة (٩٩/٥).

(٤) انظر: فتح الباري (٤٧٧/١١)، والدرر السنية (٥١٣، ٥١٢/١).

وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(١).

وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مِنْ قِطْعِكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ.

وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى، وَالْمَسَاكِينِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرَّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ. وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْحِيَلِ، وَالْبَغْيِ، وَالْاِسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقِّ أَوْ بَغَيْرِ حَقٍّ.

وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ سَفْسَافِهَا. وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّهَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

الشَّرْحُ

يهتم أهل السنة بالأخلاق، فيتحلون بالأخلاق الفاضلة ويرغبون فيها غيرهم؛ فهم (يدعون إلى مكارم الأخلاق) أي: أحسنها.

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد في المسند (٣٦٤/١٢)، والدارمي في سننه (٢٨٣٤)، وهنّاد في الزهد (٥٩٢/٢)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٤٤١/١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢١٠/٥)، وابن حبان في صحيحه (٢٢٧/٢)، والحاكم في المستدرک (٤٣/١)، والبيهقي في الكبرى (١٩٢/١٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والأخلاق: جمع خُلُق - بضم الخاء واللام -، وهو الصورة الباطنة،
والخُلُق - بفتح الخاء وسكون اللام - : هو الصورة الظاهرة، وهو الدين
والسجية والطبع.

وَيَدْعُونَ إِلَى (مَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ)؛ كالكرم والشجاعة والصدق والأمانة.
(وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أي: يؤمنون به، ويعملون
بمقتضاه.

«أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا». رواه أحمد، والترمذي وقال:
(حَسَنٌ صَحِيحٌ).

وقوله: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» أي: أليّنهم وألطفهم وأجملهم.

ففي الحديث: الحثُّ على التخلق بأحسن الأخلاق.

وفيه: أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان، وأن الإيمان يتفاضل.

وأهل السنة يدعون إلى التعامل مع الناس بالتي هي أحسن، وإلى إيتاء
ذَوِي الحقوق حقوقهم، ويحذرون من أضداد تلك الأخلاق؛ من الكِبَرِ
والتعدي على الناس، فهُمْ (يَنْدُبُونَ) أي: يدعون (إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ)
أي: تحسن إلى مَنْ أساء إليك، (وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ) أي: تبذل العطاء - وهو
التبرع، والهدية ونحوها - لمن منع ذلك عنك؛ لأن ذلك من الإحسان،
(وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ) أي: تسامح مَنْ تعدى عليك في مال أو عرض؛ لأن
ذلك مما يجلب المودة، ويكسب الأجر والثواب.

(وَيَأْمُرُونَ) أي: أهل السنة، بما أمر الله به؛ من إعطاء ذَوِي الحقوق
حقوقهم.

(بِرِّ الْوَالِدَيْنِ) أي: طاعتهما في غير معصية، والإحسان إليهما بالقول والفعل.

(وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ) أي: الإحسان إلى الأقربين. والأرحام: جمع رحم، وهو من تجمعك به قرابة.

(وَحُسْنِ الْجَوَارِ) أي: الإحسان إلى مَنْ يسكن بجوارك؛ بِبَذْلِ المعروف، وكفِّ الأذى.

(وَالِإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى): جمع يتيم، وهو لغة: المنفرد، وشرعاً: مَنْ مات أبوه قبل بلوغه^(١). والإحسان إليهما هو برعاية أحوالهم، وأمواهم، والشفقة عليهم.

(وَالْمَسَاكِينَ) أي: والإحسان إلى المساكين، جمع مسكين، وهو المحتاج الذي أسكنته الحاجة والفقر^(٢)، والإحسان إليهم يكون بالتصدق عليهم، والرفق بهم.

(وَابْنِ السَّبِيلِ) أي: والإحسان إلى ابن السبيل، وهو المسافر المنقطع به الذي نفذت نفقته، أو ضاعت، أو سُرقت. وقيل: هو الضيف.

(وَالرَّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ) أي: ويأمرون بالرفق بالمملوك، وهو الرقيق، ويدخل فيه من البهائم. والرفق ضد العنف، وهو لين الجانب.

(وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ) وهو المباهاة بالمكارم والمناقب؛ مِنْ حسب ونسب.

(١) انظر: العين (٨/ ١٤٠)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢٤١)، والصحاح (٥/ ٢٠٦٤)، ومقاييس اللغة (٦/ ١٥٤).

(٢) انظر: الصحاح (٥/ ٢١٣٧)، ومختار الصحاح (ص ١٥١)، ولسان العرب (١٣/ ٢١٤).

(وَالْحَيَلَاءِ) بضم الحاء: الكِبَر والعُجْب.

(وَالْبَغْيِ) وهو العدوان على الناس.

(وَالِاسْتِطَالَةَ عَلَى الْخَلْقِ) أي: الترفع عليهم، واحتقارهم، والوقية

فيهم (بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ)؛ لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر، وإن استطال بغير حق فقد بغى، ولا يحل لا هذا ولا هذا.

(وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ) أي: يأمر أهل السنة بالأخلاق العالية،

وهي الأخلاق الحسنة.

(وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا) أي: رديئها وحقيرها، والسفساف: الأمر

الحقير والرديء من كل شيء، وهو ضد المعالي والمكارم، وأصله ما يطير من غبار الدقيق إذا نُخل، والتراب إذا أُثير^(١).

(وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ

وَالسُّنَّةِ) أي: كل ما يقوله ويفعله أهل السنة، ويأمرون به وينهون عنه مما

تقدم ذكره في هذه الرسالة وما لم يذكر؛ فقد استفادوه من كتاب ربهم، وسنة

نبيهم، لم يتدعوه من عند أنفسهم، ولم يقلدوا فيه غيرهم؛ فقد قال الله تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ

السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾

[النساء: ٣٦]، والأحاديث في هذا كثيرة، منها ما ذكره الشيخ.

(١) انظر: العين (٤/ ١٨)، والصحاح (٤/ ١٣٧٥)، والنهاية في غريب الحديث والأثر

وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»^(١)؛ صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشُّوبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَفِيهِمُ الصَّدِّيقُونَ، وَالشَّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلَامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الْأَبْدَالُ، وَفِيهِمُ أَيْمَةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَائَتِهِمْ.

وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ، الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَضَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٢).

- (١) هذا حديث الافتراق المشهور، وقد ورد من طرق متعددة عن عدد من الصحابة بالفاظ متقاربة؛ فقد روي من حديث أبي هريرة، وأنس، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية، وعمرو بن عوف المزني، وعوف بن مالك، وأبي أمامة، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو، رضي الله عنهم أجمعين. أخرجه أبو داود (٤٥٩٦، ٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١، ٣٩٩٢، ٣٩٩٣)، وأحمد في المسند (٣٣٢ / ٢)، (١٢٠ / ٣)، وأبو يعلى في مسنده (١٥٥ / ٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٧ / ١)، والحاكم في المستدرک (٤٧ / ١)، (٢١٧)، والطبراني في الكبير (٣٧٧ / ١٩)، (٧٠ / ١٨)، وفي الأوسط (١٣٧ / ٥)، والبيهقي في الكبرى (٢٠٨ / ١٠). وانظر تمام تخريجه في السلسلة الصحيحة (ح ٢٠٤).
- (٢) أخرجه البخاري (٣٦٤١) من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (١٩٢٠) من حديث ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنا مِنْهُمْ، وَأَلَّا يُزِيعَ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدانا، وَأَنْ يَهَبَ لَنا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً؛ إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

الشرح

يواصل الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ بَيان مزايا أهل السنة والجماعة، فيبين مزياتهم العظمى؛ وهي: أَنْ (طَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ) أي: هو مذهبهم وطريقهم إلى الله، وأنهم عند الافتراق الذي أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن حدوثه في هذه الأُمَّة ثبتوا على الإسلام، وصاروا هم الفرقة الناجية من بين تلك الفرق، وهم الجماعة الثابتة على ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو الإسلام المحض الخالص من الشوائب؛ ولذلك فازوا بقلب أهل السنة والجماعة، وصار فيهم (الصَّديقُونَ)، المبالغون في الصدع والتصديق، (وَالشُّهَدَاءُ): القتلى في سبيل الله، (وَالصَّالِحُونَ): أهل الأعمال الصالحة.

(وَمِنْهُمْ أَعْلَامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ) أي: وفي أهل السنة العلماء الأعلام، المتصفون بكل وصف حميد، علمًا وعملاً.

(وَفِيهِمُ الْآبِدَالُ) وهم الأولياء والعُبَّاد، سُمُّوا بذلك؛ قيل: لأنهم كلما مات منهم أحد أُبدلَ بآخر. وفي رواية عن أحمد: أنهم أصحاب الحديث^(١).

(١) أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص ٢)، وأبو الفضل الهروي في «مشتبه أسامي المحدثين» (ص ٢١)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٧)، =

(وَفِيهِمْ أئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَائَتِهِمْ) أي: في أهل السنة العلماء المقتدى بهم؛ كالأئمة الأربعة وغيرهم.

(وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ) أي: وأهل السنة هم الطائفة المذكورة في الحديث: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» الحديث رواه البخاري ومسلم^(١).

ثم ختم الشيخ رسالته المباركة بالدعاء والصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو خير ختام.

والحمد لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ.



= وتاريخ بغداد (١١٨/٤). وانظر: فتح الباري (١/١٦٤، ١٣/٢٩٣)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٣/٦٧).
(١) سبق تخريجه (ص ٢٠).

قائمة المراجع

- * «التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية» للشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد.
- * «التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة» للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.
- * «الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية» للشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض.
- * «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح الشيخ/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، في مجلدين، مكتبة الإمام الذهبي بالكويت.
- * اجتماع الجيوش الإسلامية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٢ (الجزء الأول دراسة من المحقق).
- * الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية، المؤلف: شمس محمد بن عبد الرحمن السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، النشر: ١٤١٨هـ، عدد المجلدات: ٣ (في ترقيم واحد متسلسل).

* الأحاد والمثاني، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩١، عدد الأجزاء: ٦.

* الأحاديث القدسية الأربعينية، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، المحقق: أ. د عبد العزيز مختار إبراهيم الأمين، أستاذ الحديث وعلومه - كلية التربية والآداب/ قسم الدراسات الإسلامية - جامعة تبوك، الناشر: دار التوحيد للنشر والتوزيع - الرياض، عدد الأجزاء: ١.

* أحكام القرآن، المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ.

* أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٤.

* الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي، علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق:

عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان،
عدد الأجزاء: ٤.

* أدب الاملاء والاستملاء، المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن منصور،
التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)، المحقق:
ماكس فايسفايلر، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة:
الأولى، ١٤٠١ - ١٩٨١، عدد الأجزاء: ١.

* الأذكار، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي،
(المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط رَحِمَهُ اللهُ، الناشر: دار
الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، طبعة جديدة منقحة،
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

* إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، المؤلف: محمد بن علي
ابن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق:
الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس
والدكتور ولي الدين صالح فرفور، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة:
الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٢.

* أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري
جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار
الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م،
عدد الأجزاء: ٢.

* أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي
الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: كمال

بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ، عدد الأجزاء: ١.

* الأسماء والصفات للبيهقي، مكتبة السوادى، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٢.

* اشتقاق أسماء الله، المؤلف: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧ هـ)، المحقق: د. عبد الحسين المبارك، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١.

* الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨.

* أصول السرخسي، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣ هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

* الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ.

* اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، المحقق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

- * إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ٤.
- * الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين (المتوفى: ٩٢٨هـ)، المحقق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، الناشر: مكتبة دنديس - عمان، عدد الأجزاء: ٢.
- * الأوائل، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: محمد شكور بن محمود الحاجي أمير، الناشر: مؤسسة الرسالة، دار الفرقان - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١.
- * الإيمان الأوسط، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين، المحقق: محمود أبو سن أبو يحيى، الناشر: دار طيبة، سنة النشر: ١٤٢٤، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ١.
- * الإيمان، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني تقي الدين، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، سنة النشر: ١٤١٦ - ١٩٩٦، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٥.
- * البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

- * البدء والتاريخ، المؤلف: المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، عدد الأجزاء: ٦.
- * البداية والنهاية، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ.
- * بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٤.
- * تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقَّب بمرتضى، الزَّيْدِي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- * تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر تدمري، طبعة ١٤٠٩هـ.
- * تاريخ الطبري، لأبي جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- * التاريخ الكبير، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، عدد الأجزاء: ٨.
- * تاريخ بغداد، اسم المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

- * تاريخ مدينة دمشق ابن عساكر دار الفكر بيروت.
- * تأويل مختلف الحديث، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراف، الطبعة: الطبعة الثانية - مزيده ومنقحة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.
- * تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، المؤلف: ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ، عدد الأجزاء: ١.
- * التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).
- * تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١٠.
- * تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار طيبة، عدد الأجزاء: ٢.

* التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ، عدد الأجزاء: ١.

* التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

* التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

* تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

* التفسير البسيط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٤ جزء للفهارس).

* تفسير الثعلبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعلبي، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

* تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس.

* تفسير القرآن أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر ابن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

* تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن ابن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

* تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.

- * تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- * التمهيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، طبعة ١٣٨٧هـ.
- * تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- * تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.
- * توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: ١٣٢٧هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ٢.
- * جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
- * الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار

الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءاً (في ١٠ مجلدات).

* الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي ابن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، المحقق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، عدد الأجزاء: ٢.

* جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، عدد الأجزاء: ١.

* حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة، عدد الأجزاء: ١.

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠ هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م، ثم صورتها عدة دور منها، ١ - دار الكتاب العربي - بيروت. ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت (طبعة ١٤٠٩ هـ بدون تحقيق)، عدد الأجزاء: ١٠.

- * خلق أفعال العباد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف السعودية - الرياض، عدد الأجزاء: ١.
- * الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، عدد الأجزاء: ١١.
- * الدر المنثور، عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٣ م.
- * درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ١٠.
- * الدرر السنية في الأجوبة النجدية، المؤلف: علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ١٦.
- * الدعاء، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ، عدد الأجزاء: ١.

- * دلائل النبوة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ٢.
- * دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوِجَردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ، عدد الأجزاء: ٧.
- * الرد على الجهمية، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنذَه العبدى (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد ناصر الفقيهي، الناشر: المكتبة الأثرية - باكستان، عدد الأجزاء: ١.
- * الرد على الجَهْمِيَّة، المؤلف: أبو سعيد عثمان بن سعيد الدَّارِمِي، المحقق: أبو عاصم الشوامي الأثري، الناشر: المكتبة الإسلامية، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، عدد الأجزاء: ١.
- * الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد أبو سعيد الدارمي، تحقيق: د. بدر بن عبد الله البدر. دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية ١٩٩٥ م.
- * الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١

* الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٧.

* روضة الناظر، لابن قدامة المقدسي، تحقيق عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

* زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

* زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧هـ.

* الزاهر في معاني كلمات الناس، المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢، عدد الأجزاء: ٢.

* الزهد، المؤلف: أبو السري هناد بن السري بن مصعب بن أبي بكر بن شبر بن صغفوق بن عمرو بن زرارة بن عدس بن زيد التميمي الدارمي الكوفي (المتوفى: ٢٤٣هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد الجبار الفيرواني،

الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

* سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (مكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: ٦.

* السنة لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ.

* السنة لعبد الله بن أحمد، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني. دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

* السنة، اسم المؤلف: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، دار النشر: مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: سالم أحمد السلف.

* السنة، المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١ هـ)، المحقق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م، عدد الأجزاء: ٧.

* سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

* سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

* سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكتبة دار الباز، مكة المكرمة،

- * سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.
- * سنن الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي ابن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٥.
- * سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.
- * السنن الصغرى للبيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
- * السنن الصغرى للنسائي (المجتبى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.
- * السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.
- * سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ.
- * السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

- * السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م، عدد الأجزاء: ٢.
- * شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- * شرح (التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي)، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، المحقق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ٢.
- * شرح أصول اعتقاد أهل السنة؛ لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.
- * شرح السنة، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م، عدد الأجزاء: ١٥.
- * شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ.

* شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ ابن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ، عدد الأجزاء: ١.

* شرح مختصر الروضة، المؤلف: سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: ٧١٦هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٣.

* شرف أصحاب الحديث، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ابن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د. محمد سعيد خطي أوغلي، الناشر: دار إحياء السنة النبوية - أنقرة، عدد الأجزاء: ١.

* الشريعة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرّي البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٥.

* شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه

وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٤ (١٣)، ومجلد للفهارس).

* الصَّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٦.

* صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.

* صحيح ابن خزيمة، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة ابن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٢.

* صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

* الصفات، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق عبد الله الغنيان، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ.

* صفة الصفوة، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢.

- * الصفدية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
- * الصلاة وأحكام تاركها، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة، عدد الأجزاء: ١.
- * الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء: ٤.
- * طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ١٠.
- * الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- * عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/ مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ١.
- * العدة في أصول الفقه، المؤلف: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين ابن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وعلق عليه

وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المبارك، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض - جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء في ترقيم مسلسل واحد.

* العرش وما روي فيه، المؤلف: أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي (المتوفى: ٢٩٧ هـ)، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ١.

* العظمة، لأبي الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري. دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

* العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيهما، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨ هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ١

* عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد ابن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٢٥.

* عمل اليوم والليلة، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣ هـ)، المحقق: د. فاروق حمادة، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦.

* عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة:

الثانية، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١٤

* العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.

* غاية المقصد في زوائد المسند، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: خلاف محمود عبد السميع، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٤.

* غريب الحديث، المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، المحقق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، أستاذ م بكلية دار العلوم، مراجعة: الأستاذ عبد السلام هارون، الأمين العام لمجمع اللغة العربية، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، عدد الأجزاء: ٥.

* غريب الحديث، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ٢.

- * الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.
- * فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عناية محب الدين الخطيب، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. دار المعرفة، بيروت.
- * فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
- * فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: علي حسين علي، الناشر: مكتبة السنة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٤.
- * الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م، عدد الأجزاء: ١.
- * فضائل الصحابة، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣، عدد الأجزاء: ٢.

* الفقيه و المتفقه، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٦٣٤هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ، عدد الأجزاء: ٢.

* الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيس الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م، عدد الأجزاء: ١.

* فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ، عدد الأجزاء: ٦. مع الكتاب: تعليقات يسيرة لماجد الحموي.

* قاعدة في المحبة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، عدد الأجزاء: ١.

* قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاية الأمور، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: جهاز

الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ، عدد الأجزاء: ١.

* القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ١.

* قانون التأويل، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: محمد السليمان، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.

* قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، المؤلف: محمد جمال الدين ابن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، عدد الأجزاء: ١.

* الكافي في فقه الإمام أحمد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٤.

* الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

- * الكامل في ضعفاء الرجال، المؤلف: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- * كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزَّ وجلَّ، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهبان، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٢.
- * كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.
- * كتاب القدر، المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُستَفَاض الفَرَيَّابي (المتوفى: ٣٠١هـ)، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١.
- * الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: ٤.
- * الكفاية في علم الرواية، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ابن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبد الله

السورقي، إبراهيم حمدي المدني، الناشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة،
عدد الأجزاء: ١.

* الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب
بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى:
١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة
الرسالة - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

* لسان العرب، لابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم
الأنصاري الإفريقي ثم المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

* لمعة الاعتقاد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن
محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن
قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية
والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة:
الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، عدد الصفحات: ٤٦، عدد الأجزاء: ١.

* لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في
عقد الفرقة المرضية، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن
سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين
ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، عدد
الأجزاء: ٢.

* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار
الريان للتراث، القاهرة، وبيروت.

- * مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- * المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق ابن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.
- * المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هندراوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١١ (١٠ مجلد للفهارس).
- * مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.
- * مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، مؤلف الأصل: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١.
- * مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، حققه

واختصره: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي،
الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ١.

* مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد
ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى:
٧٥١ هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادى، الناشر: دار الكتاب العربي
- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ٢.

* المدخل إلى السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى
الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، المحقق:
د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي
- الكويت، عدد الأجزاء: ١.

* المدخل لدراسة القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو
شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣ هـ)، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة:
الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١.

* المراسيل، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير
بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥ هـ)، المحقق:
شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى،
١٤٠٨، عدد الأجزاء: ١.

* المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد
القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.

* مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار
المعرفة، بيروت.

* مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، عدد الأجزاء: ١٣.

* مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

* مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.

* مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله ابن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٤.

* مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

* مسند الشهاب، اسم المؤلف: محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

- * مسند عبد بن حميد، تحقيق صبحي البدري ومحمود محمد خليل، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- * المسودة في أصول الفقه، المؤلف: عبد السلام، عبد الحلیم، أحمد بن عبد الحلیم آل تيمية، الناشر: المدني - القاهرة، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، عدد الأجزاء: ١.
- * مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايمار بن عثمان البوصيري الكنانى الشافعى (المتوفى: ٨٤٠هـ)، المحقق: محمد المنتقى الكشناوى، الناشر: دار العربية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ، عدد الأجزاء: ٤.
- * المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومى ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد وترقيم مسلسل واحد).
- * مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- * المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١١.
- * معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه

وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٨.

* معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١ هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٥.

* المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥ هـ.

* معجم الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ابن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥ هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ب (قم)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ، عدد الأجزاء: ١.

* المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.

* المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

* المعجم في مشتهر أسامي المحدثين، المؤلف: أبو الفضل عبيد الله بن عبد الله ابن أحمد بن يوسف الهروي (المتوفى: ٤٠٥ هـ)، المحقق: نظر محمد

الفاريابي، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١،
عدد الأجزاء: ١.

* معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني
الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد
هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد
الأجزاء: ٦.

* معرفة السنن والآثار، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى
الحُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق:
عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: جامعة الدراسات الإسلامية
(كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق - بيروت)، دار الوعي (حلب
- دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ -
١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١٥.

* معرفة علوم الحديث، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد
ابن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن
البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المحقق: السيد معظم حسين، الناشر: دار الكتب
العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، عدد الأجزاء: ١.

* المعرفة والتاريخ، المؤلف: يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي،
أبو يوسف (المتوفى: ٢٧٧هـ)، المحقق: أكرم ضياء العمري، الناشر:
مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، عدد
الأجزاء: ٣.

* المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجعافي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

* المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.

* المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: ١.

* مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، عني بتصحيحه: هلموت ريتز، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، عدد الأجزاء: ١.

* المِلَل والنَحَل، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، المحقق: محمد سيد كيلاني، الناشر: مؤسسة الحلبي، عدد الأجزاء: ٣.

- * المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١٩.
- * منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تیمیة الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد المجلدات: ٩.
- * المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات).
- * المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، المؤلف: أبو عبد الله، محمد ابن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣هـ)، المحقق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ١.
- * موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، مصر.
- * ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق علي عوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م.

* النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، طبعة ١٣٨٦هـ.

* نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (مطبوع ملحقا بكتاب سبل السلام)، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عصام الصبابطي - عماد السيد، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الخامسة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.

* نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الناشر: مطبعة سفير بالرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ١.

* نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت - لبنان ص. ب ١٠، الجزء: ١ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢ - الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٣ - الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٥ - الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٦، الطبعة الأولى ١٩٦٨، طبعة جديدة ١٩٩٧، الجزء: ٧ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، عدد الأجزاء: ٨.

* النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن

الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

* نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، المؤلف: محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى: ١٣٤٥هـ)، الناشر: دار الفيحاء - دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٢٥ هـ، عدد الأجزاء: ١.

* الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٩.

* وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ١٩٠٠، ٠ - الجزء: ٢ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٣ - الطبعة: ١٩٠٠، ٠ - الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٧١، الجزء: ٥ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، الجزء: ٦ - الطبعة: ١٩٠٠، ٠ - الجزء: ٧ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، عدد الأجزاء: ٧.



فهرس الموضوعات

٥.....	مقدمة الناشر
٩.....	مقدمة الشارح
١١.....	شرح البسملة، وخطبة الحاجة
٢١.....	أهل السنة والجماعة
٢٤.....	أركان الإيمان
٢٧.....	الإيمان بصفات الله
٣١.....	موقف أهل السنة والجماعة من الإيمان بصفات الله
٤٥.....	الاستدلال على إثبات أسماء الله وصفاته من القرآن الكريم
٤٥.....	الجمع بين النفي والإثبات في وصفه تعالى
٥٤.....	الجمع بين علوه وقربه وأزليته وأبديته
٥٨.....	إحاطة علمه بجميع مخلوقاته
٦٢.....	إثبات السمع والبصر لله سبحانه
٦٤.....	إثبات المشيئة والإرادة لله سبحانه
٦٩.....	إثبات محبة الله ومودته لأوليائه على ما يليق بجلاله
٧٤.....	إثبات اتصافه بالرحمة والمغفرة سبحانه وتعالى

ذكر رضا الله وغضبه وسخطه وكرهيته في القرآن الكريم وأنه

متصف بذلك ٧٧

ذكر مجيء الله سبحانه لفصل القضاء بين عباده على ما يليق بجلاله ٨٠

إثبات الوجه لله سبحانه ٨٣

إثبات اليدين لله تعالى في القرآن الكريم ٨٥

إثبات العينين لله تعالى ٨٧

إثبات السمع والبصر لله تعالى ٩٠

إثبات المكر والكيد لله تعالى على ما يليق به ٩٤

وصف الله بالعفو والمغفرة والرحمة والعزة والقدرة ٩٧

إثبات الاسم لله ونفي المثل عنه ٩٩

نفي الشريك عن الله تعالى ١٠٢

إثبات استواء الله على عرشه ١٠٨

إثبات علو الله على مخلوقاته ١١٢

إثبات معية الله لخلقه ١١٦

إثبات الكلام لله تعالى ١٢١

إثبات تنزيل القرآن من الله تعالى ١٢٨

إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ١٣٢

الاستدلال على إثبات أسماء الله وصفاته من السنة ١٣٦

مكانة السنة ١٣٦

ثبوت النزول الإلهي إلى سماء الدنيا على ما يليق بجلال الله ١٤٠

- إثبات أن الله يفرح ويضحك ١٤٢
- إثبات أن الله يعجب ويضحك ١٤٤
- إثبات الرجل والقدم لله سبحانه ١٤٦
- إثبات النداء والصوت والكلام لله تعالى ١٤٨
- إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه ١٥٠
- إثبات معية الله تعالى لخلقه وأنها لا تنافي علوه فوق عرشه ١٥٦
- إثبات رؤية المؤمنين لرهبهم يوم القيامة ١٦١
- موقف أهل السنة من هذه الأحاديث التي فيها إثبات الصفات
الربانية ١٦٣
- مكانة أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة ١٦٤
- وجوب الإيمان باستواء الله على عرشه وعلوه على خلقه ومعيته لخلقه
وأنه لا تنافي بينهما ١٧١
- ما يجب اعتقاده في علوه ومعيته سبحانه ومعنى كونه سبحانه في
السماء، وأدلة ذلك ١٧٤
- وجوب الإيمان بقربه من خلقه وأن ذلك لا ينافي علوه وفوقيته ١٧٧
- وجوب الإيمان بأن القرآن كلام الله حقيقة ١٨٠
- وجوب الإيمان برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، ومواضع الرؤية ١٨٥
- ما يدخل في الإيمان باليوم الآخر ١٨٨
- ما يكون في القبر ١٨٨
- القيامة الكبرى، وما يجري فيها ١٩٣

- ما يجري في يوم القيامة ١٩٦.
- حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومكانه وصفاته ٢٠٣.
- الصراط ومعناه ومكانه وصفة مرور الناس عليه ٢٠٥.
- القنطرة بين الجنة والنار ٢٠٨.
- أول من يستفتح باب الجنة، وأول من يدخلها، وشفاعات
النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢١٠.
- إخراج بعض العصاة من النار برحمة الله بغير شفاعته، واتساع الجنة
عن أهلها ٢١٦.
- الإيمان بالقدر وبيان ما يتضمنه ٢١٨.
- تفصيل مراتب القدر ٢٢٠.
- (أ) الدرجة الأولى وما تتضمنه ٢٢٠.
- (ب) الدرجة الثانية وما تتضمنه ٢٢٧.
- ٢، ١ - لا تعارض بين القدر والشرع، ولا بين تقديره للمعاصي،
وبغضه لها ٢٢٩.
- ٣ - لا تنافي بين إثبات القدر وإسناد أفعال العباد إليهم حقيقة،
وأنهم يفعلونها باختيارهم ٢٣٢.
- حقيقة الإيمان، وحكم مرتكب الكبيرة ٢٣٦.
- أقوال الناس في تعريف الإيمان ٢٣٨.
- الواجب نحو أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكر
فضائلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ٢٤٥.

- فصل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وموقف أهل السنة والجماعة منه،
 وبيان تفاضلهم ٢٥٠
 حكم تقديم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على غيره من الخلفاء الأربعة في الخلافة ٢٦٠
 مكانة أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند أهل السنة والجماعة ٢٦٣
 مكانة أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند أهل السنة والجماعة ٢٦٧
 تبرؤ أهل السنة والجماعة مما يقوله المبتدعة في حق الصحابة،
 وأهل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ٢٧٠
 مذهب أهل السنة والجماعة في كرامات الأولياء ٢٧٧
 فَضْلُ في صفات أهل السنة والجماعة، ولم سموا بذلك ٢٨١
 فَضْلُ في بيان مكملات العقيدة من مكارم الأخلاق، ومحاسن
 الأعمال التي تحلى بها أهل السنة ٢٨٨
 فهرس المراجع ٣٠٠
 فهرس الموضوعات ٣٣٧

